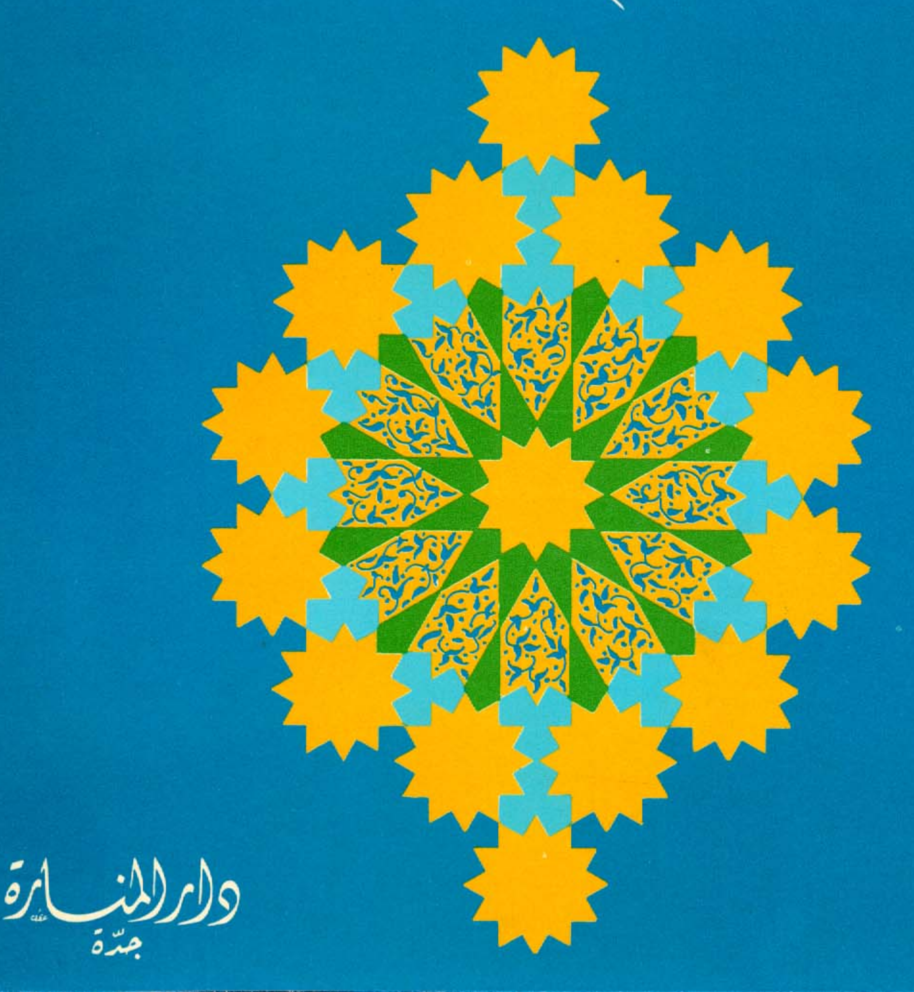
مَنهج الإعلام الإسلامي في صُلح الحُديبية

سليم عبد الله حجازي



دار المنارة
جدّة

منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية

سليم عبد الله حجازي

دار المنارة
جدة

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار المنارة
للنشر والتوزيع جدة - هاتف: ٦٦٠٣٢٣٨ - ٦٦٠٣٦٥٢ - تلكس: ٤٠٣٠٦٧
ص. ب.: ٢١٤٣١/١٢٥٠



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإني لم أجد بدّاً من الاستجابة حينما طلب مني أخي في الله الأستاذ سليم عبد الله حجازي تقديم هذا البحث، فأخذت منه صورة للبحث لدراسته على الرغم من أنني كنت قد اطلعت على أجزاء منه قبل إجازته، وعند قراءة البحث كاملاً وجدته من أهم البحوث في الدراسات الإعلامية الإسلامية الذي ما زالت المكتبة الإسلامية العربية تفتقر كثيراً إلى مثله.

فهو مجموعة دراسة التزم الباحث فيها جانب المنهجية والموضوعية في بحثه، وجاء توثيقه للمعلومات على الصورة المرضية، وقد وُفِّق لاستخدام المراجع المتنوعة للوصول إلى النتائج لطيبة في مجال دراسته، لذلك فقد جاء بحثه مستوفياً - إلى درجة كبيرة - لشروط البحث العلمي والتقاليد الجامعية المتعارف عليها في البحوث الأكاديمية.

* * *

والباحث في مختلف العلوم الإسلامية لا يأتي بجديد من عنده، وذلك لأنه مقيد بالأصول الإسلامية في القرآن والسنة، لذلك فإن الجديد الذي أتى به الباحث في هذه الدراسة الإعلامية الواعية، هو استيعاب

المفاهيم الإعلامية الخاصّة بدراسته استيعاباً طيباً، ومن ثَمَّ الكشف عن الحقائق والأساليب الإعلامية الإسلامية، واستجلاء بواطنها وبيان طرق استخدامها، ممّا يظهر بوضوح أنه قد أعطى دراسته حقها في إبراز هذا الفن الإسلامي الأصيل بالصورة التي ينبغي أن يظهر بها، فهو بدون شك دراسة مستوعبة للموضوع، واستقراء يكاد يكون مجهولاً لدى الكثيرين ممَّن يقرأون كتب السيرة النبوية المشرَّفة، اعتصر فيها المؤلف خلاصة فكره الإسلامي الواضح الملتزم؛ ليعالج لنا قضية هامة من قضايا الإعلام في أحداث سيرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

فكان البحث كبيراً في محتواه وحجمه، في معلوماته وحقائقه، إنه «منهج للإعلام الإسلامي في صلح الحديبية».

* * *

وبهذا فإن هذا البحث يعتبر لبنة هامة يضعها الباحث في بناء الإعلام الإسلامي، الذي كان لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فيه دَوْرُ الريادة، إذ أنها أتاحت الفرصة لأبناء الأمة الإسلامية بأن يتتلمذوا على قمم أساتذة هذا الفن، من أمثال شيخنا الأستاذ زين العابدين الركابي، وغيره من الأساتذة الكرام الذين بذلوا جهداً طيباً في توجيه طلبة المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، لإثراء هذا الميدان الأصيل بالمعلومات الإسلامية النافعة.

وسيكون الجهد المبذول في إخراج هذا البحث واضحاً لكل قارىء إن شاء الله، والله أسأل أن ينفع به المسلمين، وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه

الدكتور مهدي رزق الله أحمد

رئيس قسم الدراسات الإسلامية

بجامعة الملك سعود بالرياض

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وفضله على سائر مخلوقاته بنعمتيّ العقل واللسان، ليفكر بعقله التفكير السليم، وينطق بلسانه الحق المبين. نحمده ونشكره ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عليه الصلاة والسلام.

أما بعد فإني أحمد الله العلي القدير الذي سهل لي فرصة البحث والاطلاع والمراجعة لتاريخ أمتنا الإسلامية المجيدة، حيث إني كنت أحد طلاب المعهد العالي للدعوة الإسلامية قسم الأعلام في دراسة منتظمة، وبعدها وحسبما ينص عليه نظام المعهد، وهو أن يقدم كل طالب من أبنائه بحثاً يعطي من خلاله صورة على مدى تحصيله العلمي، واستفادته واستنباطه وترجيحه في حقل اختصاصه، فأني أُعطيت كغيري من الطلاب فرصة لاختيار الموضوع المناسب، فكانت إرادة الله سبحانه أن قُدِّر لي باختيار هذا الموضوع وهو: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية.

وقد شاء الله جل وعلا أن يكون فضيلة الشيخ محمد الراوي مشرفاً على هذه الرسالة فزاد ذلك من سروري ومن رغبتي في البحث والاطلاع.

والإعلام كما هو معلوم، قد رافق الخليقة منذُ نشأتها، ولكنه لم يكن مصنفاً من حيث هو علمٌ له قواعده وقوانينه ونظرياته المتعددة، كما هو عليه

الحال في أيامنا هذه، إذ أنه أصبح محلّ اهتمام معظم دول العالم وقد حظي بدراسات جامعية عالية المستوى.

ولقد نتج عن هذه الدراسات العلمية الواسعة أن تميز الإعلام إلى إعلام شرقي، وإعلام غربي، وذلك نظراً للمفاهيم السياسية والعقائدية السائدة في العالم اليوم. الأمر الذي جعل كل كتلة من هذه الكتل تعمدُ إلى صبغ الإعلام في صبغتها الخاصة وتنحو به حسب أهوائها ورغباتها، ولهذا فقد كانت الحاجة ماسةً إلى وجود إعلام إسلامي يقوم بدوره الأصيل على الساحة الدولية. ومن هنا فإني عُدتُ في دراستي الإعلامية هذه إلى خير القرون كي أنْهلَ من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، محاولاً تلَمّس الأسس الحقيقية للإعلام الإسلامي الأصيل، وما من شك في أن الباحث في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يجد دروساً وعبراً لمختلف صنوف الفنون الإنسانية النافعة.

أ ـ أهمية الموضوع وسبب اختياره:

لقد قرأت ما وقع تحت يدي من كتب السيرة النبويّة بإمعان، فوجدت أنها ذات قيمة لا تعادلها قيمة وقد اخترت من خلال تلك القراءة والتفحص حدثاً يعتبر من أهم الأحداث التي مرّت بها الدعوة الإسلامية في زمن صاحب الرسالة الخالدة عليه الصلاة والسلام، ألا وهو موضوع الحديبية وهو موضوع هذا البحث الذي بين يدي القارىء اليوم؛ هذا الحدث العظيم الذي تجلّت فيه حكمة الخالق سبحانه وقدرته في تدبير الأمور وتسيير الأحداث على مراده وحده عزّ وجلّ ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع وسبب اختياري له، بالإضافة إلى الأسباب التالية الأخرى:

١ ـ أنْ أبيّن أهمية تراثنا الإسلامي الأصيل في هذا الوقت الذي تتنافس فيه البشرية لإظهار أمجاد، وطمس أمجاد أخرى، عن طريق ما تملكه من وسائل وأجهزة إعلامية ضخمة ومتطورة لم يكن لأمتنا الإسلامية نصيب منها. وكيف أن أعداء الإسلام يحاولون، عن طريق هذه الأجهزة الإعلامية، العمل على إلغاء الوجود الإسلامي وطمس حقائقه ومزاياه النبيلة.

٢ ـ إن صلح الحديبية قد أحدث منعطفاً تاريخياً بارزاً في حياة الدعوة الإسلامية ومسيرتها المباركة.

٣ ـ إن هذا الصلح يعتبر بداية انطلاقةٍ إعلاميةٍ كبرى تفجرت آفاقها لتشمل كافة أرجاء الجزيرة العربية، ولم تقف عند هذا الحد، بل انتشرت مصابيحُها لتشمل العالم خارج هذه الجزيرة أيضاً. حيث أرسل النبيُّ ﷺ رسله إلى ملوك وزعماء العالم في حملة إعلامية واسعة ومنظمة لإبلاغ الناس دعوة الله سبحانه، في الوقت الذي كانت فيه مرحلة ما قبل الحديبية مرحلة إعلاميةً محصورة في الزمان والمكان. لذا فقد جاء هذا الصلحُ ليفكَّ قيودها ويعلن انطلاقتها على العالم أجمع فكان يعتبر بحقٍ فتحاً إعلامياً رائداً وعظيماً.

٤ ـ أتاح هذا الصلحُ للمسلمين الفرصة لإظهار هيبتهم وإبراز شخصيتهم داخل الجزيرة العربية وخارجها، الأمر الذي مكَّن المسلمين من حماية الدعوة الإسلامية من أعدائها التقليديين الذين ما انفكوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين، ويتربصون بهم الدوائر، ويتحينون بهم الفرص للانقضاض عليهم منذ فجر الدعوة الإسلامية، فكان بذلك أن تخلص المسلمون من يهود وأعوانهم من أعداء الإسلام والمسلمين. وقد واصلت الدعوة الإسلامية سيرها دون أي عوائق، وظهر من كان مستخفّياً بإسلامه خوفاً من الكفار.

٥ ـ إيضاح الحقائق والمعاني العظيمة التي قام عليها صلحُ الحديبية، وبخاصة في هذا الزمان الذي بدأت تظهَرُ فيه من هنا وهناك صيحاتٌ من المنتسبين إلى هذه الأمة للصلح مع يهود، وإعطائهم صفة الشرعية باغتصاب بلدٍ من أقدس البلاد الإسلامية، وأعزها وأغلاها على المسلمين، بدعوى أن رسول الله ﷺ قد عقد صلح الحديبية مع المشركين في مكة.

هذا ولما كان هذا الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع المشركين في مكة لم ينه قضية النزاع القائمة بين الطرفين نهائياً، فإنه يصبح بهذا المفهوم

بمعنى الهدنة بدليل أن ما ورد في بنود صلح الحديبية يدل على هذا المعنى وهو:

إيقاف الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنوات، وكذلك العبارة التي تقول: «إن بيننا عيبة مكفوفةً».

وهذا يعني أن النزاع القائم بين الطرفين لم يطرأ عليه شيءٌ سوى التأجيل فقط. وبهذه الحالة فإنه لا يمكن أن يوجدَ وجهٌ للشبهِ أو للمقارنة بين صلحِ الحديبية وبين ما عُقدَ أو ما يُرادُ عقده من صلح مع يهود لإنهاء قضية المسلمين في فلسطين وتصفيتها، على أساس من هذا المفهوم الخاطىء للأمور.

ومن هنا، وبناءً على ما تقدم فقد كان من الأهمية بمكان إيضاحُ الحقائق والمعاني التي قام عليها صلح الحديبية حتى لا يتمكن أحد بحال من الأحوال من تزييف تاريخ أمتنا الإسلامية المجيدة وحتى يعلم الناس جميعاً أن رسول الله ﷺ، وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، لم يعقد صلح الحديبية مع قريش إلاّ طاعةً لله وتنفيذاً لأمره عزّ وجلّ، ذلك الأمر الذي جاءت الإشارة به في حادثة برك الناقة، بالإضافة إلى الكثير من الأمور الهامة الأخرى ومنها أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما حباهُ اللهُ به من رحمة، كان شديد الحرص على هداية الناس جميعاً وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، بالحجة والبرهان، وليس بطريقة الحرب التي لم يلجأ إليها مرةً من المرات إلاّ في حالة الضرورة وللدفاع عن النفس.

وعلى هذا الأساس فإن ثمرات صلح الحديبية جاءت محققة لأمالِ المسلمين جميعاً. وذلك بفتح مكة المكرمة في أقل من سنتين من تاريخ هذا الصلح، ومن ثم دخول قريش نفسها، ومن حولها من القبائل العربية الأخرى في دين الله أفواجاً، وانتشار الإسلام في كافة أرجاء الجزيرة العربية.

وقد أيَّد اللهُ سبحانه وتعالى هذا الصلح مسمياً إياه بالفتح المبين،

كذلك فإن رسول الله ﷺ كان يهدِفُ إلى إضاعة الفرصة على المتهورين وأصحاب العصبية والكبرياء الوثني من قريش، من أن يحققوا مأربهم في إيقاع الفتنة وإشعال نار الحرب حسب أهوائهم ورغباتهم، مما أدى إلى حقن دماء المسلمين من أن تُهدَر عبثاً على ساحة الحرم الشريف، وتجنيب بيت الله الحرام - ذلك المكان الطاهر الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وأقدس بقعة على هذه المعمورة - من أن يكون مسرحاً للحرب وسفك الدماء.

هذا، ولقد كان من ثمرات هدنة الحديبية، أن تمكَّن المسلمون من توسيع دائرة نشاطهم الإعلامي، مما أدى إلى زيادة عدد الداخلين في الإسلام أضعافاً مضاعفةً عما كانوا عليه قبل الحديبية.

وهذه هي المعاني الرائعة، والحقائق الناصعة، التي أسفر عنها عقد صلح الحديبية مع قريش.

فهل الذين عقدوا صلحاً مع يهود أو الذين ينادون بعقد الصلح معهم، وضعوا في اعتبارهم هذه المعاني والعِبَر التي قام عليها صلح الحديبية؟.

وهل كانت نتائج الصلح الذي عقد مع يهود محققة لآمال المسلمين كما كانت عليه نتائج صلح الحديبية؟! وذلك بتحقيق النصر للمسلمين وحقن دمائهم من أن تُهدَر عبثاً؟. وإدخال يهود في الإسلام كما دخلت قريش فيه، وفتح القدس وفلسطين في أقل من سنتين كما فتحت مكة المكرمة؟!!! ولكن الواقع يدل على أن نتيجة ما حصل هو العكسُ تماماً كذلك فإن اليهود كما عرفهم الإسلامُ وعرفهم الجنسُ البشري، هم قومُ غدرٍ وخيانة ونقضٍ للعهود والمواثيق. قال تعالى: ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

وقد خانوا العهد والميثاقَ مع أوفى المخلوقات بالعهود والمواثيق، ألا

(١) سورة البقرة الآية (١٠٠).

وهو محمد رسول الله ﷺ، الذي لم يعرف التاريخ البشري أفضل منه معاملة ولا أحسنَ منه خلقاً.

وها همّ كما نراهم ويراهم العالَمُ لا يزالون يمارسون سياستهم المعروفة من نقض للعهود والمواثيق، والحقد على الإنسانية وتسخيرها لمآربهم الدنيئة، والعداء المستمر لدين الله منذ فجر الدعوة الإسلامية، لا لشيء ولكن حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم أنه الحق، وقد دفعهم حقدُهم الأسود على الإسلام والمسلمين إلى إقامة المجازر الرهيبة لأبناء هذا الدين في دير ياسين وقبية وصبراً وشاتيلا وغيرها منذ أن دنّسوا أرضَ فلسطين المسلمة، بالإضافة إلى هدمهم للمدن والقرى بصورة كاملة وهتكهم للأعراض وحرقهم للمساجد والمقدسات الإسلامية، وما حادثة المسجد الأقصى أُولى القبلتين وثالثُ الحرمين الشريفين عنّا ببعيدة.

وهذا غيضٌ من فيض من جرائمهم الشنيعة التي لم تقف عند حدّ، ولا زلنا نسمع من قادتهم بين الحين والآخر المناداة للثأر لخَيْبَر وبني قريظة والمطالبة بالمدينة المنوّرة. فهل بعد هذا كله دليل؟.

هذا ما أردت أن أوضّحه في هذه النقطة من خلال أهمية هذا الموضوع، واختياري له والله من وراء القصد.

ب ـ مكانة هذه الدراسة من الدراسات السابقة:

أما بالنسبة لمكانة هذا البحث من الدراسات السابقة، فإني لم أجد ـ في جملة ما بحثت عمّا كتب في هذا الموضوع من دراسات متخصصة ـ سوى كتابين اثنين فقط.

الأول لعبد الحميد جودة السحار وهو كتابٌ لا يزيد بحجمه على ثلاثمائة وخمسين صفحة بالقطع المتوسط، وقد سماه المؤلف بـ «صلح الحديبية».

والحقيقة أنّ هذا الكتاب لم يخرج به مؤلفه في بحثه لهذا الموضوع عن أسلوب السرد التاريخي للوقائع والأحداث.

أما الكتاب الثاني، فهو للأستاذ محمد أحمد باشميل. وهو كتاب من سلسلة معارك الإسلام الفاصلة، ويبلغ حجم هذا الكتاب حوالي الأربعمائة صفحة من القطع المتوسط أيضاً، وقد سماه مؤلفه كذلك بـ «صلح الحديبية». والحقيقة أن المؤلف هنا قد أعطى بحثه لموضوع الحديبية جهداً أكبر ودراسة أوسع وشرحاً مفصلاً أكمل فجزاهُما الله خيراً.

غير أن جميع ما كتب في هذا الموضوع إن كان قديماً أم حديثاً، لم يُظهر النهج الإعلاميَّ الذي خطّه سيّدنا رسول الله ﷺ لصلح الحديبية.

ولما كنت أعلم ما ينطوي تحت هذا البحث من أهمية كبرى وفائدة عظمى في مجال الدارسات الإعلامية المتخصصة، فإني والحالة هذه عمَدت إلى الخوض في هذا البحر الزاخر بالتراث الإسلامي الأصيل لعلّي أتمكن من تلمّس ما في هذا التراث من كنوز ثمينة لم يُكشفْ النقابُ عنها ولم تظهر خباياها بعد، وعلى هذا الأساس، فإني أدليتُ بدلوي. وإني لأرجو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه لإخراج هذا البحث بالوجه الذي يليق به وبالصورة التي ينبغي أن يظهر بها.

جـ ـ مشكلات البحث:

أما فيما يتعلق بالمشكلات التي واجهتني أثناء هذا البحث فإنها كانت بالدرجة الأولى تتعلقُ بعدم وجود الكتب والمراجع التي تبحثُ في موضوعات الإعلام الإسلامي. ولما كانت المكتبة الإسلامية ـ كما هو معروف ـ تفتقر إلى مثل هذه الكتب والمراجع الضرورية لمثل هذه الدراسات، الأمرُ الذي زاد من الصعوبات التي كنت أواجهُها في عملية التنسيق والمقارنة والاستنباط، من أجل إظهار النهج الإعلامي لهذا الموضوع.

د ـ منهج البحث:

لقد قمت بتتبع ودراسة موضوع الحديبية في القرآن الكريم وفي معظم كتب السيرة النبويّة والمصادر المعتمدة الأخرى التي بحثت هذا

الموضوع، القديم منها والحديث، وذلك مثل كتاب السيرة النبويّة لابن هشام، وكتاب السيرة النبويّة لابن كثير، ومغازي الواقدي، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، والكامل لابن الأثير، والروض الأنف للسهيلي، والطبقات الكبرى لابن سعد، وغيرها من كتب الحديث والتراجم الأخرى. ومن هذه المصادر المعتمدة قمت بجمع الأفكار والحقائق التاريخية، وعملتُ على تنسيقها وترتيبها، والترجيح فيما بينها، واستنباط الأساليب والحقائق الإعلامية منها، ومقارنتها بما وضعه رجال الإعلام المتخصصون في هذا الفن، من نظريات وقوانين إعلامية ضمن مجال الدارسات الإعلامية المتخصصة التي ظهرت في علم مستقلٍّ له مكانته وأهميته العظمى في عصرنا الحاضر.

وبهذا فإن دراستي لهذا الموضوع كانت دراسة تحليلية تعتمدُ على أسلوب الاستنباط والمقارنة والاستنتاج.

هذا ولقد حصرتُ دراستي هذه في مرحلة زمنية محددة وهي المرحلة التي بدأت بالرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة وهي الرؤيا التي قام عليها موضوع الحديبية بأكمله. وانتهيت من هذه الدراسة عندما بدأ الرسول ﷺ استحضاراته لفتح مكة، وذلك في شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة للهجرة بعدما نقضت قريش وحليفتها بكر هدنة الحديبية من جانبهما، الأمر الذي انتهى معه صلح الحديبية فعلاً.

هـ ـ خطة البحث:

قسمتُ موضوع الحديبية إلى ثلاثة أبواب، وذلك وفق المراحل الإعلامية التي مرّ بها وهذه الأبواب هي:

الباب الأول، وجاء تحت عنوان: «الإعداد الإعلامي للعمرة»

ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول:

١ ـ الفصل الأول وعنوانه: رؤيا الفتح، ويتضمن هذا الفصل أربعة

مباحث. أوضحت في هذا الفصل المفهوم الإعلامي للرؤيا، وتحدثت بعد ذلك عن الإعلان والخبر، وبيّنت أهمية الخبر الإسلامي الذي يعتمد الصدق أساساً له، وتكلمت بعدئذٍ عن أساليب تداول الأخبار في تلك المرحلة.

٢ ـ **الفصل الثاني وعنوانه**: دعوة العرب للعمرة، وفيه أربعة مباحث. تحدثت في هذا الفصل عن الدعوة التي وجهها الرسول ﷺ لأداء العمرة، وعن استجابة الصفوة المؤمنة لهذه الدعوة، وبيّنت دور المنافقين ويهود في تثبيط الهمم، وتحدثت فيما بعد عن المظاهر الإعلامية في شعائر العمرة، ومن ثم تحدثت عن ردّ الفعل لدى قريش حينما تلقت نبأ هذه الرحلة.

٣ ـ **الفصل الثالث وعنوانه**: مهمة إعلامية، وفيه ثلاثة مباحث. تحدثت في هذا الفصل عن المهمة الإخبارية لرجل الإعلام الإسلامي وتحدثت كذلك عن طرق جمع الأخبار عند العرب، ومن ثم تحدثت عن أهمية التحذير الذي وجهه رسول الله ﷺ إلى قريش.

٤ ـ **الفصل الرابع وعنوانه**: خطة إعلامية هادفة، وفيه مبحثان. تحدثت في هذا الفصل عن أهمية الخطة التي وضعها رسول الله ﷺ في تغيير سير الرحلة وعن ردود فعل قريش تجاه هذا الوضع الجديد، وتحدثت كذلك عن الأثر الإعلامي لهذا التغيير.

الباب الثاني: وجاء تحت عنوان: «المفاوضات والحرب النفسية»

ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول هي:

١ ـ **الفصل الأول وعنوانه**: الوفد الإعلامي الأول يصل إلى الحديبية، وفيه ثلاثة مباحث. تحدثت في هذا الفصل عن أهمية المفاوضات التي دارت بين رسول الله ﷺ والرجل المحايد بديل بن ورقاء الخزاعي لإنهاء الأزمة، ومن ثم تكلمت عن الأهمية الإعلامية لرسالة بديل بن ورقاء، وعن نتائجها في إرسال قريش لأحد زعمائها إلى الحديبية للتأكد مما قاله بديل.

٢ ـ **الفصل الثاني وعنوانه**: الوفد الإعلامي الثاني برياسة الحليس ابن

زبان، وفيه مبحثان. أوضحت في هذا الفصل أهمية الخطة الإعلامية التي وضعها رسول الله ﷺ في مواجهة الحليس بن زبان، وبيّنت النواحي النفسية والرموز الإعلامية التي تعتمد عليها هذه الخطة الإعلامية الهادفة. كما وتحدثت كذلك عن أهمية الوسيلة الإعلامية في إنجاح هذه الخطة.

٣ ـ **الفصل الثالث وعنوانه**: أسلوب الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود، وفيه مبحثان.

أوضحت في هذا الفصل أسلوب الحرب النفسية الذي استعمله عروة بن مسعود في مفاوضاته مع النبي ﷺ في الحديبية، وأوضحت كذلك أساليب هذه الحرب وحقيقتها، وتسميتها بهذا الاسم، وأهدافها وتوقيتها. كما وأفردت دراسة خاصة في هذا الفصل عما إذا كانت هذه الحرب النفسية قد نجحت أمام العقيدة الإسلامية أم لا.

٤ ـ **الفصل الرابع وعنوانه**: الوفود النبويّة إلى قريش وأهمية بيعة الرضوان، وفيه أربعة مباحث.

تحدثتُ في هذا الفصل عن الفرق بين الداعية إلى الله ورجل الإعلام من خلال الوفود النبويّة إلى قريش، ومن ثم تكلمت عن الإشاعات وأهميتها الإعلامية وذلك على أثر إشاعة مقتل عثمان بن عفان. وبيّنتُ بعدئذٍ أساليب مقاومة هذه الشائعات. وأخيراً تحدثت عن أهمية بيعة الرضوان في تلك المرحلة.

٥ ـ **الفصل الخامس وعنوانه**: وفدُ الصلح القرشي برياسة سهيل بن عمرو، وفيه أربعة مباحث.

تحدثتُ في هذا الفصل عن المفاوضات التي دارت في الحديبية بين النبي ﷺ ورئيس وفد الصلح القرشي سهيل بن عمرو، ومن ثم تحدثتُ عن الفقرات التي جاءت في كتاب الصلح، وعن سورة الفتح التي أثبتت بأن هذا الصلح كان فتحاً إعلامياً فتحه الله على رسوله الكريم وعلى الدعوة الإسلامية بالخير والازدهار.

الباب الثالث وجاء تحت عنوان: «النتائج والآثار الإعلامية لصلح الحديبية» ويشتمل على ثلاثة فصول هي:

١ ـ الفصل الأول وعنوانه: الإعلام الشفهي، وفيه ثمانية مباحث.

تكلمت في هذا الفصل عن أهمية وسائل الاتصال الشفهية وأقسامها كالاتصال الشخصي والجمعي، ومن ثم تحدثت عن أهمية القرآن الكريم في نشر الدعوة الإسلامية من خلال تلاوته وتعليمه للناس، وتبادل أحكامه بين الناس، وأثر ذلك في عملية الاتصال الشفهي. وتكلمت كذلك عن أهمية الحديث الشريف في نشر الدعوة الإسلامية من خلال تداوله بين الناس، وأوضحت أهمية القدوة الحسنة والكلمة الطيبة في نشر الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة ومن ثم تكلمت عن أهمية الشعر في مجال الاتصال الإعلامي. وأخيراً تكلمت عن حركة الهمس وأثرها الإعلامي في نقل الأخبار.

٢ ـ الفصل الثاني وعنوانه: الإعلام التحريري، وفيه خمسة مباحث.

أوضحت في هذا الفصل أهمية الإعلام التحريري في نشر الدعوة الإسلامية، ومن ثم ذكرت نموذجين لرسائل رسول الله ﷺ: النموذج الأول لرسائل الوثنيين، والنموذج الثاني لرسائل أهل الكتاب، ثم قمت بتحليل هذه الرسائل من وجهة النظر الإعلامية. وتكلمت بعدئذٍ عن عملية إعداد الرسل الذين حملوا هذه الرسائل الإعلامية إلى الملوك والزعماء. وأخيراً تكلمت عن النتائج الإيجابية لهذه الرسائل في نشر الدعوة الإسلامية في تلك الفترة.

٣ ـ الفصل الثالث وعنوانه: الأثر الإعلامي للغزوات والسرايا في نشر الدعوة وحمايتها لفترة ما بعد الحديبية وحتى فتح مكة، وفيه خمسة مباحث.

أوضحت في هذا الفصل طبيعة الحرب في الإسلام وأهدافها وأغراضها، ومتى يلجأ إليها المسلمون، ومن ثم تكلمت عن مراحل تشريع

القتال في الإسلام. هذا وتحدثت عن أثر الغزوات والسرايا في نشر الدعوة الإسلامية. ومن ثم تحدثتُ عن عمرة القضاء وأثرها الإعلامي في نشر الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة. وأخيراً تحدثت عن الدروس الإعلامية المستفادة من هذا الحدث العظيم.

وأخيراً الخاتمة: وقد تحدثت فيها عن النتائج الإعلامية لموضوع: «منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية»

هذا وقد بذلت ما في وسعي لكي أصل إلى الصواب، فإن كان هذا الجهد الذي بذلته قد أصاب الحقيقة فهو بفضل الله وتوفيقه، وإن كان قد أخطأها فهو من نفسي ومن الشيطان، وإني أستغفر الله وأتوب إليه وأعوذ به من زلة القلم واللسان وأرجوه سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني والمسلمين به.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم وآخر دعوانا أن، الحمد لله رب العالمين.

سليم عبد الله حجازي

البَابُ الأوَّل

الإعدَاد الإعلَاميّ للعُمرَة

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: رؤيا الفتح.
الفصل الثاني: دعوة العرب للعمرة.
الفصل الثالث: مهمة إعلامية.
الفصل الرابع: خطة إعلامية هادفة.



الفصل الأول

رؤيا الفتح

١ - رؤيا النبي ﷺ في المنام:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤيَا بِالْحَق لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ إنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقينَ رؤوسَكُم وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[١].

تبدأ فصول صُلحِ الحديبية - ذلك الحدثُ العظيم من تاريخ الدعوة الإسلامية - بالرؤيا الحقة التي رآها رسول الله ﷺ في منامه من أنه وأصحابهُ الكرام سيد خلون مكة المكرمة، ويطوفون بالبيت العتيق إن شاء الله آمنين.

وقد ذهب معظم المؤرخين وكتّابُ السِيرَ على أن تاريخ هذه الرؤيا المباركة كان في شهر ذي القعدة من السنة السدسة للهجرة على وجه التحديد[٢].

---

(١) سورة الفتح الآية (٢٧).

(٢) قال ابن هشام إنها كانت في آخر سنة ست للهجرة السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٥٥. دار الفكر. وقال الواقدي إن رؤيا رسول الله ﷺ كانت في شهر ذي القعدة من سنة ست =

ولا شك أن رؤيـا الأنبياء صورة من صور الوحي الإلّهي وهي تعتبر من وجهة النظر الإعلامية، طريقة من طرق الاتصال غير المباشر بين الله سبحانه وتعالى وبين الأنبياء الكرام.

ولقد جاءت هذه الرؤيا المباركةُ لتؤكدَ المبدأ الإعلامي الذي يلح على ضرورة البداية بالمواضيع الملفتة للنظر والمحركة للانتباه، وذلك لأن الرؤيا في مفهومها هي ومضة تلفت الأنظار إلى مضمونها وملاحقة النظر إلى نورها واتجاهها.

والجديرُ بالذكِر أن مبدأ وَحْيِهِ عليه الصلاة والسلام كـان بالـرؤيا الصادقة في النوم. فقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (أن أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي بالرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء... الحديث)[1].

والجديرُ بالذكر أن الرؤيا الصادقة هي إحدى الطرق المتعددة للوحي الإلّهي كما جاء ذلك في كتاب الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلاَّ وَحْيـاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب، أَوْ يُرسِلَ رَسُولاً فَيُوحي بإِذْنِه مَا يَشَاءُ إنَّهُ عَليٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

ومما يذكر أن رؤيا الفتح هذه قد جاءت في وقتٍ كان المسلمون فيه بعددهم الضئيل، يقفون في مواجهة معظم القبائل العربية التي تجمعت ضدهم، وتكالبت عليهم لاقتلاعهم والقضاء عليهم قضاءً تاماً، وذلك بفعل

= للهجرة، المغازي ج ٢ ـ ص ٥٧٣، وذكر الطبري في تاريخ الرسُل والملوك أنها كانت في ذي القعدة جـ ٣ ص ١٥٣٨ دار المعارف. وكذا الحافظ الذهبي في العبر جـ ١ ص ٨. وابن الأثير في الكامل جـ ٢ ص ٢٠٠.

(١) صحيح البخاري باب بدء الوحي جـ ١ ص ٣. دار الفكر. وصحيح مسلم كتاب الإيمان جـ ١ ص ١٣٩ باب بدء الوحي. رئاسة البحوث العلمية وزاد المعاد لابن القيم جـ ١ ص ١٨.

(٢) سورة الشورى الآية (٥١).

دسائس يهود وحقدهم على هذا الدين منذ ولادته. وما غزوة الأحزاب عنا ببعيدة، تلك الغزوة التي وقعت قبيل رؤيا الفتح مباشرة، والتي تجمع لها المشركون وأعوانهم، من يهود وقبائل وثنية أخرى، في أكبر حشد عسكري عرفته الجزيرة العربية طوال تاريخها وذلك من أجل القضاء على المسلمين واستئصالهم.

قال ابن هشام وابن سعد (إن قريشاً والأحابش والقبائل الأخرى من بني كنانة وأهل تهامة وغطفان ومن تبعهم من أهل نجد، قد تجمعوا حول المدينة المنورة لقتال المسلمين في عشرة آلاف جندي وهم الأحزاب وكانوا ثلاثةَ عساكر وعناج الأمر إلى أبي سفيان بن حرب)(١).

هذا بالإضافة إلى يهود بني قريضة من الداخل وخيانتهم المعروفة بالمسلمين. ففي ذلك الظرف العصيب، وفي تلك الأثناء من الحروب الطاحنة والمتواصلة تجيءُ هذه البُشرى لتؤكد للمسلمين بأنهم سيدخلون مكة المكرمة إن شاء الله آمنين ويطوفون في البيت العتيق، ذلك المكان الذي طالما ظلت نفوسهم تتطلع إليه شوقاً وتحنوا إليه محبة ورقاً، وتتوجه إليه في صلاتها خمس مرات في اليوم والليلة.

وإنه وإن كانت لمكة المكرمة تلك المكانة العظيمة من المحبة والاحترام والتقدير في نفوس المؤمنين في كل مكان من هذه الدنيا، لما فيها من مكان طاهر عزيز على نفوس المؤمنين، ألا وهو المسجد الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، فإن المهاجرين كانوا يرون فيها أيضاً بأنها مسقط رؤوسهم ووطنهم الغالي الذي أُخرجوا منه ظلماً وعدواناً وبغياً، والمكان الذي شهدوا فيه مراتع صباهم وهو لا يزل يضم أهلهم وذويهم، والله سبحانه يشير في كتابه العزيز إلى عملية الإخراج من الوطن عنوة ويقارنها بعملية القتل للنفس فيقول سبحانه في هذ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ

(١) ابن هشام السيرة النبوية جـ٣ ص ١٣١. دار الجيل. وابن سعد الطبقات الكبرى جـ٢ ص ٦٦ دار صادر بيروت.

اقْتُلُوا أنفُسَكُم أَوِ اخْرُجُوا من دِيارِكم ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ. . . الآية﴾[1].

لهذا فقد كانت فرحة المهاجرين بهذه البشرى فرحة لا تَعدِلها فرحة، وهي أعظم وأقوى من فرحة غيرهم بعد ذلك الحرمانِ الطويل والشوقِ العظيم.

لذا فما كادوا يسمعون بنبأ هذه البُشرى الكريمة حتى هبوا فرحين مستبشرين ملبين نداء الله عز وجل ونداء نبيهم الكريم، وذلك لأنهم يعلمون حقاً بأن رؤيا الأنبياء الكرام لا تجيء إلاَّ حقاً، ولا تقع إلاَّ صدقاً وعدلاً.

وكما أن هذه الرؤيا المباركة قد جاءت لتبشر النبي ﷺ وأصحابه الكرام بدخول مكة المكرمة والطواف بالبيت العتيق، وبأن فتحاً قريباً ينتظر الدعوة الإسلامية، فإنه لم يكن الرسول ﷺ هو وحده من بين الأنبياء الكرام الذين تلقوا الأمر الإلٰهي عن طريق الرؤيا، فقد جاء ذكر الرؤيا كطريقة من طرق الاتصال الإلٰهي بالأنبياء الكرام في أكثر من موضع من القرآن الكريم.

والجديرُ بالذكرِ أن القرآن الكريم قد قدّم لنا في جملة نصوصهِ السماوية صوراً رائعة ونماذجِ فريدة لِما كان عليه الأنبياءُ والرسل الكرام من طاعة مطلقة واستسلاماً كاملاً لله عز وجل.

ولأهمية الرؤيا في مجال الاتصال الإلٰهي بالأنبياء الكرام فإننا نورد بعض الصور المشابهة لهذه الرؤيا التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

ففي قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عندما رأى في المنام أنه يذبح ولدَه إسماعيل عليهما السلام قال تعالى: ﴿فَلَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَعْيَّ قَالَ يا بُنَيَّ إني أَرىٰ فِي المَنَام أَنِي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرىٰ. قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَابِرِينَ﴾[2].

---

(1) سورة النساء الآية (٦٦).

(2) سورة الصافات: الآيات (١٠٢).

ثم يستكمل النص القرآني حديثه عن استجابة سيدنا إبراهيم الخليل لأمر الله عز وجل الذي جاءه عن طريق الرؤيا، ولم يتردد في تنفيذ ذلك الأمر الإلٓهي مهما كان هذا الأمرُ صعباً على نفسه البشرية، ثقيلاً على أعصابها، وذلك في ذبح ابنه الوحيد الذي جاءه على كِبَرٍ وشيخوخة. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وهذه هي الطاعةُ الحقيقية والاستجابةُ المطلقة والإستسلام الكامل لأمر الله عز وجل.

وما من شك أننا نشعُرُ بالمتعة الحقيقية والعبر الرائعة ونحن نقرأ في قصص أمثال هؤلاء الأنبياء المكرمين. قال تعالى: ﴿لَقَد كانَ في قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الألبابِ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفتَرىٰ، ولَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيهِ وتَفْصِيلَ كُلِ شيءٍ، وهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وتجيءُ الصورةُ الأخرى من رؤيا الأنبياء الكرام في قصة سيدنا يوسف عليه وعلى نبيِّنا محمد الصلاة والسلام، في قول الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأبيهِ يَا أَبَتِ إنِي رأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً والشَمْسَ والقَمرَ رأيتُهُم لي سَاجِدِينَ. قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلى إخوتِكَ... الآية﴾[3].

ويأتي تأويل هذه الرؤيا المباركة في أواخر هذه السورة في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَويهِ على العرشِ وخَرُوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يا أَبَتِ هَذا تَأوِيلُ رُؤيَايَ مِنْ قَبلُ قَدْ جَعَلَها رَبي حَقاً... الآية﴾[4].

وهكذا وفي ضوء هذه الحقائق الثابتة يتبين للجميع بأن رؤيا الأنبياء هي حق، وهي وسيلة من وسائل الاتصال الإلٓهية المتعددة التي جاءت في

---

(١) سورة الصافات: الآيات (١٠٣ - ١٠٥).
(٢) سورة يوسف: الآية (١١١).
(٣) سورة يوسف الآية (٤ - ٥).
(٤) سورة يوسف الآية (١٠٠).

كتاب الله عز وجل وفي السنة النبوية المطهرة.

ولا شك أن هذه الطريقة في الاتصال تعتَبرُ من أقدم طرق الاتصال من وجهة النظر الإعلامية ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور عمارة نجيب عن هذا الموضوع:

(وإذا كانت الصحافة قد اعتُبِرت من أقدم وسائل الاتصال الجماهيري فإن الاتصال المباشر بين أفراد المجتمع الإنساني قد عُـد أقدمهـا على الإطلاق. ولكن الإسلام يقرر سبق الوحي لكل ذلك كوسيلة إعلام من الله سبحانه إلى البشر، وكأداة اتصال بين الخالق والمخلوق)[1].

٢ ـ الإعلان بالعمرة:

على أثر هذه الرؤيا المباركة، فقد أُعلِن في المسجد النبوي في المدينة المنورة بأن رسولَ الله ﷺ عازمٌ على الذهاب إلى مكة المكرمة لأداءِ مناسك العمرة، وذلك تنفيذاً لأمر ربه عز وجل.

ولا شك أن الإعلان هو وسيلة إعلامية قديمةَ استخدمهـا الإنسان لأغراضه الإعلامية المتنوعة، وقد تطورت هذه الوسيلةُ الإعلامية الهامة على مر الزمن، إلى أن أصبحت تستخدمُ لأغراض إعلامية مختلفة ومتنوعة.

ويستعرض الدكتور حسن أبو ركبة في معرض حديثه عن الإعلان من حيث تعريفه ومن حيث تطوره من الناحيـة التاريخيـة فيقول: (لم يكن الإعلان حديثُ عهد، بل يرجع تاريخ ظهور الإعلان إلى العصور القديمة، وهو في كل مرحلة من مراحل تطوره يعبر عن الفترة التي يعيشُها بكل ظروفها البيئية والثقافية. ففي العصور القديمة تمثَّلَ الإعلانُ في النقوش، وفي المرحلة الأولى من التاريخ القديم، والأميةُ سائدة بين الشعوب في العالم كانت المناداة والإشارات والرموز هي الوسائل الفعالة للوصول إلى

---

(١) الدكتور عمارة نجيب: الإعلام في ضوء الإسلام. ص ٢٠١. مكتبة المعارف ـ الرياض.

أكبر عدد ممكن من الجمهور لإبلاغ الوسائل الإعلانية[1].

والجدير بالذكر أن الإسلام لم يهمل استخدامُه للوسائل الإعلامية القديمة في أغراض الدعوة الإسلامية، ولكنه عندما استخدم هذه الوسيلة الإعلامية الهامة وجعل منها إحدى وسائله الإعلامية الفعالة، فإنه كدين للفطرة وللإنسانية جميعاً، قام بتهذيبها تهذيباً يتلاءمُ مع منهجه السويّ وحدد أغراضها وأهدافها لخدمة الدعوة الإسلامية، وجعل لها ضوابط أخلاقية وميَّزها بالصدق والاستقامة والإيجابية والشمول. قال تعالى: ﴿فِطرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ الناسَ عليهَا لا تَبدِيلَ لِخَلق اللَّهِ ذَلك الدينُ القيم﴾[2]. وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ عَلىٰ الفِطْرَةِ فأبواهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تَنتجُ البهيمَةُ بَهيمةٌ عجماءُ هَل تحسُونَ بها مِن جَدعاء، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام الآية، فِطْرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ النَاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِينُ القَيِم»[3].

يقولُ الدكتور محي الدين عبد الحليم: (على الرغم من أن الإعلام بأجهزته ووسائله ونظرياته وتقنياته الحديثة كان غير معروفٍ وقت نزول الوحي على صاحب الرسالة ﷺ، إلَّا أنه بتطبيق لمقاييس العلمية الحالية على الدَور المُلقى على عاتق الدعوة الإسلامية، نستطيع أن نقول بأن الإعلام كان ولا يزال أداة هذا الدين ودعامته الرئيسية. ولن نتجاوز الحقيقة إذا سمّينا الأشياء بمسمياتها الصحيحة حين نقول أنَّ الدين الإسلامي هو دينُ دعوة، والدعوةُ عمل إعلامي بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى في أذهان أساتذة وخبراء الإعلام والاتصال بالجماهير. ذلك أن الدعوة ما هي إلَّا عمل إعلامي يخاطب العقل ويستندُ إلى المنطق والبرهان. ويعمل على الكشف عن الحقيقة. وإذا استعرضنا التعريفَ العاميّ للإعلام نجدُ أنه كادَ

---

(١) الدكتور حسن أبو ركبة: كتاب الإعلان ص ٣٦. دار النهضة المصرية.

(٢) سورة الروم الآية (٣٠).

(٣) صحيح البخاري جـ ٢ باب الجنائز ص ٩٨. المكتبة الإسلامية إستانبول دار الفكر.

يكون متطابقاً مع مفهوم الدعوة بمعناها الأصيل. فالإعلام هو تزويدُ الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة بهدف تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع وحادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات)[1].

وعلى هذا الأساس فإن أي خبرٍ كان يصدر عن رسول الله ﷺ، سواء كان بتنفيذ الأوامر أو النواهي الإلٓهية، أو فيما يتعلق بأخبار الوحي، فإن المسلمين كانوا يتلقونه بالقبول والإيجاب والتنفيذ؛ وذلك لأن مفهوم الإسلام عند المسلمين هو الاستسلامُ المطلق لله بصورة كاملة والإنقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك.

ومن هذا المفهوم تأتي طبيعة التكليف الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في هذه الأمة الإسلامية المجيدة مبتدئاً بنبيها الكريم عليه الصلاة والسلام لتبليغ الرسالة الإسلامية الخاتمة ودعوة الناس إلى دين الله القويم. قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الرَسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِن النَاسِ﴾[2].

وعلى أساس من هذا المفهوم فلا بد إذنَ من استخدام الإعلام بكل وسائله المتاحة ـ تلك الوسائل التي تتفق مع روح الإسلام ومبادئه السامية وأهدافه النبيلة ـ من أجل نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى الناس جميعاً.

ومما تجدر الإشارةُ إليه أن لكل زمان ومكان نوعاً خاصاً من الإعلام يليق به ويلائم ظروفه ويحقق أغراضه ويعيش مع الأفكار التي تعيش معه.

ومن هنا فإن الرسول ﷺ قام بتحويل الوسائل الإعلامية الموجودة في ذلك الزمن وتعديل مسارها، من وسائل إعلامية جاهلية لا تتورع عن

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم. الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٤٠ ـ ١٤١. مكتبة الخانجي بمصر.

(٢) سورة المائدة. الآية (٦٧).

استخدام الكذب والدس والتزوير الإعلامي إلى وسائل إعلامية نافعة تقوم في أساسها على مبدأ الحق والصدق في القول والعمل ولنستمع إلى الأستاذ محمد كمال إمام وهو يحدثنا عن هذا الموضوع (لقد كان الإسلامُ في عصر الرسول ﷺ يواجهُ تحديات من لون خاص، فكان يستخدم الوسائلِ المتاحة والممكنة التي تمكنه من المقاومة وتقوده إلى الانتصار. والرسلُ جميعاً كانوا يستخدمون الوسائل المتاحة في عصرهم لتوصيل الرسالة وامتصاص غضبة المعارضين وتكثير عدد المؤمنين برسالاتهم)[1].

ولقد حارب الإسلامُ منذ نشأته قاعدة التزوير والكذب والخداع واختلف معها كلياً في الأصول وفي الفروع تلك لقاعدة التي تقضي على أن الغاية تبرر الواسطة للوصول إلى الهدف المنشود. وقد تولّى الإعلام الجاهلي في عهد النبي ﷺ محاربة المسلمين على أساس من هذا المفهوم، وساعد يهود المدينة المنورة وما حولها على تعميقِ وتأصيلِ هذه المفاهيم كعادتهم في تبني الفتن والشرور في كل زمانٍ ومكان، وفي حروبهم المعلنة وغير المعلنة ضد الإسلام والمسلمين منذُ فجر الدعوة الإسلامية. ولا يزالون يمارسون هذه السياسة الإعلامية الخبيثة باحتواء الفتن العالمية، وتزوير الحقائق، ومحاربة الخير والفضيلة، وإشاعة الفوضى والرذيلة، وتوجيه اهتمامات الناس ـ عن طريق أجهزة الإعلام العالمية التي تقع غالبيتها العظمى تحت سيطرتهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة ـ إلى البهيمية العمياء من أجل خدمة مصالحهم الشيطانية وتحقيق أغراضهم الدنيئة.

لهذه الأسباب جميعها عمد الإسلام ممثلاً برسوله الكريم ﷺ إلى وضع القاعدة الإعلامية الإسلامية موضع التنفيذ، تلك القاعدة التي تقوم على مبدأ الحق والصدق في االقولِ والعملِ ولسرعة والشمول بالحركة والفاعلية، فقام عليه الصلاة والسلام ـ بالإضافة لى ماء أوجده من وسائل إعلامية حديثة ـ بتهذيب تلك الوسائل الإعلامية الموجودة، وتوجيهها الوجهة

---

(١) محمد كمال الدين إمام: النظرة الإسلامية للإعلام ص ١٤٠ دار البحوث العلمية.

الصحيحة، فزاد من قدرتها وفاعليتها وشمولها من أجل تمكينها من أداء واجبها بصورة صحيحة وفعالة، وبإعطائها القدرة الكافيـة لتحقيق جميع الأهداف المطلوبة منها في ظل الإسلام ومبادئه النبيلة، لأن الإسلام إنما جاء ليوجه الهوى لا ليمنع الهوى، كما قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدَكُمْ حَتَّى يَكُونَ هواهُ تَبَعاً لِما جِئْتُ بِهِ»[1].

هذا ولنستمع إلى الدكتور محي الدين عبد الحليم وهو يوضح لنا هذا المفهوم بقوله: (إن رسول الله ﷺ أدرك بفطرته وثاقب نظره أنه من الأهمية بمكان استثمار وسائل الإعلام المتاحة آنذاك بين عـرب الجزيـرة وعدم إسقاط هذه الوسائل من حسابه، ولكنه قام بتعديل مسارها وتطوير أهدافها لخدمة الإسلام بعد أن كانت تتوجه لبث الخلافات وإثارة القلاقل وإشعال الفتن وتعميق الشرور المنتشرة بين عرب الجاهلية)[2].

ولما كان من الطبيعي أن يكون الإعـلام الإسلامي هـو الترجمـة الحقيقية لفكر هذه الأمة فإن كل فرد من أفراد هذا المجتمع المسلم يشعر بحمل رسالة الإسلام إلى غيره من الناس في كل مكان من هذه الدنيا، الأمر الذي ساعد في تنسيق وتنظيم العمل الإسلامي ونجاحه في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية.

فبالإضافة إلى تنظيم استخدام الوسائل الإعلامية الموجودة في ذلك الزمن وزيادة فاعليتها ونشاطها وفوائدها وتأسيسهـا على الصدق والأمـانة والإيجابية فإن الإسلام قد قام أيضاً بإيجاد وسائل إعلامية جديدة خاصة به وحده.

ومن تلك الوسائل الإعلامية، بناء المسجد الإسلامي، تلك القاعدة

---

(١) ذكره الإمام الحافظ عبد الرؤوف المناوي في كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق جـ ١ ص ١٧١. دار الكتب العلمية وقال هو للديلمي في مسند الفردوس.

(٢) د. محي الدين عبد الحليم. الإعلام الإسلامي وتـطبيقاتـه العملية. ص ١٤٨. مكتبـة الخانجي بمصر.

المركزية لتجَمُّع المسلمين ولقائهم المستمر، حيث يلتقي فيه المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة، يتعلمون أمور دينهم ويتلقون فيه تعليمات رسولهم الكريم ﷺ ويناقشون أوضاعهم ومشكلاتهم الخاصة والعامة، ويضعون ـ بالتشاور والتعاون ـ الحلول الناجعة له، ويستعرضون كذلك مشكلات المسلمين الأخرى. لذلك، فإن من يتعرض للحديث عن الإعلام الإسلامي ووسائله الإعلامية ـ وما نحن بصدد الحديث عنه ـ فإنه من الإنصاف للحقيقة التاريخية المجردة، ولمن كرسوا أنفسهم لدراسة هذا الفن من العلوم الإنسانية، أن يقفوا أمام هذا الصرح الشامخ الذي تجسدت فيه مختلف العلوم والدراسات المتنوعة في الشؤون الدينية والدنيوية. وذلك كالدراسات الفقهية والأحكام الشرعية والقرآن والحديث واللغة وجميع العلوم الإنسانية النافعة، هذا بالإضافة إلى المهمة الأساسية التي أُوجِد المسجدُ من أجلها ألا وهي أداءُ الصلوات المكتوبة.

وعلى هذا الأساس فقد كان الخبرُ الذي يصدر عن رسول الله ﷺ لا يجد أي صعوبة في الانتشار والوصول إلى جميع المسلمين بسهولة وسرعة، وذلك بواسطة المسجد. وما أظن أن هذه العلوم التي تلقاها المسلمون عن طريق المسجد إلَّا إعلاماً منظماً عن الإسلام ومبادئه الخيرة.

فما أحرانا أن نولي المسجد اهتماماً أكبر وأن نبين أهمية رسالته الإعلامية التي يمارسها وذلك لإقامة المجتمع الإسلامي الأمثل، وحتى يستعيد مكانته ومركزه الكبيرين في نشر الدعوة الإسلامية. فهو لا يزال مستعداً للقيام بنفس الدور الذي كان عليه في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ذلك الدور العظيم الذي تمكن فيه من ممارسة نشاطه كوسيلة إعلامية تضاءلت أمامها أجهزة الإعلام الأخرى، فهو المدرسةُ الكبرى للمسلمين ومنطلق الإعلام الإسلامي الذي يتميز في سلوكه وفكره ومَنحاه، والذي يقوم أساسه المتين على الأمانة في القول والعمل، والصدق في التبليغ، والدقة في التعبير، والسرعة في الحركة، والإيجابية في التنفيذ والنشاط، والاستخدام الأرقى للوسائل المتقدمة، وإذاعة الحقيقة في إبانها.

وبهذه المعاني العظيمة فإنه يحقق الظهور الإعلامي بكل أشكاله ومعانيه وذلك لأن غاية المسلمين الأساسية في هذه الدنيا هي إعلاءُ كلمة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخرِجَتْ لِلنَاسِ، تَأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤمِنُونَ باللَّهِ﴾[1].

وقال جل شأنه أيضاً: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدعُونَ إلىٰ الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[2].

وبهذا تظهرُ الطبيعة الأصيلة لهذه الأمة بأنها أمةٌ عقيدةُ بنائها التوحيد الخالص الذي يحررها من الخضوع لغير الله، وينقذُها من أغلال الطاغوت، ويطهرُها من أدران الجاهلية، وينقلها من حضيض التمزق والتخلف والفساد، إلى ذروة الوحدة والقوة والتقدم والاستقامة، لأنها أمة نظام كامل شامل شرَّعه الله للناس كافة، رصيدهُ إيمان لا ينفذ، ومصدره قوة لا تضعف، منهاجه حق وعدل، لا يهادن باطلاً، ولا يرضى بظلم، وهذه هي دعوة الإسلام الإعلامية.

ومن هنا، ونتيجة لخبر العمرة، يأتي دور الخبر في مساراته المختلفة وطرق تداوله بين الناس.

٣ ـ الخبر:

الخبر هو حدث أو معلومات تنتقل بإحدى الوسائل الإعلامية من مكان لآخر.

ويعرف الدكتور عبد اللطيف حمزة الخبر فيقول: (الخبر هو كل ما يخرج عن محيط الدائرة للحياة العادية المألوفة، ويكون مدار حديث العامة والخاصة)[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٣) الدكتور عبد اللطيف حمزة. المدخل في فن التحرير الصحفي ص ٥٥ ـ ٥٦. ط (١٩٥٦).

أما الأستاذ الحمامصي فإنه يرى أن هناك أخباراً عادية خاصة وأخباراً صحفية عامة والخبر في مضمونه يهم أكبر جمع من الناس، يرون في مادته، إما فائدة ذاتية أو توجيهاً هاماً لأداء عمل أساسي، أو تكليفاً بواجب معين إلى آخر ما يراه الناس واجباً يتحتم على الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤديه نحوهم.

ومن هنا نستطيع أن نفرقَ بين الأخبار العادية التي تتداولها بعض الألسنة والأخبار الصحفية التي تتداولها كل الألسنة[1].

أما الدكتور إبراهيم إمام فيتحدث في تعريفه للخبر فيقول: (إن الخبر ـ البنّاء ـ عند المحدثين، تقريرٌ عن حادث يستطيع القارىء أو جمهور وسائل الإعلام، أن يفهمه). وهو عندهم أيضاً: (كل جديد يهم أكبر عدد ممكن من الناس... ويذهب رمزي وكامبل إلى أن الخبر هو تقريرٌ عن فكرة أو حادث ويهم جمهور الإعلام)[2].

هذا ويضيف الدكتور عبد العزيز شرف بأن الخبر هو أحدُ أوجه النشاط الإنساني ولنستمع إليه وهو يتحدث عن ذلك: (إن الأخبار هي بعضُ أوجهِ النشاط الإنساني التي تهم الرأي العام وتوجهه وترشده وتسليه وتعلمه،... أو الخبر يكون إيراداً لحادث وقع حالاً ويبعث على اهتمام جمهور المستقبلين لوسائل الإعلام، ليُعلمَ هذا الجمهور بما يريد، بشرط ألا يخالف قواعد الذوق وقوانين خدش السمعة، وكلما أثار الخبر مزيداً من التعليقات زادت أهميته. ويضيف الدكتور شرف في تعريفه للخبر فيقول: (والخبر هو كل ما تلوكه ألسنةُ الناس)[3].

أما البلاغيون العرب، وفي مقدمتهم صاحب (البرهان) الذي يذهب

---

(١) انظر كتاب المندوب الصحفي للدكتور جلال الدين الحمامصي ص ٢٣ ـ ٢٤. دار المعارف بمصر.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام. دراسات في الفن الصحفي ص ٩٥. (الأنجلو مصرية).

(٣) د. عبد العزيز شرف. فن التحرير الإعلامي ص ٩٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

إلى أن الخبر هو: (استجلاءُ للبواطن، ومما يوصل إليه بالخبر فمثل الصلاة التي هي في اللغة الدعاء، والصيام الذي هو الإمساك، والكفر الذي هو ستر الشيء، فلولا ما أتانا من الخبر في شرح مراد الله - عز وجل - في الصلاة والصيام ومعنى الكفر لما عرفنا باطن ذلك، ولا مراد الله عز وجل في الصلاة والصيام ولا كان ظاهر اللغة يدل عليه، بل كنا نسمي كل من دعا مصلياً، وكل من أمسكَ عن شيءٍ صائماً، وكل من سترَ شيئاً كافراً. والخلاصة أن الخبر هو كل قولٍ أفدتَ به المستمع ما لم يكن عنده)[1].

وفي الألفاظ القرآنية الكريمة، تحديداتٌ جامعة مانعة، تيسر لنا سبيل الفهم، وتضيء معارفنا الحديثة، التي تعتبر الخبر - البناء - جزءاً من طبيعة الحياة التي تبعث على اهتمام الناس. قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ العَظِيمِ الذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[2] والنبأ: (هو الخبر ذو الشأن، والقصة ذات البال. والجمع أنباء - والنبأ قد يكون عن الماضي وقد يكون عن الآتي، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾[3]، أي لكل خبر أجل.

هذا ويستعرض الدكتور عبد العزيز شرف تحليلاً بديعاً لكلمة استخبر، فيقول: (واستخبر أي السؤال عن الخبر. . . ثم يقول وفي حديث الحديبية: أنه عليه الصلاة والسلام بعث عيناً له من خزاعة يتخبر له خبر قريش أي يتعرف على أخبارهم. .)[4].

والاستنباءُ عن الشيء: هو طلب معرفة كنهه، ويقال. استنبأه الشيء: أي سأله عنه.

---

(١) أبو الحسن بن وهب. البرهان في وجوه البيان ص ١١٣ طبعة بغداد تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي.

(٢) سورة النبأ، الآيات (١ - ٢ - ٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٦٧).

(٤) د. عبد العزيز شرف. المرجع السابق ص ٩٦.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[1].

الخبر الإسلامي:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ... الآية﴾[2].

لقد اعتمد الإسلام منهجاً أساسياً للإعلام بنى قواعده على أساس من الحق والصدق والعدل والإخلاص في القول والعمل.

وفي مجال الخبر الإعلامي في الإسلام، فقد جعل الإسلامُ الصدقَ هو الدعامة الإساسية لمنهجه الإعلامي القويم. وقد بنى على هذه القاعدة المتينة جميع النشاطات والاعتبارات التي تجعل من الحق والصدق المحور الذي تقوم عليه حركتهُ الإعلامية، وقضى بأن يكون هذا المبدأ هو المحتوى الحقيقي لمادته الإعلامية المتميزة.

والصدق في الإسلام يعتبر من أعظم الفضائل الأخلاقية التي يتميز بها الخبر الإسلامي عن غيره، والالتزامُ بالصدق صفة بالغةُ الأهمية بالنسبة للإعلام الناجح، لأن تَحَرّي الحقائق والالتزام بروايتها كما وقعت، هما الضمانة الأساسية لتحقيق الغاية التي يعمل عليها الإعلام الإسلامي، وأن هذا من شأنه أن يحقق الفوز برضى الله سبحانه وبثقة الناس الذين هم غرضُ المادة الإعلامية أو هدف الدعوة إلى الله سبحانه.

والجدير بالذكر أنه ليس أَوْلى على أهمية الصدق وتحري الحقيقة في الإعلام من تاريخ الوقائع الإسلامية نفسها، فلقد أثبتت حولياتُ التاريخ الإسلامي أن الأكاذيب والأساطير التي واجهت دعوة الإسلام، قد سقطت كلها أمام الاستقامة والصدق والعدل والفضائل التي كان يتميز بها رجال

(١) سورة يونس، الآية (٥٣).
(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

الإعلام الإسلامي الداعين إلى الله تعالى على مر العصور.

قال تعالى في تعليمه لعباده المؤمنين: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْق واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً﴾[(١)].

وكما علَّمَ الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عباده المؤمنين بالدعاءِ إليه بالصدق، فقد حذرهم أيضاً من مغبة الاستماع إلى الكذب، وبين لهم سبحانه بوجوب التحقق في الروايات والأخبار. فقال سبحانه: ﴿يا أَيُّها الذِينَ آمَنوا إنْ جَاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبينُوا... الآية﴾[(٢)].

وفي نظرية الإعلام المستقاة من الدعوة الإسلامية، نجد أن الله سبحانه وتعالى، قد أمرَ الناسَ بالأخذ بالحق والصدق، ووصف نفسه بهما، فقال تعالى: ﴿وَمَن أصدقُ من اللَّهِ قِيلاً﴾[(٣)]. ثم قال جل شأنَه: ﴿وَمَنْ أصدقُ مِنَ اللهِ حَديثاً﴾[(٤)]. وقال جل شأنه: ﴿فَذَلِكُم اللهُ ربُكُم الحقُّ﴾[(٥)]. ثم قال جل وعلا، مثنياً على الصادقين المصدقين: ﴿والذي جَاءَ بِالصِدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ، أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾[(٦)]. وإنه لا بد للحق أن يظهر ولا بد للباطل أن ينتهي، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الحقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾[(٧)].

وكفى بهذا فضيلة للحق والصدق ولمن عُرِف بهما ونُسِبَ إليهما. فإن الصادقَ المحقَ عظيم المنزلة عند الله تعالى عز وجل، وعند خلقه، والكاذب المبطل ساقط المنزلة عند الله تعالى عز وجل وعند خلقه. فالصادق حريٌّ بلزوم شرف المنزلتين وطلب أعلى الدرجتين، إن شاء الله.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٠).
(٢) سورة الحجرات، الآية (٦).
(٣) سورة النساء، الآية (١٢٢).
(٤) سورة النساء، الآية (٨٧).
(٥) سورة يونس، الآية (٣٢).
(٦) سورة الزمر، الآية (٣٣).
(٧) سورة الإسراء، الآية (٨١).

والصدقُ لا يتجزأُ كما أن الكَذِب لا يتجزأ، وإن اتخذ ألواناً زاهية أو غير زاهية. وهناك صدقٌ إعلامي وكذب دعائي، والكَذِبُ الدعائي قد يصل إلى الناس بالحذفِ في الخبر، وقد يكون أخطرُ ما فيه حينما تنعدم الثقةُ بين الناس وبين وسيلتهم الإعلامية من جرّاءِ هذا الاتجاه، لذلك يحرص الإسلام على أن تكون وسيلتُه الإعلامية صادقة الخبر، صدوقةُ المقال، صحيحةُ النبأ، حتى يصبح من الوسائل الموثوقة والتي تتجافى عن قول الزور، وتبيِّنُ للناس جميعاً قيمة الصدق الإعلامي.

هـذا ولقد كـان الأنبياءُ والمـرسلون الكرام أحسنُ النـاس خلقـاً، وأصـدقَهم قولاً، فـالصدق هـو من أعظم الفضـائل الأخـلاقية لـلإنسان ولمؤسساته الإعلامية. فقد جعله الله خلقاً لحَمَلِة رسالاته السماوية الذين يبلِّغون دعوة الله سبحانه للناس. فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصادق الوعد الأمين منذ نشأته إلى أن لحق بربه عز وجل، وكذلك كان الأنبياءُ والمرسلون. قال تعالى: ﴿واذْكُرْ في الكتابِ إبْراهِيمَ إنَهُ كانَ صِديقاً نَبياً﴾[1] وقال تعالى: ﴿واذكُرْ فِي الكتاب إسمَاعِيل إنه كانَ صادِقَ الوَعدِ وكانَ رسُولاً نَبياً﴾[2]. وقال تعالى: ﴿واذكُر فِي لكتابِ إدريسَ إنَهُ كانَ صِدِّيقاً نَبياً. وَرَفَعْنَاهُ مَكاناً عَلِياً﴾[3].

هذا وقد عُنِيَ الرسول الكريم محمد ﷺ عناية كبيرة جداً في بناء رجل الإعلام المسلم، حين أدرك أنه مكلفٌ من ربه سبحانه وتعالى بإعلام الناس برسالة الإسلام وانذارهم عاقبة أمرهم، فقد بدأ ﷺ بإعداد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رجالٍ من الأصدقاء الخلص أمثال الصديق أبي بكر وعلي بن أبي طالب وغيرهم، ونساءٍ مخلصات أمثال السيدة خديجة وعائشة رضي الله عنهما، من اللاتي كان لهن قدم راسخة في نشر هذا الدين الحنيف، لعلمه صلى الله عليه وآله وسلم أن الإعلام له خطورته وله

---

(١) سورة مريم: الآية (٤١).
(٢) سورة مريم: الآية (٥٤).
(٣) سورة مريم: الآية (٥٦ ـ ٥٧).

رجاله، وأنه يعتمد على الأمانة في القول والعمل حتى يثمر الإعلام ثمرته المرجوة منه.

كذلك فقد عني ﷺ باختيار الرسل الذين يبلغون دعوة الله سبحانه وتعالى فكان يتخيَّرهم ويعلِّمهم ويزكِّيهم، ويقف على أحوالهم، وها نحن نرى اليوم العديد من الدراسات والنظريات التي تهتم بدراسة رجل الإعلام أو ما يعرف باسم القائم بالاتصال.

فالصدقُ في نشر الخبر، وفي كتابة المقال، وفي الحديث الذي يُذاع، سمة هامة من سمات رجل الإعلام المسلم، لأن الصدق هو جوهر الدعوة الإسلامية، وهو لبابها، وهو صمام الأمان فيها. ولذلك كان من أعظم صفات الرسول ﷺ أنه الصادق الأمين. قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف: «إنَّ الصِدْقَ يَهدِي إلى البِر وإنَ يَهدي إلى الجَنَةِ، وإنَّ الرَجُلَ ليصدقَ حتى يُكتَبَ عِندَ اللهِ صِديقاً، وإنَ الكَذِبَ يهدي إلى الفُجُورَ وإن الفُجورَ يهدي إلى النارِ، وإنَ الرجلَ ليكذَبَ حتى يُكتبَ عندَ اللهِ كَذاباً»[١].

وكما وردت أحاديث كثيرة تحُثّ على الصدق، فإن القرآن الكريم قد اعتبر الصدق من سمات المؤمنين المتقين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَادِقِينَ﴾[٢].

وقال تعالى في وصفه لقول المؤمنين: ﴿هذا مَا وَعَدَنَا اللهُ ورَسُولهُ، وصَدَقَ اللهُ وَرَسُولهُ﴾[٣].

وقال جلّ شأنُه كذلك: ﴿هَذا مَا وعَدَ الرَحْمنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ﴾[٤]. ثم قال جل وعلا يصف الموفون بعهدهم إذا عاهدوا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الصدق جـ ٨ ص ٩٥. دار الفكر.

(٢) سورة التوبة: الآية (١١٩).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٢٢).

(٤) سورة يس: الآية (٥٢).

والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، بأنهم هم الصادقون وأنهم هم المتقون، قال عز وجل: ﴿لَيسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِب ولكِنَّ البِرَّ مَن آمنَ باللهِ واليَوْم الآخِرِ والمَلٰئِكَةِ والكِتَابِ والنَبِيِّينَ وآتىٰ المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوي القُربَىٰ واليَتَامىٰ والمَسَاكِين وابنَ السَبِيلِ والسَائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وأَقَامَ الصَلاَةَ وآتىٰ الزكَاةَ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا والصَابرينَ فِي البَأْسَاءِ والضَرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَقُونَ﴾[1].

ولا شك أن معظم وسائل الإعلام في عصرنا الحاضر تحاولُ أن تخرجَ عن نطاق واجبها الأصلي وعن مهمتها الأساسية التي وجدت من أجلها وهو الصدق والإنصاف والبعد عن الهوى. والأمانة في نقل الأخبار وروايتها على حقيقتها إلى خلقها وتحريفها ولنستمع إلى الدكتور عبد العزيز شرف وهو يُحذر من ذلك بقوله: (ينبغي على وسائل الإعلام أن تروي الأخبار وليس عليها أن تصنعها. وحذارٌ من رواية نصف الحقيقة، دون الحقيقة كلها، وإلاَّ حق على المندوب قول القائل، وما آفة الأخبار إلاَّ رواتها، فالخبر لا بد وأن تكون روايتُه صادقة كاملة دقيقةً سليمة وبعيدةً عن الهوى لما وقع فعلاً من أحداث. والخبر سواء كان بسيطاً مجرداً أم طويلاً مركباً هو ما اجتمعت له عناصر الصدق والواقعية، قبل أن تجتمع له مقوماته. وتحتم علينا قواعد الإعلام الإسلامي مراعاة الصدق والدقة والموضوعية والإنصاف في عرض وجهات النظر المتباينة، وهي القواعدُ المستمدةُ من القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿يَا أيُها الَّذينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلىٰ ما فَعَلْتُم نَادِمِينَ﴾[2])[3].

ونخلص مما تقدم إلى أن الإعلام الإسلامي كما يتميز بالصدق، فإن

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٧٧).

(٢) سورة الحجرات: الآية (٦).

(٣) الدكتور عبد العزيز شرف. المرجع السابق ص ١٤٦.

شعاره الصراحة وغايته قول الحق وشرف المقصد، لا يضل ولا يُضلل، بل يهدي للتي هي أقوم، وهو لا يعلن إلاَّ ما يبطن ويرفض أساليب الغش والخداع ونزعات الهوى.

٤ ـ تداول الخبر وانتشاره:

على أثر الخبر الذي أعلنه رسول الله ﷺ بأنه عازمٌ على الذهاب إلى مكة المكرمة لأداء العمرة فإن هذا الخبر أخذ ينتشر بسرعة كبيرة في المدينة المنورة وخارجها، وأخذ الناسُ يتحدثون فيما بينهم بأخبار هـذه الرحلة المباركة التي وقعت موقع الحب والقبول في نفوس الصحابة الكرام، خاصة المهاجرين الذين أخرجتهم قريشُ بغياً وظلماً وعدواناً من بلادهم الطيبة، وفرقت بينهم وبين أهليهم وعشيرتهم، ومنعتهم طوال مدة دامت أكثر من خمس سنوات من بيوتهم وديارهم، وأصرت بعنادها وغطرستها على المضي بهذا التعنت اللئيم بقوة السلاح.

وقد بدأ الصحابةُ الكرام بتجهيز أنفسهم والاستعداد لمرافقة رسولهم وقائدهم الكريم لأعزِ مكان وأقدس بقعة حبيبة إلى نفوسهم وإلى نفسِ كل مسلم في كل مكان من هذه الدنيا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن طرقَ نقلِ الأخبار إلى جميع المناطق التي يعيش فيها المسلمون داخل المدينة المنورة وخارجها، كانت تعتمد أساساً على الطريقة البدائية، وهي طريقة المشافهة من شخص لآخر، وذلك من أجل تبليغ الخبر الذي أعلنه النبي ﷺ في المدينة المنورة، من أنه عازمٌ على الذهاب إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة. فكانت هذه الطريقة تتم بواسطة التداول والاتصال بين الناس حتى تشمل أكبر مساحة ممكنة في أكبر عدد ممكن من الناس.

يقول الدكتور محمود أدهم: (لقد غلب على نشر الأخبار وتداولها في وسط وشمال الجزيرة العربية رواية المشافهة، كما لم تكن عناية العصر الإسلامي بالمادة الإخبارية وأهميتها بأقل منها في العصور السابقة، حيث بدأ الإسلام بتمحيص الروايات وتنقيتها من المبالغة والأسطورة والمـواد

المختلفة. كما عني الإسلام بتدوينها أيضاً والحفاظ عليها)[1].

هذا، وكما تميز الخبرُ الإسلاميُ بصدقه، فإنه بالمقارنة بتلك الفترة أيضاً قد تميز بسرعة انتشاره، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الصحابة، الكرام كانوا دوماً على اتصال بنبيِّهم الكريم ﷺ من جهة، وبين بعضهم البعض من جهة أخرى، وذلك لمعرفة أخبار الوحي وما جد من أمور دينهم. لذا فإن اهتمام المسلمين بالأخبار يأتي من اهتمامهم بعقيدتهم وأمور دينهم الذي ترتبط به حياتهم وتتفاعل معه نفوسهم. تقول الدكتورة إحسان عسكر: (يستمدُ الرأيُ العام قوتَه وصلابته من النظام الإخباري السائد، فكلما كان هذا البيان راسخاً، كان ارتباط الرأي العام بالأحداث وتفاعله معها أقوى. ثم تضيف قولها: وننتهي مما تقدم إلى القول بأن الإعلام الصحيح فن إخباري يستهدف عرضَ الأنباءِ والحقائق للتأثير الصحيح في الجماهير وتكوين رأي هام ورشيد، وهناك نتائج خطيرة من ترك الجماهير في حالة ضياع نتيجة لفقدان الحقيقة وانحرافها عن مدارها السليم. ثم تستطردُ قائلةً: ولكي يؤدي الخبرُ رسالته في تكوين الرأي العام، لا بد وأن تلتزمَ السياسةُ الإخبارية بالقواعد الأخلاقية في رواية الخبر وصياغته)[2].

ولقد وضع الإسلامُ الأسسَ الثابتة للسياسة الإخبارية منذ البداية وعمَّق مفاهيمها في نفوس أتباعه وجعل منها محوراً لحركته ونشاطه الإعلامي.

ويُعتبرُ الاتصالُ الشخصيّ من أهم الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ في تداول الخبر وانتشاره. يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (ومهما يكن من شيء فإن أكثر ما اعتمد الرسول ﷺ على وسيلة الاتصال الشخصي، كان في المراحل الأولى للدعوة)[3]. ثم يضيف الدكتور حمزة

---

(١) الدكتور محمود أدهم: كتاب فن الخبر ص ٨٣. دار أخبار اليوم مطبعة الشعب.

(٢) دكتورة إحسان عسكر. الخبر ومصادره ص ١٥٤. عالم الكتب القاهرة.

(٣) عبد اللطيف حمزة. من كتابه الإعلام في صدر الإسلام ص ٧٢. دار الفكر العربي.

قائلاً حول هذا الموضوع أيضاً: (إن وسيلة الاتصال الشخصي كانت أُولى الوسائل التي مارسها الرسول ﷺ في نشر الدعوة. ويُعتبرُ الاتصالُ الشخصي أخطر الوسائل الإعلامية على الإطلاق إذ بالإضافة إلى نشر الدين فقد حافظ الرسول بها على وحدة أصحابه[1].

وهكذا فإن النبي ﷺ قد مارسَ الإعلامَ بصُورِه الصحيحة والفعالة للوصول إلى الهدف المنشود، ولم يكن فعلاً أنفع من وسيلة الاتصال الشخصي في ذلك الزمن لنقل الأخبارِ وتداولِها من مركز الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة إلى بقية المناطق الأخرى.

يقول الدكتور إبراهيم إمام: (إن الذي لا شك فيه أن الاتصالَ الشخصي في ذاته هو أساسٌ لجميع العمليات الإعلامية من حيث هي، ومن بينها العملية الإعلامية التي تعرف (العلاقات العامة) والعملية التي تعرف بالإعلان، ولكن الاتصال الشخصي أكثر ما يؤثر بالحقيقة في ميدانين خطيرين هما ميدان الدعوة وميدان الدعاية. والقدرة على ممارسةِ الاتصالِ الشخصي الذي من هذا النوع شرط في نجاح العمليات الإعلامية، ذلك أنه يلعب دوراً خطيراً في الإعلام على جميع المستويات، ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات البحوث الحديثة تؤكد أهمية الاتصالِ الشخصي، وتُنسبُ إليْه مقدرةٌ عظيمة على التأثيرِ في الجماهير أكثرَ بكثير من بقية وسائل الإعلام العامة الأخرى)[2].

ويضيف الدكتور إمام قائلاً: (والمهم في هذا الاتصال هو مدى ثقة الجمهور في مصدر الإعلام، لأن هذه الثقة هي الأساس الذي يبني عليه الجمهور تصديقه أو عدم تصديقه للرسالة الإعلامية...

ثم يعزز الدكتور إمام رأيه هذا بنقل بعض آراء الباحثين في هذا الموضوع فيقول: ويعلل الباحثون من أمثال لازر سفيلد، وكارتز، وغيرهما،

---

(١) عبد اللطيف حمزة، من كتابه الإعلام في صدر الإسلام، ص ٧٦، دار الفكر العربي.
(٢) الدكتور إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٠ مكتبة الأنجلو مصرية.

سر تفوق الاتصال الشخصي في التأثير، بأنه إذا كان من السهل أن ينصرفَ الناسُ عن المواد الإعلامية التي لا تتفق مع آرائهم وميولهم، فإنه ليس من السهل أن يتجنبوا الحديث مَع زميلٍ أو قريب أو صديق لهم، وخاصة إذا كان موضوع الحديث غير معروف لديهم سلفاً، كما يتيح النقاش المباشر مرونة أكبر في عرض وجهات النظر والتأثير في الناس)[1].

ومن هنا فإنه يمكننا القول بأن الأساليب التي اتبعها الإسلامُ في نقل الأخبار وتداولها ونشرها بين الناس في تلك الفترة كانت تعتمد على وسيلة الاتصال الشخصي والشفهي المباشر.

والجديرُ بالذكر أن هذه الوسيلة الإعلامية الهامة يعتبرُها رجالُ الإعلام بأنها تمثل المرحلة الأولـى من مراحل تطور وسائل الاتصال الإعلامية.

وتتحدث الدكتورة جيهان رشتي عن هذا الموضوع موضحة رأيها بنقل عبارة «ماكلوهان» الذي يُرجعُ مضمون عملية الاتصال الإنساني إلى أربع مراحل تعكس في تصوره التطور الإنساني لعمليات الاتصال. وهذه المرحل هي كما يراها بقوله: (أولاً المرحلة الشفوية ما قبل القلم، أي المرحلة القبلية، ثم مرحلة الكتابة والخط، ثم عصـر الطباعة، فـوسائـل الإعلام الألكترونية.

ثم يقول: بأن طبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع)[2].

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام: المصدر السابق ص ١٢.
(٢) انظر كتاب الدكتورة جيهان رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٣٤٦. دار الفكر.

الفصل الثاني

دعوة العرب للعمرة

تمهيد

بدأت الاستعداداتُ في المدينة المنورة وضواحيها على قدم وساق، وأخذ الصحابة الكرام الذين سيرافقون نبيهم صلواتُ الله وسلامهُ عليه بالاستعداد والتزود لهذه الرحلة المباركة.

وقد أخذت أنباءُ هذه الرحلة المباركة تنتشر بين الناس في كافة أنحاء المدينة المنورة وضواحيها. ولم تمض سوى أيامٍ قليلة، حتى تم الرسول ﷺ وأصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار - الذين أعلنوا عن رغبتهم في مرافقة الرسول ﷺ لهذه الرحلة الميمونة - كاملَ تجهيزاتِهم واستعداداتِهم لتلك الرحلة المباركة.

هذا وقد ذكرت كتبُ السيرة بأن الرسول ﷺ قد استنفرَ العرب ومَن حول المدينة من البوادي ليخرجوا معه، فقال ابن إسحاق: (إن الرسول ﷺ قد استنفر العربَ ومَنْ حوله من البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت

الحرام، فأبطأ عليه كثير من الأعراب. وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب، وساق معه الهَديَ وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليُعْلِمَ الناسَ أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له)[1].

١ ـ دور المنافقين واليهود في تثبيط الهمم:

النفاقُ هو الداءُ العضال الباطن الذي لا يخلو منه عصر من العصور. وقد رافق هذه الدعوة الإسلامية منذ بدايتها ولا زال يعيشُ في جسم هذه الأمة الكريمة. والنفاقُ كما ذكره ابن القيم في كتابه «صفات المنافقين» نوعان: (أكبر، وأصغر. فالأكبرُ يوجِبُ الخلودَ في النار في دركِها الأسفل كما جاء في الآية الكريمة ﴿إن المُنافِقِينَ في الدَرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النارِ﴾[2]. وتعريفُ هذا النوع من أنواع النفاق: هو أن يُظهر الإنسانَ أمام الناس إيمانَه بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخٌ من ذلك كله. فهو لا يؤمنُ بأنَ الله سبحانه يتكلمُ بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس كافة، يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه)[3].

وقد هتكَ اللهُ سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارَهم في القرآن الكريم، وبيَّن لعباده حقيقتهم ليكونوا منها ومن أهلِها على حذر، وذكر طوائف الناس الثلاثة في القرآن الكريم وهم:

١ ـ المؤمنون.
٢ ـ الكفار.
٣ ـ المنافقون.

وقد ذكر الإمام ابن القيم: (إن الله سبحانه وتعالى قد بين في سورة البقرة في المؤمنين أربعَ آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث

---

(١) سيرة ابن هشام: مجلد (٣) ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦. دار الفكر.
(٢) سورة النساء: الآية (١٤٥).
(٣) الإمام ابن القيم الجوزية: صفات المنافقين: ص ١٥. المكتب الإسلامي.

عشرة آية، وذلك لكثرتهم، وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم بالحقيقة أعداؤه الألدّاء الحقيقيون، فكم من معقِلٍ للإسلام هدموه، وكم من حُصنٍ له قد قلعوه وخربوه، وكم من علمٍ قد طمسوه؟!)[1].

فلا يزالُ الإسلام مُنهم في بلية ومحنة، ويزعمون بذلك أنهم مصلحون - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2]. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك الفترة التي كان المسلمونَ يستعدونَ فيها لمرافقة نبيهم الكريم للذهاب إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، قد لعب المنافقون فيها دوراً كبيراً في تثبيط الهمم وتوهين عزائم المؤمنين لعدم مرافقة نبيهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه في تلك الرحلة المحفوفة بالأخطار، وأخذوا يبثّون الشائعات المغرضة، ذلك لأنه رسخ في نفوسهم المريضة أن مُشركي مكة سيحولُون دون دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من الصحابة الكرام مكة بالقوة المسلحة.

ومعنى ذلك أن المسلمينَ ونبيهَم الكريم سيضطرون لخوض حرب ضروس وهم بعيدين عن بلادهم. فهي إذن رحلةٌ محفوفة بالمخاطر الجسام، لذلك فإن الكثيرين من ضعافِ الإيمان من المنتسبين إلى الإسلام، في الحاضرة والبادية، قد تأثروا بهذه الدعايات الكاذبة، والشائعاتِ المغرضة، وقد تثاقلوا عن هذه الرحلة الكريمة، وتخلفوا عن

---

(١) الإمام ابن القيم الجوزية: المرجع السابق ص ١٦.
(٢) سورة البقرة: الآية (١٢).
(٣) سورة الأنعام: الآية (١١٢).

ركب الإيمان متعللين بشتى الأعذار الكاذبة، من ذلك، أن انشغالَهم بأموالِهم وأهليهم لا يسمح لهُم بمصاحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرحلة المباركة.

بينما الباعثُ الحقيقيُّ لهذه الانهزامية هو ما رسخ في نفوسهم الضعيفة الإيمان من أن المعركة سوف تكون لصالح قريش وأن المؤمنين قد لا يعودون إلى أهليهم أبداً وظنوا ظن السوء وكانوا كما وصفهم القرآن الكريم قوماً بورا. قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُم أنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرسولُ والمُؤمِنُونَ إلىٰ أهْلِيهِمْ أبداً وَزُيِنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُم ظَنَ السَوْءِ وكُنْتُم قَوْماً بُورا﴾[1].

هكذا ظنوا، بل هكذا كانوا يتهامسون فيما بينهم، قائلين: (أنذهبُ إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه)[2]. ولكنهم تظاهروا بأنهم مشغولون بأهليهم وأموالهم، واعتذروا بذلك وقد خصهُم القرآنُ الكريم فيما بعد وكشف لنبيه الكريم وللناس جميعاً حقيقة أمرهم، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرابِ شَغَلَتْنَا أموالُنَا وأهلُونَا فَاستَغْفِرْ لَنَا، يَقُولُونَ بِأَلسَنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، قُلْ فَمَنْ يَملِكُ لَكُم مِنَ اللَّهِ شيئاً إنْ أرَادَ بِكُم ضَراً، أوْ أرادَ بِكُم نَفْعاً، بَلْ كانَ اللهُ بِمَا تَعمَلُونَ خَبِيراً﴾[3].

وهكذا فقد لعب المنافقونَ دوراً إعلامياً هاماً في هذه الفترة مستغلِّين فرصَهَم للتصَيُّدِ في الماء العكر، وذلك في تثبيط همم المؤمنين وتوهينِها من ناحية، والاتصال بقريش لإبلاغهم أخبار المسلمين من ناحية أخرى. وهذا شأنُ المنافقين في كل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿وإذا قِيلَ لَهمُ تَعالَوْا إلىٰ مَا أنْزَلَ اللهُ وإلىٰ الرَسُولِ رأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصدُونَ عَنْكَ صُدُودَا﴾[4].

---

(١) سورة الفتح: الآية (١٢).

(٢) السيرة الحلبية: جـ٢ ص ١٣٢ ـ المكتبة التجارية الكبرى.

(٣) سورة الفتح: الآية (١١).

(٤) سورة النساء: الآية (٦١).

غير أن هذه الانهزامية التي قعدت بالمنافقين وجعلتهم يُثبِطون عزائم ضعاف النفوس من المسلمين ليمتنعوا عن مرافقة النبي الكريم في هذه الرحلة المباركة... هذا التراجع لم يكن له أيُ أثر على عزائم الصفوة المؤمنة من أصحاب النبي ﷺ، الذين ما كادوا يسمعونَ بخبر الاستنفار الذي وجهه النبي الكريم للانضمام إلى ركبه المبارك للتوجه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، حتى تسابقوا فرحين مستبشرين ملبين نداء نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، مستهينين بكل ما يهوله المنافقون من كذب وادعاءات باطلة، بأن الرسول ﷺ وأصحابَه الكرام سيواجهون أخطاراً جساماً قد تحدث من جانب قريش في هذه الرحلة التي تحمل كل معاني التحدي لقريش وكبريائِها الوثني، وهم بعيدون عن المدينة المنورة.

وذلك لأن هذه الصفوة المؤمنة من أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه، كانت واثقة كل الثقة من أن سعادتها في الدنيا وفلاحها في الآخرة يكمن في طاعة ربها جل وعلا وطاعة نبيها الكريم الذي لا يدعوها إلاَّ إلى خير، ولا ينهاها إلاَّ عن شر. قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرسَلنَاكَ عليهِمْ حَفِيظاً﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿وَما أَرسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بإِذْنِ اللهِ﴾[2].

هذا ولقد عمل الإعلام اليهودي أيضاً ـ كعادته في زرع الفتن بين الناس وبث الأحقاد والإفساد في الأرض على نقل أخبارِ المسلمين وتحركاتِهم إلى أعدائهم من القبائل المشركة، في مكة المكرمة وغيرها من القبائل الأخرى في نجد والحجاز، وإعطائهم صورةً كاذبة عن وضع المسلمين السلمي في المدينة المنورة ولم ينفكّوا عن العمل بكل الوسائل الممكنة لتحريض هذه القبائل المشركة للهجوم على المسلمين، الذين كانوا يجاورونهم ويعايشونهم في المدينة المنورة، للقضاء عليهم.

---

(١) سورة النساء: الآية (٨٠).

(٢) سورة النساء: الآية (٦٤).

كذلك فقد عمل هذا الإعلام اليهودي المجرم في المدينة المنورة وغيرها على إيقاع الفتن والدسائس بين الناس ممن هم ليسوا على دينهم، وإضرام نار العداوة بينهم وذلك لإضعافهم وإحكام السيطرة عليهم وحتى تبقى زعامة المدينة المنورة بيد يهود.

والجدير بالذكر أن يهود هم عدة قبائل سكنوا المدينة المنورة منذ عهود بعيدة، وقد استغلوا أهلها حقبة من الزمن لمصالحهم الدنيئة أبشع استغلال، حتى جاء الإسلامُ فنشر العدل بين الناس وحرر الناس من عبادة العِباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وأهم هذه القبائل اليهودية هم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع. وكما هو معروف عن اليهود في حاضرهم وماضيهم ومستقبلهم، أنهم لا يهنأ لهم عيشٌ، ولا يهدأ لهم بالٌ، إلاَّ على إيقاع الفتن بين الناس، وإشعال نار الحرب بين غيرهم من الأمم، ولا تستريح أعصابهم إلاَّ في أجواء الفتنة والإفساد في الأرض وسفك الدماء. لذلك فقد عمدوا إلى إشعال نار الفتنة والحروب المستمرة بين قبيلتي الأوس والخزرج اللتان جاءتا إلى المدينة المنورة وسكنتا فيها عقب سيل العرم. وكانت هاتان القبيلتان تجاوران وتعايشان يهود في المدينة المنورة، وقد اتَّخذَ يهود بني النضير من قبيلة الخزرج حليفاً لهم، واتخذ يهودُ بنو قريظة من قبيلة الأوس حليفاً لهم، وذلك حتى يسهل على يهود إيقاع الخلاف بين هاتين القبيلتين وإضعافهما وانهاكهما في الحروب المستمرة. وكذلك من أجل إبقاء السيطرة عليهما بصورة دائمة ومستمرة، ولإبقاء زعامة المدينة المنورة بأيدي يهود.

وعندما جاء الإسلام إلى المدينة المنورة فقد أحل المحبة والإخاء والمودة بين الناس بدلاً من البغضاء والأحقاد وسفك الدماء. فقد آخى النبيُ ﷺ بين هاتين القبيلتين، وجمعَ بينهما على الخير والمحبة في ظل الإسلام الذي تدعوا شرائعه السماوية السمحة إلى إرساء قواعد الخير والمحبة والوفاق والعدل بين الناس. وقد سماهما رسول الله ﷺ، بالأنصار،

وأصبحت هاتان القبيلتان تنعمان بالمودة والحب و لإخاء والاستقرار النفسي في ظل الإسلام، وقد اتجهتا إلى البناء والتعمير بدلاً من الحرب والتدمير، الأمرُ الذي انزعج له يهود في المدينة المنورة، مما جعلهم يشعرون بأن الإسلام إنما جاء لِيُفَشِّل ويحبط مخططاتهم في استعباد الناس فأخذوا يبحثون عما يستطيعون به إيقاع الخلاف بين هاتين القبيلتين وإرجاعهما إلى الحظيرة اليهودية، فعمدوا إلى حبك الدسائس و لمؤامرات الدنيئة بينهما، والعمل بكل الوسائل لإشعال نار الفتنة وإعادة لحرب بينهما من جديد وذلك بتذكيرهما بالأحقاد والثارات القديمة، كيوم بعاث. فقد ذكر ابن إسحاق قال: (ومر شاسي بن قيس، الذي كان شيخاً قد عسا[1] والذي كان عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من إلفتهم، وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع مَلَؤهم بها من قرار، فأمر فتىً شاباً من يهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله، وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بُعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج قتالاً شديداً قبل الإسلام وقُتل من القبيلتين خلقٌ كثير.

قال ابن إسحاق: ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى تواثب رجلان فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة (والظاهرة: الحرة)، السلاح السلاح فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من الصحابة المهاجرين حتى جاءهم فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم!! بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية

---

(١) عسا: تمكن من كفره، فصعب إخراجه منه.

واستنقذكم به من الكفر وألّف به بين قلوبكم». فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدٌ من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجالُ من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاسي بن قيس، فأنزل الله تعالى في شاسي بن قيس وما صنع ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ واللَّهُ شَهيدٌ عَلىٰ مَا تَعْمَلُونَ، قُل يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تبغُونَهَا عِوَجاً وأَنْتُم شُهَدَاءَ وَمَا اللَّهُ بغَافِلٍ عَمَّا تعمَلُونَ﴾[1])[2]. وقال تعالى للمؤمنين: ﴿واعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللَّهِ جَميعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُم إذ كُنْتُم أعداءَ فأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبكُم فَأَصْبَحْتُمْ بنِعْمَتِه إخْوَاناً وَكُنْتُم عَلىٰ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَارِ فأنْقَذَكُم مِنْها. كَذَلِكَ يُبينُ اللَّهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

والجديرُ بالذكر أن دعوة الإسلام التي جاءت بمنهج الحق والخير للبشر جميعاً قد لقيت من المجتمع الجاهلي، الذي عملت على تحريره وتطهيره، وإنقاذه من الضلال، ما لا بد أن يلقاهُ الحق الذي يواجه الباطل من معارضة واستهتار وعناد واستكبار، فكانت الأوضاعُ المعوّجة الشوهاء التي أقامتها الوثنية وعمقتها العصبية، أكثف حجاب مظلم بين الشرك والإيمان.

ومما يذكر أن موقف العداء المستمر للإسلام والمسلمين من جانب يهود قد بدأ في المدينة المنورة منذ هجرة الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام من أهل مكة إليها، فقد كان موقفهم من الإسلام أشدُ كفراً وأبعدُ مكراً، فقد كفروا بالحق الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، حين كذبوا رسول

---

(١) سورة آل عمران: الآيات (٩٨ ـ ٩٩).

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٥. دار الفكر.

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٣). وقد ذكر ابن كثير أن هذه الآية قد نزلت بشأن الأوس والخزرج جـ ص ٣٨٩.

الله ﷺ، وهم يجدون البشارة به فيما يتلون من كتاب. ولقد عزَّ عليهم - حسداً وبغياً - أن يكون النبي - الذي كانوا يقولون للعرب: قد أظلنا زمانه - من غير يهود، وساءهم أن ينزل القرآن بلسان عربي مبين، كانوا يعرفون أن رسول الله ﷺ هو النبيُ المنتظر الذي ينتظرون. وإن ما أُنزل عليه من الآيات هدى، وحق ونور، ولكن غلبت عليهم شقْوَتُهم المتأصلة فيهم، فلم يخرجوا عن أن يكونوا حلقةً جديدة في سلسلة الشر والكفر والمكر، سلسلة الضلال والحقد والعدوان الذي عُرف به يهود في أحقاب التاريخ.

لم يكفهم أن يكفروا، وكل ما حولهم يبعث على الهداية والإيمان، بل اندفعوا، بكل ما عُرِفَ عنهم من نوازع الشر وحبائل المكر يصدّون الناس عن دين الله القويم، ويعملون على إيقاد نار الفتن، وإثارة عوامل التفرقة، وقطعِ روابط الألفة، وهدم قيم الحق والخير يبغون في الأرض بغير الحق، وهم أهل العوج والإنحراف، يفسدون في الأرض والله لا يحبُ الفساد، حتى تسود البغضاء وتنتشر الفتن، ويبعُدُ الناس عن سبيل الاستقامة والرشاد والخير.

ولقد كان هدف هؤلاء الأعداء الحاقدين أن يردوا المؤمنين إلى الكفر، بعد أن أكرمهم الله بنعمة الإيمان، وأن يقذفوهم في حضيض التمزق والضياع بعد أن سلكوا سبيلهُم إلى تسلُّم قمم العلياء في الوحدة والنور، كانوا يريدون لهم الضياع كما كان شأنهُم في الجاهلية، حتى يبقوا حيارى تائهين تفترسهم العصبيات وتفتكِ بهم العداوات، وتدمرهم الأحقاد والعداوات والثارات.

إنهم يريدون - وهذا شأنهم في كل عصر - أن يبتعدَ المسلمون عقيدة وفكراً وعملاً وخلقاً، وتربيةً ونظاماً، عن سبيل الله الذي يحققُ لهم الوجودَ الحق، والكيانَ القويَ، والمجدَ الرفيع، والنصرَ الكبير، وليس سبيلهم إلى تحقيق ما يريدون من أذى وشر وفساد إلاّ العمل على فصم عرى المودة والإخاء، وإثارة نوازع العداوة والبغضاء وبث الفتن وتوهين العزائم، والكيد والدسائس ضد المسلمين بموالاة أعدائهم من القرشيين وغيرهم. لذا فقد

جاءت آيات الله سبحانه تكشِفُ حقيقتهم وتفضح حركتهم، وتحذر المؤمنين من شرهم. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والذينَ أَشْرَكُوا. . . الآية﴾[1].

٢ ـ الصفوة المختارة تستجيب:

لم يكن لهذا التراجعُ والانهزاميةُ أيُ أثرٍ على الصفوة المؤمنة التي لبَّت نداءَ ربها ونبيها للذهاب للعمرة ولقد جاء وحي الله تبارك وتعالى يهتفُ بالمَؤمنين ليُطيعوا الله ورسوله، ولا يتولوا عنه وهم يسمعون آياته وكلماته. وجاء التحذيرُ من التولي والإعراض مقترناً بذكر شر الدوابِ التي فقدت السمع والنطق والعقل، وتلك صورةٌ ينفر منها الإنسان المؤمن ويأبى أن ينحدرَ إليها ولذلك كان اقترانُ الدعوة للطاعة والتحذير من التولي بهذا المثل الحي في ذروة العظمة والتذكير والتأثير. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. إن شرَ الدَوَابِ عِندَ اللهِ الصُمُّ البُكمُ الذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يا أيُها الذِينَ آمنوا استجِيبُوا للهِ وللرَسُولِ إذا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُم، واعَلمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَينَ المَرءِ وقَلْبِهِ وأَنَهُ إليْهِ تُحشَرُونَ﴾[3].

أما تلبيةُ المؤمنِ لدعوة رسول الله ﷺ، فإن ذلك يعني أن هذا المؤمن قد استجاب للنداء وتلاءَمَ مع دعوة الحق التي ملأت قلبَه وطهرت وجدانه، وارتفعت به إلى نور الإيمان الذي أكرمه الله تبارك وتعالى به، فاستقام بذلك خلقه، وصح اتجاهه، وخلص للخير عمله. وتلك هي عناصر الإيمان.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٨٢).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٢).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

ولقد عُنيَ الإسلام منذ البداية عناية كبيرةً في تربية المسلم تربيةً متكاملة، تحررُ عقلَه، وتهذب نفسه، وتطهر وجدانه، وتوازن بين ضرورات جسمه وأشواق روحه، وتُنمِّي فيه بواعث الإيمان، وأنه لا بد لدعوة الحق من مثل هذه النماذج الرفيعة المستوى التي تتحرر من أغلالِ الأهواء، وتسمو عن نوازع النفس، وتعلو فوق قيود التراب، لتنطلق بعزم وإخلاص في آفاق رحبة وضيئة تزرع في جنباتها غرسَ الإيمان الخالص الذي سرعان ما يخرج نباته بإذن ربه طيباً داني القطوف.

ومن الطبيعي أن المِحنَ والشدائدَ وعنفِ المجابهة وحِدَّة الصراع هي المناخ الصالح لإعداد هذه النماذج الفريدة، وتربيتها وتكوينها، وجعلها القاعدة الصلبة الثابتة التي يُعَوَّلُ عليها ويُستَنَدُ إليها في المعارك والأزمات، لأنها الصفوة المختارة الخالصة التي لا يزيدها لهب المعارك إلَّا توهجاً وصفاء. وقد أُتيح لدعوة الإسلام في فجر الرسالة إعداد فئة من هؤلاء الأفذاذ، الذين استجابوا لله وللرسول، فضربوا أروع الأمثلة في البطولة والفداء، وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿من المُؤمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عـاهَدُوا اللَّهَ عليـهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَـظِرْ وَمَا بَـدَّلُـوا تَبْدِيلاً﴾[1].

إن هؤلاء الأبرار الذين نهلوا من معين النبوة وتربّـوا في مدرسـة الرسول ﷺ، إنما كانوا الترجمة الحية المتحـركة للمبـادىء والمثل التي جاءت بها العقيدة الإسلامية، لأنهم آمنوا بها وفهموها ووعوا أبعادها الكبرى في الحياة، فلم يقفوا عند حدود معرفتها وتعلُّمها والتعمُّق في معانيها، بل خَطَوا بها أشواطاً بعيدة في مضمار التبليغ والدعوة إلى الله عز وجـل، والجهاد في سبيله لرفع راية الحق وإزالة الظلم والطغيان، فكانوا بذلك مشاعلَ الهداية التي أضاءت للبشرية جميعاً سبيل الخير والرشاد. فقـد حُمِّلوا الأمانةَ فحملوها على أحسن وجه، واستجابو لدعوة نبيهم ﷺ طائعينَ

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢٣).

ملبين هذه الدعوة الكريمة، مؤثرينَ رضى الله سبحانه ورسوله ﷺ: لذلك فقد كان هؤلاء الصحابة الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ: لهذه العمرة، هم الصُفوة المختارة فعلاً.

عدد أهل الحديبية:

تختلفُ الروايات في تحديد عدد الصحابة الذين أعلنوا عن عزمهم لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لهذه الرحلة المباركة.

فقد ذكر ابن إسحاق: (أن رسول الله ﷺ خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر. وأضاف: وكان حابر بن عبدالله فيما بلغني يقول: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة)[1].

هذا وقد أخرج الإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه عن رواية البراء بن عازب رضي الله عنهما، أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة أو أكثر[2].

وقد ذكر البخاري أيضاً في إحدى الروايتين عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ ألفاً وأربعمائة[3].

وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى، أن الرسول ﷺ خرج عام الحديبية ومعه من المسلمين ألفٌ وستمائة، ويقال ألفٌ وأربعمائة، ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً[4].

والجدير بالذكر أن الراجح في جميع هذه الروايات أن الصحابة الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمرة الحديبية كان

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية: جـ٣ ص ٣٥٦ ـ دار الفكر.

(٢) انظر صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية مجلد ٥ ص٦٢ ـ ٦٣. دار الفكر.

(٣) صحيح البخاري: المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد: مجلد (٢) ص ٩٥. دار صادر بيروت.

عددهم ألفاً وأربعمائة رجل ورجح ذلك ابن القيم في زاد المعاد[1].

هذا وقد كان تاريخ خروج النبي ﷺ وأصحابه الكرام لعمرة الحديبية هو يوم الاثنين لهلال ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة. وقد ورد هذا التاريخ في كثير من كتب السيرة[2].

الإهلال بالعمرة:

بعد أن أتم الصحابة الكرام تجهيزاتهم واستعداداتهم للسفر، خرج النبي ﷺ وأصحابه الكرام من المدينة المنورة وانطلقوا في الطريق المؤدي إلى مكة المكرمة.

وعندما وصل الركب الكريم إلى ذي الحليفة[3]، وقف النبي ﷺ هو وأصحابه الكرام للإحرام وتقليد الهدي وأشعاره فدعى رسول الله ﷺ بالبدن، فجللت وقلد وأشعر بنفسه عدد منها وهن متوجهات نحو القبلة، وكان من بين الهدي جملاً لأبي جهل بن هشام غنمه النبي ﷺ يوم بدر[4].

هذا وقد أحرم النبيُ ﷺ من ذي الحليفة بالعمرة وأحرم بإحرامه عامة الصحابة الكرام، ثم دعي براحلته القصواء فركبها من باب المسجد في ذي الحليفة ثم أَهَلَّ هو وصحابته الكرام بالتلبية وانطلق الركب النبوي باتجاه

---

(١) انظر زاد المعاد جـ٢ ص ١٢٣. لابن القيم الجوزية.

(٢) أ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ ص ٩٥.
ب ـ السيرة الحلبية ص ١٩٣.
جـ ـ بهجة المحافل للإمام الفقيه أبي بكر العامري م ١ ص ٣١١.
د ـ السيرة النبوية والآثار المحمدية: مجلد ٢ ص ٣٨.
هـ ـ إمتاع الأسماع المقريزي: ص ٢٧٥.
و ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ٧ ص ٤٤٠ دار البحوث العلمية.

(٣) ذو الحليفة (بضم الحاء) ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان جـ٢ ص ٢٩٥، بأنها إحدى ضواحي المدينة المنورة، وتقع على بعد حوالي ستة أو سبعة أميال منها، وتسمى ذو الحليفة اليوم بأبيار علي. ومنها ميقات أهل المدينة.

(٤) انظر ابن هشام: السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٦٩. دار الفكر.

مكة المكرمة في موكب مهيب وفي مظهر إعلامي رائع، وهم يرددون التلبية وأصواتهم تشق عنان السماء بها.

وبهذه الحالة يكون النبي ﷺ وأصحابه الكرام، قد دخلوا في حالة العمرة وأنهم في وضعهم الحالي لا يجوز لهم فعل كثير من الأشياء بما فيها القتال، إلّا في حالة الدفاع عن النفس، وكذلك لا يجوز ـ في عرف العرب ـ التعرض لهم بقتال وهم على حالتهم التعبدية هذه.

٣ ـ المظاهر الإعلامية في شعائر العمرة:

انطلق الصوتُ الإسلامي مجلجلاً عبر الصحراء ليذيعَ رسالةً إعلامية ذات دلالة ومعنى في المفهوم الإعلامي.

وكانت تلك الرايات الإعلامية ذات المعاني المعبرة تدل دلالة واضحة علي المحتوى الحقيقي لهذه الرحلة المباركة، وقد تمثَّلت في صورة بديعة استُخْدِمَت فيها ما تستخدمه أرقى الوسائل الإعلامية في عالمنا اليوم، وذلك في نقل الصورة المتحركة والصوت المسموع لدى المشاهدين بشكل واضح وجلي.

ولا شك أن هذه الشعيرة التعبدية قد عبرت عن مدلولاتها الحقيقية وعن أغراضها الإعلامية المرجوة منها بشكل كامل، وذلك بما تضمنته هذه الشعيرة التعبدية من سمات إعلامية واضحة. ولا بدّ لهذه المدلولات الإعلامية بشيء من التفصيل:

١ ـ الشهر الحرام: لقد كانت هذه الرحلة المباركة في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ـ كما جرى تحقيق ذلك من قبل ـ ومعلوم أن شهر ذي القعدة هو من الأشهر الحرم التي لا يجوز القتال فيها ـ حسب قانون العرب كافةً ـ بحال من الأحوال. لذلك فإن طابع هذا المظهر الإعلامي يعكس المضمون السلمي للرحلة.

٢ ـ الإحرام: وهذا مظهر إسلامي تعبدي ذو معنى إعلامي معبر عن الغرض الذي وجد من أجله، حيث عندما يرى المشاهدُ هذا المظهر فإنه لا

يساوره أدنى شك بأن الشخص الذي يرتدي هذا الإحرام قد دخل في النُسك، وإنه قد أعدّ نفسه إلى مهمة تعبدية خاصة.

٣ ـ **الصوت**: وهذا الصوت هو صوت التلبية الذي يهل به الحاج، أو المعتمر في بداية دخوله في النسك من الميقات الذي يحرم منه. ومضمون هذه التلبية أربع عبارات هي كالآتي:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

ومما يجدر ذكره، أن من شروط المُحرم أن يرفع صوته في التلبية كلما نزل وادياً أو صعد مرتفعاً، وعلى طول الطريق الواصل بين الميقات والحرم الشريف بمكة المكرمة مهما طال هذا الطريق، وذلك اقتداءً بسنّة النبي ﷺ. ويُعتبرُ رفعُ الصوتِ هنا بمثابة الإعلان الذي يعلِن به المسلم بأنه قد لبى نداء الله بالحج أو العمرة وأنه قد بدأ فعلاً بتنفيذ هذه المهمة.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (ربما كان أول شكل من هذه الأشكال الدعائية هذا المشهد الذي يردده الحجيج وهم مقبلون على مكة المكرمة، ويرددونه أثناء طوافهم بالكعبة، وهو النشيد الذي وضعه لهم رسول الله ﷺ. وفيه يقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك... إلخ». ثم يضيف الدكتور حمزة في وصفه لهذا المشهد بقوله: إنه مشهد رائع جميل من مشاهد الدين يُثبِّتُ العقيدة في نفوس المسلمين، ويزرع الإيمان والسكينة زرعاً آخر في قلوب المؤمنين. ثم يضيف قائلاً: وللأناشيد الحماسية في كل ثورة دينية أو سياسية أثرها الذي لا يحتاج منها إلى شرح)(١).

والله سبحانه له حكمة جليلة في جعل فريضة العمرة مثل فريضة الحج مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وأتِمُوا الحَجَ والعُمْرةَ للهِ﴾(٢). والعمرةُ

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة. من كتابه الاعلام في صدر الإسلام ـ ص ٨٢ دار الفكر العربي.

(٢) سورة البقرة: الآية (١٩٦).

فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة مرة واحدة في العمر. ولكن ذلك كما هو في الحج ـ على المستطيع ـ بكل ما لهذه الاستطاعة من معنى وذلك للآية السالفة الذكر.

٤ ـ **إشعار الهدي وتقليده**: وتعتبر هذه الإشارات ذات معنى ومدلول إعلامي واضح يفهم المشاهدُ منها أن هذا الحيوان الذي يحمل هذه العلامات إنما هو هدي بالغ الكعبة.

٥ ـ **المظهر الإعلامي المعبر**: لا شك أن هذا المظهر الإعلامي المتكامل يعكس صورة متحركة لذلك الموكب الإسلامي المهيب ذي الزي الموحد والحركة المنتظمة والصوت المجلجل الذي يشق عنان السماء بالتلبية وهم في طريقهم عبر الصحارى والوديان باتجاه مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة.

إن هذا المظهر الإعلامي ذو الرموز الإعلامية المتعددة ليُعبرُ أصدق تعبير عن المعنى المقصود لهذه الرحلة المباركة، وإنه يشكلُ كذلك عملية إعلامية للاتصال غير المباشر بالمشاهدين من الناس على طول الطريق بين مكة والمدينة المنورة عن طريق هذه الرموز ذات الدلالات الإعلامية المعبرة، الأمر الذي أدى إلى تنشيط الحركة الإعلامية في الرأي العام في تلك المناطق مما أكسب الدعوة الإسلامية نجاحاً إعلامياً هائلاً، وقد استطاع عربُ الجزيرة العربية معرفة الكثير عن الإسلام ومبادئه السلمية النبيلة عن طريق هذه الرحلة المباركة.

وهكذا فقد كان تأثيرُ وسائل الإعلام المتداخلة بعضها في بعض تأثيراً مباشراً في إظهار أهداف ومبادىء الدين الإسلامي في هذه الرحلة وذلك ضمن العملية الإعلامية المتكاملة التي شاركت فيها كلُ وسيلةٍ من تلك الوسائل الإعلامية المذكورة بقدر معين من التأثير بما يتناسب والمفاهيم السائدة في تلك المجتمعات، كما يوضح لنا ذلك الدكتور أحمد بدر بقوله: (يتأثر الرأيُ العام ـ كما تتأثر العمليات الاجتماعية الأخرى ـ بطرق الاتصال ووسائله، وعلى الأخص بحجم الجماعات الداخلة في هذه

العملية، وأماكن انتشارها وطرق الاتصال المذكورة هذه تشمل كلَ السبل التي ينتقل بها المعنى أو الإشارة أو الرمز من شخص إلى آخر، أو من جماعة إلى أخرى. . . . وكل عمليات الاتصال تعتمدُ على الأشكال الرمزية التي يستخدمها الفرد من الثقافات التي يعيش فيها أو يتعلمها من خبراته الشخصية)[1].

٤ ـ قريش تتلقى نبأ الرحلة:

لقد ذاع بين العرب نبأ خروج النبي ﷺ وصحابه الكرام إلى مكة المكرمة، لأداء مناسك العمرة. ولم يكن في هذا الخروج ما يدعو إلى الدهشة أو الاستغراب بين العرب الوثنيين عموماً. لأن زيارة البيت ـ وخاصة في الأشهر الحرم ـ هو حق مشاعٌ لكل إنسان، مهما كان دينه أو لونه أو جنسه، وذلك قانونٌ غير مكتوب، ومُجمعٌ على العمل به بين جميع القبائل العربية.

غير أن قريشاً تجاهلت هذا القانون الذي كان ويجب أن تكون أول من يلتزم به ويحرُص على تنفيذه، لأنها حتى ذلك الحين كانت هي السادنة للكعبة، والمسؤولة بين العرب عن جميع المشاعر التي يعظِّمُها العرب في مناسكِهم، ومطلوبٌ منها إعطاءُ كل التسهيلات لمن جاء راغباً في زيارة البيت حتى ولو كان في حالة نزاع مسلح معها، ما دام أنّه لم يأت محارباً، لأن لمنطقة الحرم قدسية خاصة عند العرب تجعل من المحرَّم تحريماً قاطعاً سفك أي دم أو إنشاب أي حرب داخل حدوده، ذلك هو القانون والعرف السائد بين عرب الجزيرة منذ آلاف السنين.

ولكن قريشاً قد تملكها الغرور ـ بعد أن استبد بها الغضب ونزا بها الحمق ـ فضربت بهذا العُرف عرضَ الحائط حينما قررت ـ بإصرار ـ منع النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة بالرغم من علمها اليقين بأنهم لم يأتوا للحرب وإنما جاؤوا عماراً ومحرمين. وإن جميع مظاهر هذه الرحلة

---

(١) الدكتور أحمد بدر: الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ٥٢. دار القلم.

المباركة تدل على أن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام إنما جاؤوا لزيارة البيت وتعظيمه والطواف به.

فلقد اعتبرت قريشاً خروج النبي ﷺ نحو مكة ـ وفي هذا العدد الكبير من أصحابه ـ بادرة خطيرة وتحدٍ سافرٍ، أحس منه ساداتُ مكة أن فيه مساساً بكرامتهم، وخدشاً لكبريائهم الوثني، وإنه بالنسبة للعرب أجمعين، بمثابة الدليل العملي على ضعف قريش السياسي وانخفاض هيبتها العسكرية، وتضعضعٍ لدورها القيادي بين العرب.

كما أن قريشاً قد اعتبرت هذا التصرف من جانب النبي ﷺ، وأصحابه الكرام رداً ـ في صورة تحدٍ ـ على ما قامت به من أعمال إرهابية ضده وضد القلة من أصحابه عندما كانوا في مكة، مما اضطرهم إلى مغادرتها مكرهين.

ولم يستطع النبي ﷺ ـ منذ أن خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة المنورة، بعد أن أهدرت قريش دمه الشريف ـ ولا أحداً من أصحابه الاقتراب من مكة فضلاً عن دخولها بصورة علنية.

ولكن ها هو وبعد مرور أقل من ست سنوات على هجرته يأتي إلى مكة المكرمة قادماً من المدينة المنورة، لا وحيداً ولا مستخفياً هذه المرة، وإنما على رأس ألف وأربعمائة من أصحابه الكرام، كلهم يفديه بماله وأهله وروحه، إنه إذن التحدي في أجلى صُوَرِهِ وأشكاله لكبرياء قريش وغطرستها وتعنتها، هكذا فهم القرشيين من هذه الحالة التي قدم بها رسول الله ﷺ إلى مكة مع هذا العدد الكبير من أصحابه الكرام.

وعلى أثر هذا النبأ، فقد عمت مكة موجةٌ من الغضب والاستياء الشديدين مما أدى إلى عقد اجتماع طارىء في دار الندوة.

اجتماع طارىء:

لقد سارع زعماء قريش إلى عقد اجتماع طارىء في دار الندوة للتشاور فيما بينهم وللاتفاق على خطة يضعونها لمواجهة هذا التطور الخطير

الذي نتج عن خروج النبي ﷺ وأصحابه الكرام، قادمين نحو مكة المكرمة.

وبعد مناقشات طويلة بين زعماء قريش المجتمعين في دار الندوة تم الاتفاق على تشكيل لجنة من ثلاثة أشخاص من سادات مكة، وتكون مهمة هذه اللجنة اتخاذ القرارات اللازمة ومعالجة الوضع الناتج عن التطورات المحتملة للموقف أولاً بأول وهؤلاء الأشخاص هم

١ ـ عكرمة بن أبي جهل المخزومي[١].
٢ ـ صفوان بن أمية الجمحي[٢].
٣ ـ سهيل بن عمرو العامري[٣].

---

(١) عكرمة بن أبي جهل المخزومي: قال ابن الأثير في (أسد الغابة في معرفة الصحابة م ٣ ص ٤ ـ ٥) هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي، أسلم بعد الفتح بقليل وحسن إسلامه وقد حارب المرتدين في زمن الخليفة أبي بكر الصديق، ولما فرغ من قتال المرتدين سار مجاهداً إلى الشام وقد دخل معارك اليرموك وإجنادين وقيل أنه استشهد في اليرموك وقيل في إجنادين.

(٢) صفوان بن أمية القرشي الجمحي. يكنى بأبي وهب. كان أحد أشراف مكة في الجاهلية وكان من أفصح قادة قريش. هرب إلى جدة يوم الفتح ثم تشفع به أحد أصحابه وجاء به إلى مكة وقد شهد حُنَيْنْ مع المؤلفة قلوبهم، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. وقيل إنه مات بمكة سنة اثنتين وأربعين أول خلافة معاوية. وقيل توفي عام مقتل عثمان. (أسد الغابة م ٣ ص ٢٢ ـ ٢٣).

(٣) سهيل بن عمرو العامري: قال ابن الأثير في أسد الغابة: (إنه أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، يكنى أبا يزيد، وهو أحد أشراف مكة وعقلاء قريش وخطبائهم وساداتهم، أسر يوم بدر، وكان كافراً، وكان أعلم الشفة. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يا رسول الله: انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال الرسول ﷺ: «دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمده عليه». فكان ذلك المقام، أن رسول الله ﷺ لما توفي ارتجت مكة لما رأت قريش من ارتداد العرب واختفى عتاب بن أسيد أمير مكة، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فقال: يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما... في كلام طويل مثل كلام أبي بكر في ذكر وفاته النبي ﷺ. وهذا سهيل هو صاحب القضية يوم الحديبية مع رسول الله ﷺ حين اصطلحوا. لم يكن أحداً من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم أكثر صلاة ولا صوماً ولا صدقة، ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة منه حتى أن كان قد شحب وتغير لونه وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن. كان يقول: لعمري لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية، =

قال الواقدي في مغازيه: (ولما بلغ المشركين خروج النبي ﷺ إلى مكة المكرمة، راعهم ذلك، واجتمعوا له، وشاوروا فيه ذوي الرأي منهم، فقالوا: يريد - أي النبي ﷺ - أن يدخل علينا عنوة في جنوده، معتمراً، فتسمع به العرب، وقد دخل علينا عنوة، وبيننا وبينه ما بيننا، والله لا يمكن هذا أبداً ومنا عين تطرف، فارتأوا رأيكم؛ فأجمعوا أمرهم وجعلوه إلى نفر منهم وهم - صفوان بن أمية... وسهيل بن عمرو.... وعكرمة بن أبي جهل[1].

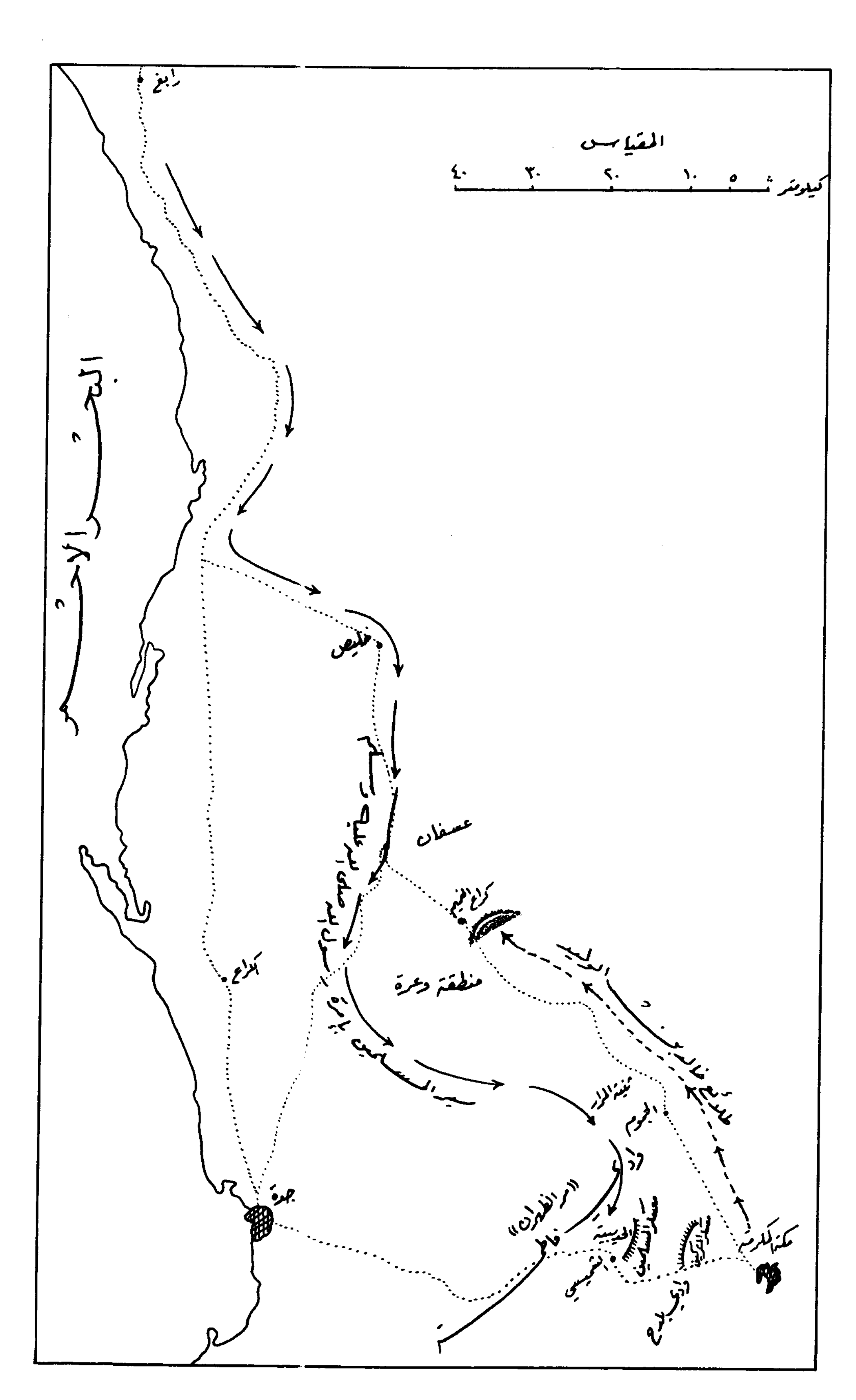
هذا وقد اتخذت هذه اللجنة الثلاثية عدة قرارات هامة هي: وضع المنطقة في حالة طوارىء عسكرية واستنفار كل قادر على حمل السلاح من قريش وطلب المساعدة العسكرية من ثقيف والأحابيش. وتكوين قوات كثيفة من الفرسان وإعطاء قيادتها لفارس قريش خالد بن الوليد، على أن تعسكر هذه القوات من الفرسان على الطريق الرئيسي بين مكة والمدينة المنورة، وذلك لاعتراض المسلمين وإفهامهم، عملياً، بأن قريش قد قررت وبدون رجعة منعهم من دخول مكة بالقوة المسلحة.

ومن ثم إقامة جهاز دقيق جداً للأغراض الإعلامية والعسكرية تكون مهمة هذا الجهاز إعلام قريش أولاً بأول عن أخبار المسلمين وتحركاتهم، وذلك بوضع العيون على الجبال البعيدة عن مكة والتي هي بموازاة الطريق المعتاد الذي سيمر منه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وإبلاغ قريش، في معسكرها الرئيسي الذي أقيم في وادي بلدح[2] عن كل ما تحتاجه من

= ورفع الله أقواماً بالإسلام كانوا في الجاهلية لا يذكرون، فليتنا كنّا مع أولئك فتقدمنا وأرجو الله أن ينفعني بدعاء أهل بيتي، فقد شهدت المواطن كلها وأنا فيها معاند للحق، وأنا وليت أمر الكتاب يوم الحديبية بإصرار، إني لأذكر مراجعتي رسول الله يومئذٍ وما كنت ألفظ به من الباطل، فأستحي من رسول الله. قيل إنه استشهد باليرموك. وقيل مات بطاعون عمواس) (أسد الغابة م ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٢).

(١) مغازي الواقدي: ج ٢ ص ٥٧٩. عالم الكتب بيروت.

(٢) بلدح: آخره حاء مهملة والدال قبله هي واد قبل مكة من جهة الغرب، ياقوت الحموي. معجم البلدان ج ١ ص ٤٨٠. انظر المخطط التفصيلي في آخر الكتاب.



المقياس
كيلومتر ٠ ٥ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠
رابغ
البحر الأحمر
خليص
عسفان
كراع الغميم
منطقة وعرة
جدة
الجموم
وادي
«مر الظهران»
الحديبية
الشميسي
مكة المكرمة

المعلومات الضرورية عن تحركات المسلمين ومدى قوتهم وعددهم وعدتهم، وتحليل الأخبار وإبلاغ النتائج في غاية السرعة الممكنة وذلك لاتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة الموقف المتجدد.

قال الواقدي: (واستنفرت قريش من أطاعها من الأحابيش، وجلبت ثقيف معهم، وقدموا خالد بن الوليد في الخيل، ووضعوا العيون على الجبال حتى انتهوا إلى جبل يقال له وزر[1] وزع، كانت عيونهم عشرة رجال قام عليهم الحكم بن عبد مناف، يوحي بعضهم إلى بعض الصوت الخفي: فعل محمد كذا وكذا، حتى ينتهي ذلك إلى قريش ببلدح.

وخرجت قريش إلى بلدح فضربوا بها القباب والأبنية، وخرجوا بالنساء والصبيان فعسكروا هناك، ودخل بسر بن سفيان مكة فسمع من كلامهم ورأى منهم ما رأى ثم رجع إلى رسول الله ﷺ)[2].

---

(١) قال الواقدي: هكذا في الأصل، والوزر: الجبل المنيع (القاموس المحيط، ج ٢ ص ١٥٤).

(٢) الواقدي: المغازي: ج ٢ ص ٥٧٩ ـ ٥٨٠.

الفصل الثالث

مهمة إعلامية

١ ـ مهمة إعلامية هامة:

لقد كانت خبرة النبي ﷺ ببعوث الاستطلاع كخبرته بفنون القتال المختلفة، من حيث اختيار الزمان والمكان والرجال والمهمة، وفي اختيار القائد العسكري ورجل الإعلام الناجح وتزويده بالتعليمات والوصايا الإسلامية، فكانت هذه الخبرة، مثلاً يُحتذى به في جميع العصور.

حيث كان عليه الصلاة والسلام أعرف الناس ببعوث الاستطلاع والحصول على أخبار أعداء الإسلام وأماكنهم وعددهم وعدتهم وقياداتهم وحتى عن معنوياتهم، وكل ما يتعلق بالأسباب التي تؤدي إلى كسب المعارك وتغليب المقاصد، ولا سيما في العصور التي كثرت فيها ذرائع التورية والمراوغة والكشف، مما جعل حاجة المقاتلين من المسلمين إلى استقصاء أخبار الأعداء من الأمور الملحة.

وقد أعد لهذه المهمات من الأسباب والدراسات ما جعلها علماً من العلوم العسكرية الهامة في كل عصر من العصور على مرّ الزمن حسب إمكانيات كل عصر.

والجديرُ بالذكر أن رسول الله ﷺ منذ أن أقام حكومته الإسلامية في المدينة المنورة عمد إلى إرسال دوريات الاستطلاع، وذلك ليتعرف المسلمون على الطرق المحيطة بالمدينة المنورة والطرق المؤدية إلى مكة والقادمة منها بصورة خاصة، وذلك ليرصدوا حركات أعداء الإسلام والمسلمين، المتربصين بالمسلمين الدوائر من جهة، وليوادعوا بعض القبائل المجاورة من جهة أخرى.

وفي هذا الخصوص من المهمات العسكرية الاستطلاعية والإعلامية الهامة، وبالنظر للظروف الحساسة لتلك المرحلة وما لها من شأن عظيم في حياة المسلمين ومستقبلهم، فقد عهد الرسول ﷺ، وهو في ذي الحليفة، وقبل أن يتوجه إلى مكة - عهد إلى رجل من أصحابه ليقوم بمهمة استطلاعية، وذلك بأن يتقدم أمام المسلمين ليكتشف المنطقة أمامهم وليقوم بمهمة جمع الأخبار عن قريش داخل مكة وخارجها، وعن تحشداتها العسكرية، وعن ردود الفعل الناتجة عن خروج الرسول ﷺ وصحبه الكرام إلى مكة في هذا العدد الكبير، وقد كان هذا الرجل الذي أعده رسول الله ﷺ لهذه المهمة الإعلامية هو بسُر بن سفيان الخزاعي(١)، كما

---

(١) بُسر (بضم أوله وسكون ثانيه) بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي من سادات خزاعة قال ابن حجر في الإصابة (ج ١ ص ١٥٤) أن بسر بن سفيان الخزاعي كتب إليه النبي ﷺ وكان شريفاً في قومه وقد أسلم سنة ست من الهجرة وجرى ذكره في حديث الحديبية.

- وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (مجلد ١ ص ٦٧) أن بسر بن سفيان الكعبي الخزاعي أسلم سنة ست للهجرة وبعثه النبي ﷺ عينا له إلى مكة وشهد الحديبية مع الرسول ﷺ.

- وذكر ابن الأثير في (أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ١٨١ - ١٨٢) هو بسر بن عمرو بن عويمر الخزاعي كان شريفاً كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام وله ذكر في قصة الحديبية.

- وذكر الزرقاني في المواهب اللدنية (م ٢ ص ١٨١ - ١٨٢) دار الكتب العلمية - لبنان - أن الرسول ﷺ اختار بسر بن سفيان الخزاعي، وهذا لقرب عهده بالإسلام، لأنه أسلم في شوال فلا يظنه من رآه بأنه عيناً فلا يؤذيه.

- كما ذكر المقريزي في كتابه (إمتاع الأسماع - ج ١ ص ٢٧٤) أن بسر بن سفيان الكعبي الخزاعي كان قد قدم إلى رسول الله ﷺ مسلماً في ليال من شوال فقال له يا بسر لا =

ذكر ذلك ابن هشام[1]، والواقدي[2] وغيرهما من أصحاب كتب السيرة النبوية.

ويتضح مما تقدم أن من جملة الأسباب التي توافرت لاختيار هذا الرجل لهذه المهمة الخطيرة هو كونه حديث عهد بالإسلام، وأن قريشاً لم تكن تعلم بإسلامه بعد، لهذا فإنه لا يتطرق إليها أدنى شك من دخول مكة أو خروجه منها، أو حتى من دخوله إلى داخل معسكراتها وإلى دار الندوة نفسها. وقد حصل فعلاً أن مبعوث رسول الله ﷺ الذي يحمل مهمة المراسل الحربي قد دخل إلى داخل معسكرات قريش وحليفاتها في الأماكن التي أعدتها لمواجهة النبي ﷺ وصحابته الكرام في منطقة بلدح، وهي منطقة تقع خارج مكة قليلاً، وقد حصل بسر الخزاعي على كافة المعلومات المطلوبة لمهمته الإعلامية التي كلفه رسول الله ﷺ بها.

والجدير بالذكر أن بسر بن سفيان الخزاعي كان أحد زعماء قبيلة خزاعة البارزين، لذا فهو ذو مكانة سياسية واجتماعية رفيعة، وهو معروف لدى قريش بوزنه السياسي الأمر الذي لا يدعو قريشاً إلى منعه أو حتى الشك فيه.

= تبرح حتى تخرج معنا فإننا إن شاء الله معتمرون.

ـ وذكر الواقدي في مغازيه تماماً مثل رواية المقريزي. انظر ج ٢ ص ٥٧٢ (طبعة عالم الكتب بيروت).

... ويظهر لنا مما تقدم أن بسر بن سفيان الخزاعي عندما بعثه رسول الله ﷺ بهذه المهمة الإعلامية الاستطلاعية أنه كان مسلماً وهذا خلاف لما ذهب إليه ابن القيم في زاد المعاد (ج ٢ ص ١٢٧) بأن بسر الخزاعي كان عندما أرسله رسول الله ﷺ بهذه المهمة الإعلامية الهامة، كان لا يزال على الكفر، ومع أن ابن القيم يعتبر من المتأخرين بالنسبة لطبقة ابن حجر وابن الأثير وغيرهما، فإن روايته هذه ليس له عليها أي دليل، كذلك فإنه من غير المعقول أن يعد الرسول ﷺ لمهمة غاية في الدقة والحساسية ويترتب عليها أمور خطيرة كهذه المهمة لرجل وهو لا يزال على الكفر.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية (ج ٣ ص ٣٥٦).

(٢) الواقدي: المغازي (ج ٢ ص ٥٧٢).

وهناك ثمة أسباب أخرى تعتبر أساسية قد أعدها رسول الله ﷺ برجل الإعلام المسلم وقد تمثلت ببسر الخزاعي وهي: المقدرة على تحمل المسؤولية والثقة الكاملة بأن ما يفعله في هذا المجال، إنما هو طاعة لله ورسوله وهذا من دواعي الإيمان، والسرعة المتقنة في إنجاز المهمة والإحاطة بها، وأن يكونَ كَيِّساً فطناً، وأن يكون على معرفة تامة بالمقاصد الحقيقية لمهمته التي أوكلت إليه، وكذلك يجب أن يكون عارفاً بالطبيعة الجغرافية التي سيذهب إليها، وكذلك معرفته بأهداف وأفكار ولغة القوم المرسل إليهم، وبهذه الاستراتيجية فإن الإسلام يكون قد أعد رجل الإعلام وجامع الأخبار المسلم إعداداً متيناً، وأهَّله تأهيلاً ممتازاً للقيام بمهمته خير قيام، في غاية من الدقة والسرعة والنجاح وهذا ما يطلقُ عليه الإعلاميون اليوم بالمخبر أو المراسل الحربي.

هذا ويحدد الدكتور محمود عساف مهمة المخبر بقوله: (والمخبر كما هو معروف هو الباحث عن الأنباء، أي جامع الخبر، وحاملهُ من مصادره إلى ناشريه، ويقول علماء الأخبار عن المخبر ووظيفته، أن وظيفة المخبر، هي التردد على أرض الأحداث للحصول على التفاصيل والمعلومات التي سيتكون منها النبأ، وبقدر ما يكون لدى المخبر من ذكاء وفطنة وثقافة واسعة واطلاع وصبر ومثابرة وحب للاستطلاع، بقدر ما يوفق في عمله، في مهمة جمع الأخبار واستكمال جوانبها)[1].

ومما لا شك فيه أن بسر الخزاعي كان يمثل رجل الإعلام المسلم الذي يتحرك وفق خطة إعلامية مدروسة، ويعمل بموجبها مسبقاً على دراسة المجتمع الذي تقضي مهمته الإعلامية بالعمل فيه، وذلك من أجل تحقيق الغاية التي يعمل من أجلها بدقة ونجاح وهذه هي طبيعة الإعلامي المسلم الناجح.

يقول الأستاذ محمد كمال إمام: (وعلى الإعلامي المسلم أن يقوم

---

(١) الدكتور محمود عساف. المرجع السابق ص ١٢.

بدراسة ميدانية لاختيار طبيعة المجتمع الذي يتحرك فيه واختيار نوعية الوسائل التي تصل به إلى غاياته الاستراتيجية)[1].

ولا شك أن الميزات الهامة التي توفرت لدى بسر بن سفيان الخزاعي، كي يقع عليه اختيار الرسول ﷺ للقيام بهذه المهمة الإعلامية الخطيرة، تتمثل في جملتها بالصفات العلمية والعملية والأخلاقية والذكاء والمنزلة الاجتماعية والظرف المناسب تلك الصفات والميزات التي أثبت بموجبها أنه قادر على القيام بهذه المهمة وإنجازها بنجاح تام. ولا شك أن الرسول ﷺ هو أعرفُ الناس بالرجال وبكيفية استغلال الظروف المناسبة لصالحه. لهذا فقد كانت ثقة الرسول ببسر الخزاعي هي السبب في نجاح مهمته، ولنستمع إلى ما قاله الدكتور عبد القادر حاتم عن مهمة رجل الإعلام: (إن رجل الإعلام يجب أن يتميز بصفات خاصة منها أنه لا بدّ وأن يكون موضع ثقة الشخص الذي توجه إليه الفكرة، وأن يتصف بالاحترام والأمانة والصدق، وأن يكون متخصصاً في مادته بعلمه وتجاربه وبعبارة موجزة، فإن رجل الإعلام يجب أن يتميز بصفات علمية وعملية وأخلاقية تسبغ عليه الاحترام والثقة من الجميع)[2].

هذا وقد استطاع بسر الخزاعي إنجاز المهمة التي أوكلت إليه بنجاح تام، وذلك بالحصول على جميع المعلومات المطلوبة بشكل دقيق ومفصل، والعودة إلى قاعدته بسرعة مذهلة، وقد التقى بالرسول ﷺ على غدير الأشطاط قرب عسفان[3]، وقدم إليه تقريراً إخبارياً شاملاً ومفصلاً، غاية في الدقة والأهمية عن المهمة التي قام بها.

---

(١) الأستاذ محمد كمال الدين إمام. المرجع السابق ص ١٤٩.

(٢) الدكتور عبد القادر حاتم: الإعلام والدعاية نظريات وتجارب ص ١٠٢.

(٣) عُسفان بضم أوله وسكون آخره. قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (ج ٤ ص ١٢١) سميت عسفان لتعسف الليل والنهار فيها. وهي منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. وقال السكري - عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل. انظر المخطط التفصيلي في آخر الكتاب.

وقد تضمن هذا التقرير الإخباري الهام جميع المعلومات المطلوبة عن الوضع العام في مكة وإعطاء الرسول ﷺ صورة مفصلة ودقيقة عن مراكز تجمع قوات قريش وحليفاتها، التي هبت لمناصرتها والوقوف إلى جانبها نتيجة للأخبار الكاذبة التي نقلتها قريش إليهم من أجل قلب الحقائق وتزوير المواقف وتشويه الصورة الصحيحة التي كان عليها الرسول ﷺ وأصحابه الكرام. وبالجملة فإن هذا التقرير الإخباري الهام قد شمل كل ما آل إليه الموقف القرشي بعد سماعهم خبر قدوم الرسول ﷺ بهذا العدد من أصحابه الكرام إلى مكة المكرمة.

قال الواقدي: (ودخل بسر بن سفيان مكة فسمع من كلامهم ورأى منهم ما رأى ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فلقيه بغدير الأشطاط من وراء عسفان فقال له النبي ما وراءك يا بسر قال: يا رسول الله إني تركت قومك، كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد سمعوا بمسيرك، ففزعوا وهابوا أن تدخل عليهم عنوة، وقد استنفروا الأحابيش ومن أطاعهم، معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور ليصدوك عن المسجد الحرام. وقد خرجوا إلى بلدح وضربوا الأبنية وتركت عمادهم (أي قادتهم) يطعمون الجزر أحابيشهم ومن ضوى (أي انضم) إليهم في دورهم وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد بمائتي فارس، وهذه خيلهم بالغميم وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الأرصاد)[١].

هذا وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه (أن النبي ﷺ بعدما أحرم بالعمرة بعث له عيناً من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه، قال إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك)[٢].

وتعتبر هذه المهمة الإخبارية التي قام بها بسر الخزاعي نموذجاً قيماً

---

(١) مغازي الواقدي (ج ٢ ص ٥ ـ ٥٨٠) عالم الكتب بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، المجلد الخامس ص ٦٧. (دار الطباعة العامرة بإستانبول) ـ (دار الفكر ـ بيروت).

للمهمات الإعلامية الإخبارية الناجحة، وهي تعتبر مثلاً رائعاً يُحتذى به في مثل هذه المهمات الإعلامية الحساسة التي يطلق عليها الإعلاميـون في عصرنا الحالي بمهمة المخبر أو المرسل الحربي.

٢ ـ طرق جمع الأخبار عند العرب:

لكل أمة من الأمم طرقها الخاصة في جمع الأخبار والحصول على المعلومات الضرورية لتثبيت كيانها ولتعزيز وجودها بين الأمم.

وبالنظر إلى أن هذه الطرق تختلف من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى، فإنها في حدّ ذاتها تشكل أهمية كبرى بالنسبة لكل أمة من الأمم، وذلك من حيث كونها أساساً لبقائها واستمراريتها.

ولا شك أن الظروف البيئية والجغرافية والحضارية تساعد على إنجاز تلك المهمات الأساسية لهذه الأمم.

ولما كان الحصول على الأخبار والمعلومـات الضروريـة يعتبر من المواضيع ذات الأهمية البالغة بالنسبة لعرب الجزيرة، وخاصةً أثناء الأزمات والظروف الحربية والمتطلبات المعيشية لهم، فإن هؤلاء العرب قد سلكوا طرقاً عديدة في هذا المضمار، وذلك من أجل إنجاز مهماتهم الإعلامية التي تقوم على خدمة أغراضهم ومتطلباتهم المختلفة، سواء كـانت هذه المهمات عسكرية أو غير عسكرية. وبالنظر إلى أن النبي ﷺ ـ أثناء قيامه في نشر دعوته الإسلامية ـ قد استفاد من الطرق القديمة التي كان يستخدمُها العرب في جمع الأخبار والحصول عليها، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يقف عند حدّ تلك الطرق التقليدية القديمة، بل استحدث طرقاً جديدة لخدمة أغراضه الإعلامية، وقد أحرز فيها نجاحاً إعلامياً رائعاً.

ولا شك أن الباحث في كتب السيـرة النبويّـة، يجد الكثيـر من المعلومات النافعة التي تركها لنا رسول الله ﷺ للاستفادة منها في مجال الإعلام وفي غيره من المجالات النافعة الأخرى.

ومن المعلومات التي تتعلق بطرق جمع الأخبار والحصول عليها ما

ذكره ابن هشام من أن رسول الله ﷺ أثناء خروجه بأصحابه الكرام من المدينة المنورة إلى بدر ـ قبيل غزوة بدر الكبرى ـ فقد أراد ﷺ معرفة أخبار قريش وجمع المعلومات الضرورية عن عددهم وعدتهم، وعن موقعهم وعن كل ما يتعلق بهم. قال ابن هشام: (فبعث رسول الله ﷺ بسبس بن عمرو الجهني، حليف بني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره... وأضاف ابن هشام قوله... وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش)[1].

وقد تكون هذه الطريقة هي إحدى الطرق التقليدية لجمع الأخبار والحصول على المعلومات الهامة عند العرب، وذلك بتخصيص شخص واحد أو عدة أشخاص للقيام بهذه المهمة والعودة إلى القاعدة بأقصى سرعة ممكنة.

وضمن هذه المهمة الإعلامية الإخبارية المشابهة بالهدف والمختلفة بالأسلوب يذكر ابن هشام أيضاً في معرض حديثه عن حياة رسول الله ﷺ أنه كان أحياناً يقوم بنفسه بمهمة جمع الأخبار والحصول على المعلومات فقال: (ثم نزل رسول الله ﷺ قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه، قال ابن هشام الرجل هو أبو بكر الصديق، حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال؛ أو ذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به قريش. فلما فرغ من خبره قال: فمن أنتما؟ فقال

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣. دار الفكر.

رسول الله ﷺ «نحن من ماء» ثم انصرف عنه)[1].

وهذه الطريقة التي تولى فيها القائد بنفسه مهمة جمع الأخبار والحصول على المعلومات، تعتبر بلا شك غاية في الحرص والتضحية، لأن الرسول ﷺ كان دائماً يحاول أن يقف بنفسه على جمع الأخبار والمعلومات الهامة عن أعداءه، وهذه بالحقيقة من مزايا القيادة المثلى التي كان يتمتع بها عليه الصلاة والسلام.

وأما بالنسبة لأسلوب التورية الذي استعمله رسول الله ﷺ مع الشيخ، عندما قال له: «نحن من ماء» فإن هذا الأسلوب يعتبر بلا شك من المتطلبات الضرورية أثناء الحروب. فالرسول ﷺ قد صدق الشيخ عندما أخبره بقوله «نحن من ماء» وإنه عليه الصلاة والسلام كان يقصد بهذه التورية أن كل كائن حي هو من الماء أصلاً. والله سبحانه وتعالى يقول في الآية الكريمة: ﴿ وجَعَلْنا مِنَ المَاءِ كُلَ شيءٍ حَيّ ﴾[2].

ومن الطرق الإعلامية المحدثة التي استخدمها رسول الله ﷺ في جمع الأخبار والمعلومات العسكرية عن أعداءه، تلك الطريقة الاستنتاجية التي استنتج رسول الله ﷺ بها من خلال استجوابه للغلامين اللذين أسرهما بعض أصحابه الكرام قبيل معركة بدر، في معرفة عدد أفراد جيش قريش ومكانه وقادته، فقد ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ سأل الغلاميين بقوله: (أخبراني عن قريش قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول الله ﷺ: «كم القوم»؟ قالا: كثير، قال: ما عدتهم؟ قالا: لا ندري قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال ﷺ القوم فيما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ فأخبراه بهم)[3].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٣٠)

(٣) ابن هشام. المرجع السابق (ج ٢ ص ٢٥٥ - ٢٥٦).

وبهذا الأسلوب الإعلامي المستحدث استطاع رسول الله ﷺ أن يعرف كل ما يجب أن يعرفه القائد العسكري الفذ عن أعداءه من حيث عددهم وعدتهم وقادتهم العسكريين، وعن مكان وجودهم وعن أسلحتهم ونوعيتها.

وبهذا فقد استطاع رسول الله ﷺ أن يهتدي إلى الأجوبة التي كان يبحث عنها وذلك بالاستفادة من الأسئلة ذات الأسلوب الاستنتاجي. ولعل الدكتور عبد العزيز شرف قد أشار إلى هذا الأسلوب حين قال: (إذا كان منهج المحدِّث إذا وصل إليه الحديث الموضوع أن يطرحه أرضاً ويمضي لطيه، فإن مهمة الإعلامي الباحث عن الأخبار في أن يبادر إلى التقاط هذا المنهج والإفادة منه وتسليط الأضواء الكاشفة حتى يهتدي إلى أجوبة عن أسئلته تحقق وظائف الإعلام في المجتمع على النحو السديد)[١].

ومن الطرق الكثيرة التي كان العرب يستخدمونها في جمع الأخبار في ذلك الزمن طريقة جديرة بالذكر والاهتمام، وهذه الطريقة تقضي بمعرفة أنواع التمور والأعلاف للبلدان المختلفة في الجزيرة العربية وذلك من خلال تفحص أبعار الإبل أو الحيوانات الأخرى. وبهذه الطريقة فقد استطاع أبو سفيان التأكد من وجود جيش إسلامي من المدينة المنورة في منطقة بدر، الأمر الذي جعله يغير خطة سيره، وينجح في حماية القافلة.

فقد ذكر ابن هشام قائلاً: (وأقبل أبو سفيان بن حرب، حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً فقال: ما رأيت أحداً أنكره إلاّ إني رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيرهما ففته، فإذا فيه النوى فقال: والله هذه علائف يثرب فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه عيره عن الطريق)[٢].

وهذان الرجلان هما الرجلان اللذان أرسلهما رسول الله ﷺ ليتحسسا أخبار قريش.

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف. المرجع السابق ص ١٤٤.

(٢) ابن هشام. السيرة النبوية (ج ٢ ص ٢٥٧).

وهذه بعض الطرق والوسائل الإعلامية التي كان يستخدمها العرب في جمع الأخبار والحصول على المعلومات في ذلك العصر. ولا شك أن مهمة بسر بن سفيان الخزاعي الإعلامية لا تعدوا كونها إحدى هذه الطرق التي استخدمها الرسول ﷺ في جمع الأخبار والحصول على المعلومات الضرورية.

٣ ـ تحذير هام من الرسول ﷺ إلى قريش:

بالنظر إلى ما آل إليه الوضع المتوتر من تصعيد للموقف من جانب قريش، بعد أن سمع النبي ﷺ التقرير الإخباري الهام الذي جاء به بسر بن سفيان الخزاعي، فقد أدلى عليه الصلاة والسلام بتحذيرٍ هام ينم عن الحنكة، وبُعدِ النظر في وزن الأمور ووضع كل منها في مكانه المناسب. فقد قال عليه الصلاة والسلام: كما جاء في رواية ابن هشام «يا ويح قريش!! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال عليه الصلاة والسلام من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها»[1].

والحقيقة أن هذا التصريح الخطير يعتبر بمثابة إعلاناً هاماً فيما يتعلق بالناحيتين العسكرية والإعلامية، وفي رسم السياسة العامة التي أعدها رسول الله ﷺ لمواجهة الموقف العام الذي نتج عن تصرف قريش في مثل ذلك الظرف العصيب. ومما يذكر أن قريشاً التي تختلف مع المسلمين عقائدياً كانت قد تبنت العمل لمحاربة الإسلام والمسلمين ـ منذ فجر الدعوة الإسلامية ـ بكل ما لديها من الوسائل الممكنة سواء إعلامية كانت أم عسكرية، فقد قامت بمهاجمة المسلمين في عقر دارهم في المدينة المنورة

(١) ابن هشام: السيرة النبوية مجلد ٣ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

أكثر من مرة، بعد أن فعلت بهم ما فعلت وطردتهم من مكة وأهدرت دماءهم. وقد أدى الأمر بزعماء الشرك في قريش إلى التآمر على حياة خير البرية محمد عليه الصلاة والسلام في عملية اغتيال لئيمة، وقد نجّاه الله سبحانه وتعالى من غدرهم وكيدهم، قال تبارك وتعالى في وصفه لذلك الحادث الغادر: ﴿وإذْ يَمْكُرُ بكَ الذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ، أَوْ يُخْرِجُوكَ، ويَمَكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خَيرُ الماكِرينَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَاسِ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوَم الكافِرِينَ﴾[2].

وقال جَل شأنه: ﴿وَاللَّهُ غَالبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

ومع ذلك العداء الطويل والمستمر من جانب قريش ضد المسلمين، فإنها في هذه المرة كانت تعلم تمام العلم بأن المسلمين إنما جاءوا لزيارة البيت الحرام، وأنهم في وضعهم الحالي، قد وصلوا في مهمة تعبدية خاصة. وهم ليسوا في وضع يمكنهم من القتال ولا يصح في عرف العرب وشهامتهم، أن يُعتدى عليهم، لأن العرف السائد عند العرب أن الرجل كان يلقى قاتل أبيه في الأشهر الحرم فإنه لا يؤذيه ولا يعتدي عليه، احتراماً للأشهر الحرم، فكيف إذا كان المسلمون هم الآن في حالة الإحرام وفي الأشهر الحرم أيضاً...؟!

ومع ذلك كله فإن قريشاً لا زالت مستمرة في غيها وسياستها العدائية للمسلمين بنفس الحدة والعنف اللذين بدأت عدائها بهما في بداية الدعوة الإسلامية.

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٣٠).

(٢) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٣) سورة يوسف: الآية (٢١).

ومع كل هذا العداء والتحدي فإن الرسول الكريم ﷺ، الذي وصفه الله سبحانه بصاحب الخلق العظيم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، كان ينظر إلى قومه وإلى الناس جميعاً بمنظار الرحمة والعطف ويقابل السيئة بالحسنة، وقد صرح بهذا التصريح الذي أكد فيه حرصه على هذه المعاني الإسلامية النبيلة مراراً وتكراراً، ولكن قريشاً المتغطرسة والمتجبرة - التي كان رسول الهدى يحرص على إسلامها وهدايتها وإخراجها من ظلام الشرك إلى نور الإيمان، ويدعو لها بقوله: «اَللَّهُمَّ اهْدِي قُرَيشاً فَإن عَالِمَهَا يَمْلأُ طِباقَ الأرضِ عِلماً»[2] بقيت على نفس الخط من عدائها التقليدي للإسلام والمسلمين.

غير أن هذا الموقف النبيل الذي كان يتبنده النبي ﷺ تجاه قريش وغيرها لم يكن قد جاءَ من موطن ضعف، فقريش تعرف قبل غيرها من هم المسلمون حينما لا يجدونَ ملجأً إلَّا الحرب، فهي لها مواقف ومواقف معهم، أخذت فيها دروساً وعبراً بالغة وكما يقول الشاعر العربي وهو يصف رسول الله ﷺ.

الحربُ في حَقٍ لَدَيكَ شريعةٌ	ومنَ السُّمُومِ النَاقِعَاتِ دواءُ
والبِرُّ عِندَكَ ذِمَةٌ وفَرِيضَةٌ	لا مِنةٌ مَمنُونَةٌ وَجِبَاءُ
وتَمُدُّ حِلمُكَ للسفِيهِ مُدَارِياً	حَتَّى يَضِيقَ بَعرضِكَ السُفهاءُ
لَمَّا دَعَوتَ النَّاسَ لَبىٰ عَاقِلٌ	وأَصَمَّ مِنكَ الجاهِلينَ نِداءُ[3]

وتجيء الإشارة إلى هذا المفهوم في التصريح الذي أعلنه عليه الصلاة والسلام والذي قال فيه: «فما تظن قريش؟!! فوالله لا أزال أجاهد

(١) سورة القلم: الآية (٤).
(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير جـ ١ ص ٥٦ من رواية الخطيب البغدادي وابن عساكر عن أبي هريرة وقال حديث حسن صحيح. (دار الكتب العلمية).
(٣) الشاعر أحمد شوقي. الشوقيات. من قصيدة الهمزة النبوية جـ ١ ص ٣٤. دار الكتاب العربي.

على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»[1].

ولا شك أن هذه العبارة الأخيرة من هذا التصريح الهام لتعتبر بمثابة إشارة تحذير إلى قريش كي لا تركب رأسها وتتمادى في غِيها.

(١) ابن هشام. السيرة النبوية جـ ٣ ص ٣٥٦.

الفصل الرابع

خطة إعلامية هادفة

١ ـ خطة تهدف إلى أمور هامة:

بعد الأخبار التي وصلت إلى النبي ﷺ بسطط قريش وصلفها وطغيانها وإصرارها على منع المسلمين من زيارة البيت الحرام بالقوة المسلحة. وإن أساطين الكفر بمكة، قد اتخذوا قراراً بعد اجتماع عقدوه في دار الندوة، باستنفار جميع قواتهم الضاربة وطلب النجدة من حلفائهم قبائل ثقيف والأحابيش، حسبما جاء في رواية ابن سعد، حيث قال: (وبلغ المشركين خروجه فأجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام وعسكروا ببلدح وقدموا مائتي فارس إلى كراع الغميم[1] وعليهم خالد بن الوليد)[2]. لذا فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع كراهته للحروب وعدم رغبته

---

(١) كراع الغميم: قال ياقوت الحموي: هو موضع بين مكة والمدينة، وذكر عن نصر قوله: (الغميم هو موضع بين رابغ والجحفة). معجم البلدان جـ ٤ ص ٢١٤. انظر المخطط التفصيلي في آخر الكتاب.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: مجلد ٢ ص ٩٥، دار صادر بيروت.

في خوضها، فإنه قد اتخذ كافة الاحتياطات الضرورية تحسباً للطواريء، فقد أمر قائد فرسانه عباد بن بشر بأن يكون على أهبة الاستعداد وأن يتخذ له مكاناً في مقدمة الجيش الإسلامي، كذلك فقد أمر بقية الصحابة الكرام بأن يكونوا في حالة استعداد تام وهم في حالة الإحرام لمواجهة الموقف المتجدد.

غير أن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مع كل ما صنعته قريش من التحدي ومع ما قامت به من الاستفزاز للمسلمين والتحرش بهم، وذلك بتكليفها قائد فرسانها خالد بن الوليد بأن يرابط بمائتين من الفرسان في الطريق الرئيسي، بين عسفان ومكة، لاعتراض المسلمين ومنعهم من المرور بالقوة، فقد قرر عليه الصلاة والسلام أن يتحاشى الصدام مع جيش خالد بن الوليد، الذي قطع الطريق الرئيسي على المسلمين، ووضعهم أمام محنة قاسية يصعب عليهم اختيارها، لا سِيَّما وإنه جاءهم بصورة المهاجم المعترض، وقد بالغ في تحدّي المسلمين وإثارتهم.

وقد قرر عليه الصلاة والسلام أن لا يمر بالطريق الرئيسي وأن يغير اتجاه هذه الرحلة المباركة إلى طريق آخر يؤدي به وأصحابه الكرام إلى مكة المكرمة، ضمن خطة إعلامية تمويهية، تؤدي إلى تضليل المشركين وإيقاع الحيرة والارتباك في صفوفهم جميعاً، حيث كان من المفروض أن يستمر النبي ﷺ وأصحابه الكرام في المسير في الطريق العام من عسفان نحو الجنوب باتجاه مكة المكرمة، وكان هذا الطريق سينتهي بهم إلى مكة المكرمة عبر التنعيم[1]، وهو الطريق الرئيسي الذي يسلكه كل من يقصد مكة قادماً من المدينة المنورة. ولكن وبناء على القرار الحكيم الذي اتخذه النبي ﷺ يتجنب الاشتباك مع قوات خالد بن الوليد، وبالتالي تجنب القتال مع قومه ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فقد قرر أن يغير اتجاه سيره هذا وأن

---

(١) التنعيم. قال في مراصد الأطلاع: هو موضع بمكة خارج الحرم وهو أدنى الحل إليها على طريق المدينة وهو على ثلاثة أميال من مكة.

يسلك بالمسلمين طريقاً وعراً غير ممهد ولا مطروق، وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه الكرام عناءً شديداً أثناء سيرهم بهذا الطريق الصعب المسالك. وقد ضلوا طريقهم عدة مرات وما زالوا يكابدون المشاق القاسية أثناء سيرهم نحو مكة المركمة، مصممين كل التصميم على دخول البيت الحرام مهما بلغت بهم المشاق، ومهما كبرت عليهم التضحيات والصعاب، فقد ذكر ابن هشام (أن رجلاً من أسلم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا سالك بكم طريقاً إلى مكة، فسلك بالمسلمين طريقاً أجرل[1] بين شعاب، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ: «قولوا نستغفر الله ونتوب إليه» فقالوا ذلك، فقال: «والله إنها للحطة التي عُرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها»[2].

ثم أضاف ابن هشام قائلاً: ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس فقال اسلكوا ذات اليمين - في طريق تُخرِجُهم على ثنية المرار مهبط الحديبية[3] من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش[4]، قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى مكة لإخبار قريش بما حصل، وقد اتجه رسول الله ﷺ من جهة أخرى نحو مكة حتى إذا سلك في ثنية المرار بَرَكَت ناقته، فقال الناس: خلأت الناقة[5]. فقال النبي ﷺ: «ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، ثم قال: لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها

---

(١) أجرل: كثير الحجارة.

(٢) ابن هشام. السيرة النبوية مجلد ٣ ص ٣٥٧.

(٣) الحديبية: يقال بتخفيف الباء وبتشديدها. هي قرية ليست كبيرة، بينها وبين مكة مرحلة واحدة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، ويقال إن بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وسميت بذلك لبئر فيها تسمى الحديبية (السيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦) دار الفكر العربي بيروت. انظر المخطط التفصيلي في آخر الكتاب.

(٤) قترة الجيش: غباره.

(٥) خلأت: أي أحرنت ولا يقال ذلك إلاّ للناقة.

صلة الرحم إلاَّ أعطيتهم إياها. ثم قالَ للناسِ انزلوا»[1].

وقد كانت ناقة رسول الله ﷺ والتي تُعرف «بالقصواء» من أجود النوق المطاويع ولكنها بركت مكانها على مشارف حدود الحرم الشريف، وظلت على مبركها بالرغم من محاولة إنهاضها، فظن الناس أنها تعبت فعجزت فقالوا خلأت القصواء، أي أحرنت. قال الواقدي في مغازيه: (عندما قال الناس خلأت القصواء قال رسول الله ﷺ: «ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة»، ثم قال، بعد أن أدرك ما لم يدركه غيره من الناس: «والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها تعظيم حرمات الله إلاَّ أعطيتهم إياها». ثم أضاف الواقدي: بأن رسول الله ﷺ بعد هذا الإعلان الهام زجر ناقته فقامت، فعاد بها راجعاً عودة بدئه)[2].

ولا شكَّ في أن حادثة الناقة هذه كانت تتضمن أمراً إلَهيـاً بعدم الاقتراب من مكة المكرمة في حالة حرب، مما قد يترتب عليه قتالاً شديداً وسفك دماء كثيرة في البيت الحرام. ذلك البيت الأمين وحرم الله المصون، أحبُ البقاع إلى الله وإلى رسوله والمؤمنين الذي حرم الله القتال فيه إلا في حالة الدفاع عن النفس وهي حالات الضرورة القصوى قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فإن قَاتَلُوكُم فَاقْتُلُوهُم، كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾[3].

وقال جل شأنه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلْنَاسِ وَأَمْناً﴾[4]. هذا وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَ مكَّة حَرَمَهَا الله وَلَمْ يُحَرِمُها الناسُ ولا يَحِلُ لامرىءٍ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يَسفُكَ فِيهَا دما ولاَ يَعَضُدُ بِهَا

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية مجلد ٣ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨.
(٢) مغازي الواقدي جـ ٢ ص ٥٨٧.
(٣) سورة البقرة: الآية (١٩١).
(٤) سورة البقرة: الآية (١٢٥).

شَجَراً، فإنْ أَحَدٌ تَرخَصَ لِقَتالِ رسَولِ اللهِ ﷺ فيها فَقُولُوا لهُ إنَ اللَّهَ أذِنَ لِرَسُولِهِ ولَمْ يأذنْ لَكُم، وإنَمَا أُذِنَ لِي فِيهَا سَاعةً مِنْ نَهارٍ وَقَدْ عَادتْ حُرمتها اليوم كَحُرمَتِها بالأمسِ وليبلغُ الشَاهِدُ الغائبُ»[1].

هذا وقد أراد اللهُ سبحانه وتعالى بحادث برك الناقة، ذلك الحادث العجيب وتلك الإشارة البالغة، أن يأمر رَسوله ﷺ والمؤمنين بالتوقف عند حدود الحرم وعدم الاقتراب منه وهم في حالتهم العسكرية تلك، وذلك لما للحرم الشريف من حرمة ومكانة عند الله سبحانه وتعالى، وهذا فضل من الله ومنةً، فقد جنب الفريقين اللذين يرتبطان بصلة الرحم، مأساة مجزرةٍ رهيبةٍ كانت وشيكة الوقوع على أرض حرم الله سبحانه في مكة المكرمة، لو أن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام استمروا في سيرهم نحو الكعبة المشرَّفة لأداء العمرة.

ولقد كان لحادثة برك الناقة هذه آثارها الإيجابية في توقيع معاهدة صلح الحديبية مع قريش مما سيأتي ذكره إن شاء الله.

٢ ـ الأثر الإعلامي الناتج عن تغيير خط سير الرحلة[2]:

لا شك أن ذلك التصرف الحكيم الذي قام به رسول الله ﷺ بتغيير خط سير الرحلة المباركة تحاشياً للصدام المسلح مع قوات خالد بن الوليد، والعمل على تجنب سفك الدماء بدون مبرر، وإحلال أسلوب التفاهم والإقناع بالحجة والبرهان على أسلوب الحرب والقتال، لدليل كبير على حسن النية التي كان يعمل بها رسول الله ﷺ. غير أن قريشاً المتغطرسة التي تفتخر بكبريائها الوثني لم تكن تفهم هذا الأسلوب الإنساني النبيل في التعامل في أكثر الأحوال على حقيقته الصادقة.

والجدير بالذكر أن هذا التغيير لخط سير الرحلة له أبعاده الكبيرة في

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي جـ ٥ ص ٩٤. باب غزوة الفتح. دار الفكر.

(٢) انظر المخطط التفصيلي عن سير الرحلة في آخر الكتاب.

المفهوم العسكري والإعلامي، فهو يعتبر - في نظر قريش - أكثر خطورة من المواجهة المسلحة المباشرة.

وعلى هذا الأساس فإن خطة التغيير هذه تحمل في طياتها معاني ذات أبعاد ومفاهيم متعددة الجوانب والإتجاهات، ومعلوم أن الخطط الحربية والتكتيكات العسكرية تعتمد في تنفيذها ونجاحها على التعاون المشترك بين الجهازين العسكري والإعلامي، ومن هنا فإن خطة التغيير هذه لم تكن كما يتصوره البعض، خوفاً من قريش أو من قوات خالد بن الوليد. فالذي يخاف من عدوه يرجع إلى الوراء عودة بدئه ولا يتقدم باتجاه قاعدته الأصلية ومركز قوته.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: (لم يكن العمل الذي قام به رسول الله ﷺ بتركه للطريق الرئيسي إلى طريق جانبي آخر خوفاً من قريش. فالذي يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدته الأصلية، وهي مركز قواته، بل يحاول الابتعاد عنها حتى يطيل من صعوبة مواصلات العدو وبالتالي يجعل فرصة النصر أمامه أقل)[١].

لذا فإن هذه الخطة تعتبرُ بمثابة عملية للتمويه والتغطية الإعلامية وإثارة الحرب النفسية ولفت الأنظار وتوجيه الأفكار إلى ما يخدم أغراض وأهداف هذه الرحلة. ولقد كان الرسولُ ﷺ في كثيرٍ من غزواته لا يُعلن عن وجهته الحقيقية، بل كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد جهة معينة، فإنه يتوجه إلى مكان آخر غير الذي يقصده[٢] حتى إذا كان قد ابتعد بجيشه مسافة يكون فيها بعيداً عن الأنظار، فإنه يتحول بجيشه إلى جهته الحقيقية التي يقصدها فعلاً، وذلك لوجود المنافقين في المدينة المنورة وكذلك

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب: الرسول القائد ص ١٨٦. مكتبة الحياة والنهضة ببغداد. الطبعة الثانية.

(٢) من حديث كعب بن مالك قوله رضي الله عنه: لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلاّ ورى بغيرها - باب التوبة - رياض الصالحين. من ذكر غزوة تبوك ص ١٥.

لاحتمال وجود عيون لقريش أو لغيرها في تلك لمناطق تراقب تحركات المسلمين. وهذه الخططُ التي يتم فيها التعاون الفعلي بين الجهازين العسكري والإعلامي.

والجديرُ بالذكر أن صدى تغيير اتجاه سير رحلة الرسول ﷺ هذه عن طريقها الرئيسي له عدة احتمالات ومفاهيم أخرى في نفوس القرشيين. وقد تكون أول ثمرة من ثمرات هذه الخطة الإعلامية الناجحة، هو إيجاد البلبلة والارتباك في صفوف قوات قريش المرابطة في كراع الغميم بقيادة خالد ابن الوليد على الخط الرئيسي بين مكة والمدينة المنورة، والتي تقدر بأكثر من مائتي فارس من الخيالة، مما جعل خالد بن الوليد يعود مسرعاً بقواته إلى مكة المكرمة ليخبر زعماءها بما حصل.

هذا ولقد كان لهذه الخطة التمويهية الناجحة الأثرُ الكبيرُ في قلب الوضع العسكري لدى قريش وحليفاتها في بلدح، الأمر الذي جعلها في موقف المدافع بدلاً من موقف المهاجم، وذلك لأن قريشاً في وضعها الحالي، أصبحت لا تدري من أي الجهات سينفض عليها رسول الله ﷺ في الهجوم وعلى هذا الأساس فإنها ستقوم بتوزيع جيوشها على جميع الجبهات التي يحتمل أن يهاجمها منها رسول الله ﷺ، الأمر الذي سيضعف من قوتها العسكرية ويفتتها في أماكن متعددة نظرا لعدم معرفة الجهة الحقيقية الي توجه إليها النبي ﷺ بالضبط وكذلك الخطة التي ينوي القيام بها ولصعوبة تحديد ذلك في هذا الظرف العصيب، فإن الأفكار تتجه إلى استنتاج احتمالات عديدة منها: أن الرسول ﷺ في أي لحظة سيدخل مكة بقواته الضاربة، التي تعرفها قريش تمام المعرفة، من مكان سيحدده هو بنفسه، وبما أن جميع القوات القرشية والحليفة هي الآن ترابط في نقطة متقدمة خارج مكة على طريق المدينة المنورة، فمعنى ذلك أن الرسول ﷺ سيقوم بما لديه من قوات باحتلال مكة واحتجاز ما فيها من الأهالي والذراري كرهائن لديه ومن ثم فإنه سيباغت جيش المشركين وحلفائهم بضربة قاضية غير محتملة ولا محسوب لها حساب من جانب قريش،

ويقضي على كل ما عملته وما خططت له قريش في ضربة مزدوجة واحدة.

والحقيقة أن هذه الخطة الإعلامية العسكرية الناجحة قد شتَّتَتْ أفكار قادة وزعماء قريش بالإضافة إلى تشتيت قواتهم العسكرية وجعلتهم في حيرة من أمرهم لا يعلمون ماذا يفعلون. كذلك فإن هناك احتمالاً آخر لديهم وهو قيام الرسول ﷺ بالالتفاف حول قوات خالد بن الوليد، والتي تعتبر من الناحية العسكرية في ذلك الزمن هي القوة المعوّلُ عليها في الهجوم، ويفصلها عن قوات قريش الأخرى والإنفراد بكل قوة على حدة.

ولا شكَ أن الرسو ل ﷺ كان يعلمُ - بواسطة التقرير الإخباري الذي تلقاهُ من رجل الإعلام بسر بن سفيان الخزاعي - عن مكان تواجد القوات القرشية وحليفاتها في وادي بلدح، وبالجملة فإن صدى هذه العملية الناجحة خاضع من قبل قريش لكافة الاحتمالات من الناحيتين النفسية والعسكرية، وهي تعتبر في مضمونها ونتائجها غايةً في الحنكة العسكرية والإعلامية، وقد أدت كافة أغراضها بنجاح كبير.

ومن هنا تتضح طبيعة المعركة التي يخوضُها الإسلام لتبين للناس جميعاً بأنها معركة تنطلق من رؤية فكرية شاملة، وذات طبيعة استراتيجية ثابتة، تلتزم بمنهج فكري معين. ليس القتال إلَّا بعض صورها ووسائلها.

والجديرُ بالذكر أن حادثة برك الناقة - تلك الحادثة الخارقة والإشارة البالغة - كان لها الأثرُ بأن منع الله سبحانه ذلك البلد الأمين من أن يكون مسرحاً للحرب وسفك الدماء والمنازلات العسكرية. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَن أَظْفَرَكُم عَلَيهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بصيراً﴾(١).

ولا شك أن هذه الدعوة الإسلامية التي جاءت لهداية البشرية قاطبة، قد خرجت من وادي مكة وهو بيت الله الحرام، تلك البقعة المباركة التي كانت وستظل مركزاً لاستقطاب قلوب الملايين، لا من أبناء الجزيرة العربية

(١) سورة الفتح: الآية (٢٤).

وحسب ولا من أبناء الأقطار المجاورة لها، بل من أبناء الشعوب الإسلامية الذين لا يرتبطون بهذا البيت العظيم بمصالح مادية أو دينوية أخرى، بل برابطة العقيدة الدينية المحضة. قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ﴾[1]. ولهذا فإن المكانة التي يتميز بها هذا البلد الأمين وهذا البيت العظيم ترمز إلى وحدة العقيدة ووحدة العبادة لدى المسلمين جميعاً، فمن الواجب صيانة هذه الأماكن المقدسة من العبث. وإذا كانت العلاقات قبل الإسلام قائمةً على العداوة والبغضاء والخصومة والشر، وفقدان روح الأفضلية والأخلاق، وتحكيم نزعة الهوى في القوة والبطش، وانعدام أي رعاية للحق والعدل والسلام، فإن الإسلام قد جاء بالمبادىء التي تتضمن أسس التشريع الأخلاقي والإنساني، وهذه المبادىء والشرائع الإلّهية هي التي تحكم العلاقات بين الأفراد والدول، وإن كل مؤمن في هذه الدنيا يعتقد اعتقاداً جازماً بأن قوة الله وحده هي القوة التي يلتمس عندها النصر، وبها تُتَّقى الهزيمة، وإليها يكون التوجه وعليها يكون التوكلُ، فإذا أراد الله تباركَ وتعالى نصرَ المؤمنين - إذا هم عملوا بشريعته والتزموا بدعوته، وأطاعوا أمره ولم يخالفوا حكمه، وتوكلوا عليه وحده دون سواه، وأخذوا للأمر أهميته وأعدوا له عدته - فلا غالبَ لهم من الناس. قال تعالى: ﴿إن يَنْصُرْكُمَ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾[2].

معجزة للرسول ﷺ في الحديبية

ومن جهة أخرى فإن المسلمين بعد أن جنحوا إلى طريق فرعي آخر، عقب حادثة برك الناقة، حيث انتهى بهم ذلك الطريق إلى سهل الحديبية على حدود الحرم الشريف من أسفل مكة. وهناك أمر النبي ﷺ أصحابه بالنزول، فقيل له كما جاء في رواية ابن هشام: (يا رسول الله، ما بالوادي ماء ينزل عليه، فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به

(1) سورة قريش: الآيات (3 - 4).
(2) سورة آل عمران: الآية (160).

في قليب من تلك القُلبُ، فغرزَه في جوفه، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن)[1]. وقد جاء مثل ذلك في كتب أخرى[2].

ولقد كان ذلك الفيض الرباني الكريم علامة فرج واستبشار للرسول الكريم ﷺ وأصحابه الكرام. وهذه هي سنةُ الله في خلقه ينصر عباده المؤمنين الذين ينصرونَه ويتوكلون عليه حق التوكل ويخلصون النية والعمل له ويسلمون أمورهم بيده، مع الأخذ بالأسباب التي أمر الله سبحانه وتعالى بها. قال تعالى: ﴿إنا لننصُرُ رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[3].

وقد أصبحَ المسلمونَ في منطقة الحديبية هذه يقفونَ وجهاً لوجه مع أعدائهم القرشيين الذينَ يُقيمون مع حلفائهم من قبائل ثقيف والأحابيش في بلدح[4].

سرايا للحراسة والاستطلاع

لم يكد يستقر المقام بالرسول ﷺ وأصحابه الكرام في الحديبية، حتى أمر بتشكيلِ ثلاثةِ سرايا للقيام بمهمة الحراسة والاستطلاع حول معسكر المسلمين بالحديبية[5].

ولا شك أن هذا الإجراء الحكيم يدل دلالةً واضحةً على حسن

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٥٨ دار الفكر.
(٢) راجع الكتب التالية:
أ - السيرة الحلبية جـ٢ ص ٦٩٣.
ب - المقريزي إمتاع الأسماع ص ٣٨٤.
جـ - السيوطي الخصائص الكبرى جـ٢ ص ٢٥.
د - الواقدي: المغازي جـ٢ ص ٥٩٠ عالم الكتب بيروت.
(٣) سورة غافر: الآية (٥١).
(٤) انظر المخطط التفصيلي في آخر الكتاب.
(٥) انظر مغازي الواقدي جـ٢ ص ٦٠٢ عالم الكتب بيروت.

التصرف والقيادة المثلى التي كان يتمتع بها رسول الله ﷺ والتي لم يعرف التاريخ البشري لها مثيلاً، وذلك بالأخذ بالأسباب وتصريف الأمور تصريفاً حكيماً يتلائم وطبيعة المرحلة التي يعيشها المسلمون.

والجدير بالذكر أن أهمية هذه السرايا تأتي من أهمية وجود المسلمين في تلك المنطقة، حيث يقف المسلمون وجهاً لوجه مع ألدّ أعدائهم القرشيين الذين حشدوا من القوات المسلحة الضاربة ما يزيدُ على عدد المسلمين أضعافاً مضاعفة.

وتقضي المهمة الرئيسية لهذه السرايا القيامُ بأعمال الاستطلاع والخفارة الليلية وذلك لمنع أي تسلل إلى داخل معسكر المسلمين ولصد أي عدوان أو هجوم مفاجيء، قد تقوم به قريشُ وحلفائِها على المسلمين، كذلك فإن من مهمات هذه السرايا أيضاً معرفة أخبار المنطقة المحيطة بالمسلمين والاتصال المباشر بمقر القيادة العليا داخل معسكر المسلمين.

وبهذه الاستراتيجية الحكيمة يكون الرسولُ ﷺ أخذ بالأسباب، في تأمين الحماية اللازمة للمسلمين وتفويت كل فرصة على المشركين من أخذ المسلمين فيها على حين غرة. هذا وقد وقع اختيار الرسول ﷺ لإسناد هذه المهمة على ثلاثة أبطال من أصحابه الكرام لتولي قيادة هذه السرايا، كلهم من الأنصار وهم على التوالي:

١ ـ عباد بن بشر[١].

---

(١) ذكر في الإصابة لابن حجر جـ٢ ص ٢٦٣. وكذلك في أسد الغابة جـ٣ ص ١٠٠ لابن الأثير. هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل بن جعشم بن الحارب الأنصاري الأوسي الأشهلي يكنى أبا بشر ـ أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير وشهد بدراً وأُحُدْ والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وكان ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ والمسلمين. وكان من فضلاء الصحابة. قالت عائشة ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاء كلهم من بني الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد ابن خضير وعباد بن بشر. وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سمع صوت عباد بن بشر فقال اللهم إرحم عباد بن بشر.. الحديث. ولد ذكر في الصحيح عن أنس أن =

٢ ـ محمد بن مسلمة الأنصاري[١].
٣ ـ أوسي بن خولي[٢].

هذا ولقد استقر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام في الحديبية بصورة مؤقتة منتظرين ما سيستجد من أمور، مصرين على هدفهم الذي جاءوا من أجله بدخول مكة وأداء مناسك العمرة.

= عباد بن بشر وأسيد بن خضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما فلما افترقا أضاءت عصا كل واحد منهما. وقيل استشهد باليمامة، وكان له يومئذ بلاء عظيم وعمره (٤٥ سنة).

(١) هو محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأوسي الأنصاري حليف بني عبد الأشهل يُكنى أبا عبد الرحمن، شهد بدراً وأُحُدْ والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، إلاَّ تبوك. ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها. وهو أحد الذين قَتَلوا كعب ابن الأشرف اليهودي واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض غزواته، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صدقات جهينة. وكان صاحب المال أيام عمر، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان. (أسد الغابة لابن الأثير جـ ٤ ص ٣٣٠).

(٢) هو أوسي بن خولي بن عبدالله بن الحارث الأنصاري الخزرجي. قال المدائني يُكنى أبا ليلى، قال البغوي في معجمه: كان الذي غسلَ النبي ﷺ علي والفضل، فقالت الأنصار ننشدكم الله وحقنا، فأدخلوا معهم رجلاً يقال له أوسي ابن خولي، رجلاً شديداً يحمل الجرة من الماء بيده، وقد ذكر نحو ذلك ابن إسحاق في المغازي وقال البغوي لا أعلم لأوسي حديثاً. وذكر المدائني وغيره أن النبي ﷺ خلفه في عمرة القضاء بذي طوى ليقطع كيداً. وذكره الزهري وموسى بن عتبة وابن إسحاق وغيرهم ممن شهد بدراً. مات أوسي ابن خولي قبل عثمان. (الإصابة لابن حجر. جـ ١ ص ٨٤. دار الفكر).

البَابُ الثَانِي

المفَاوضَات وَالحَربُ النّفسِيَّة

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الوفد الإعلامي الأول يصل إلى الحديبية.
الفصل الثاني: الوفد الإعلامي الثاني برياسة الحليس بن زبان.
الفصل الثالث: أسلوب الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود.
الفصل الرابع: الوفود النبوية إلى قريش وأهمية بيعة الرضوان.
الفصل الخامس: وفد الصلح القرشي برياسة سهيل بن عمرو.



الفصل الأوّل

الوفد الإعلامي الأوّل يصل إلى الحُدَيبية

١ ـ مجيء الوفد إلى رسول الله ﷺ:

لقد ذكر معظم المؤرخون[1] وكُتّاب السِيَر أن أولَ وفدٍ قدمَ إلى الحديبية للتوسط في النزاع القائم بين النبي ﷺ وكفار قريش كان وفدُ قبيلة خزاعة برياسة بُديل[2] بن ورقاء الخزاعي.

قال الواقدي في روايته: (فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالحديبية جاءه

---

(١) الواقدي: المغازي جـ٢ ص ٥٩٣ عالم الكتب. وابن هشام السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠، دار الفكر وتاريخ الطبري جـ٢ ص ٦٢٥ دار المعارف والطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ ص ٩٦ دار صادر.

(٢) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ص ١٧٠ قال: هو بُديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن عامر الخزاعي، قيل إنه أسلم يوم الفتح بمر الظهران من قول ابن شهاب، وقال ابن إسحاق إن قريشاً يوم فتح مكة لجأوا إلى دار بُديل بن ورقاء الخزاعي، وشهد بُديل وابنه عبدالله حنيناً والطائف وتبوك وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل أسلم قبل الفتح وقد توفيَ بُديل قبل النبي ﷺ، وكان النبي قد أمره أن يحبسَ النساء والأموال بالجعرانة معه حتى يقدم ـ يعني التي غنمها من حنين ـ أخرجه الثلاثة.

بُديل بن ورقاء في ركب من خزاعة وهي عبية[١] نصح لرسـول الله ﷺ بتهامة، منهم المسلم ومنهم الموادع لا يخفون عليه بتهامة شيء، فأناخوا عند رسول الله ﷺ، ثم جاءوا فسلموا عليه فقال بُديل: جئناك من عند قومك كعب بن لؤي وعـامر بن لؤي، قـد استنفروا لـك الأحابيش ومن أطاعهم، معهم العوذُ المطافيل، والنساءُ والصبيان، يقسمون بالله لا يُخَلون بينك وبين البيت حتى تبيد خُضراؤهم[٢].

فقال النبي ﷺ: (إنا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا لنطوف بهـذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه وقريش قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة يأمنون فيها، ويخلون فيما بيني وبين الناس - والناس أكثرهم منهم، فإن ظهر أمري على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يقاتلوا، وقد جمعوا، والله لأجهدن على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو ينفذن الله أمره.

وأضاف الواقدي قائلاً: فوعى بُديل مقالة النبي ﷺ ثم ركب وركب الوفدُ المرافقُ له إلى قريش حتى هبطوا على كفار قريش وهم مجتمعون هم وحلفائِهم من قبائل ثقيف بقيادة عروة بن مسعود الثقفي وقبائل بنو كنانة تحت قيادة الحُلَيس بن زبان ويقال الحُلَيس بن علقمة في المعسكر الذي أقاموه في منطقة بلدح)[٣].

وما من شك أن الرسالة الشفوية التي صرح بها رسول الله ﷺ والتي حملها بُدَيـل بن ورقاء الخـزاعي إلى قريش، كـانت تحمل كـل معاني الحصافة والمرونة وبعد النظر مع الاعلان بالثقة الكاملة بنصر الله عز وجل والاستعداد التام لكافة الاحتمالات التي يتطلبها الموقف المتجدد.

---

(١) عبية نصحه: أصحاب سره كما جاء في رواية بن هشام جـ٣ ص ٣٥٩.
(٢) الخضراء: الجماعة. مغازي الواقدي، جـ٢ ص ٥٩٣.
(٣) مغازي الواقدي: جـ٢ ص ٥٩٣ - ٥٩٤. هذا وقد جاء في رواية المقريزي مثل ذلك، وانظر جـ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦. إمتاع الأسماع.

سمع بُدَيل بن ورقاء ما جاء في أقوال رسول الله ﷺ ووعاه وتأثرَ به غاية التأثر، وذلك بوصفه رجل محايد جاء للتوسط في حل النزاع القائم بين النبي ﷺ وقريش، هذا ولقد تأثر بذلك عمرو بن سالم الخزاعي[1] الذي كان أيضاً ضمن الوفد الخزاعي بما سمع من رسول الله ﷺ من دعوة صادقة إلى السلام إلى درجة أنه كان يقول، وهو عائد مع بديل وكأنه يخاطب قريشاً، «والله لا تُنْصَرُنَّ على من يعرض هذا أبداً»[2]، يعني ذلك العرض السلمي الذي عرضه رسول الله ﷺ لبديل بن ورقاء الخزاعي.

بُدَيل بن ورقاء في معسكر قريش:

وصل الوفد الخزاعي إلى معسكر قريش وحليفاتها في بلدح حاملاً رسالة الرسول ﷺ الإعلامية إلى زعماء قريش وقد حاول بعض المتطرفين من سادات قريش الشباب حملَ قريش على مقاطعة وفد الوساطة الخزاعي، وتحريض قريش على المضي قدُماً في موقفها الحربي وذلك لأنهم أدركوا أن وفد خزاعة هذا إنما جاء للعمل على إحلال السلام ومنع نشوب الحرب.

فقد ذكر الواقدي في مغازيه قال: (فعندما قبل بُدَيل وأصحابهُ على قريش قال أُناس منهم: هذا بديل وأصحابه إنما جاءُوكم يريدون أن يستخبروكم، فلا تسألوهم عن حرف واحد، فلما رأى بُدَيل وأصحابهُ أنهم لا يستخبرونهم قال بُدَيل: إنما جئناكم من عند مُحمد، أتحبون أن نُخبِرَكُم؟ قال عكرمة بنُ أبي جهل والحَكَم بن العاص وبعض المتطرفين: لا والله ما لنا حاجة أن تُخبرنا عنه، لكن أخبرهُ عنا، إنه لا يدخلها علينا

---

(١) هو عمرو بن سالم الخزاعي من سادات خزاعة، كان صديقاً لسعد بن عباده وأهداه جزوراً في الحديبية وجاء سعدُ بن عبادة وعمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ فقال النبي: «وعمرو قد أهدى لنا ما ترى فبارك الله في عمرو». الواقدي المغازي جـ ٢ ص ٥٩٢، وكذا عند المقريزي جـ ١ ص ٢٨٥ في إمتاع الأسماع.

(٢) الواقدي: المغازي جـ ٢ ص ٥٩٤.

عامه هذا أبداً حتى لا يبقى منا رجل واحد)[1]. وكان عروة بن مسعود سيد ثقيف حاضراً يسمع ما يدور من حديث بين وفد خزاعة المحايد، الذي يدعو إلى الصلح بين الأهل والعشيرة، وبين المتطرفينَ من قريش، وعروة بن مسعود هذا كان قد جاء من الطائفِ على رأس قواتِ قبائلِ ثقيف العسكرية، ليساندَ قريشاً في نزاعها المسلح ضد المسلمين، إذا ما نشبت الحرب بينهما، وذلك على أثر الدعاية الكاذبة التي بثتها قريشُ في جميع القبائل العربية من أن محمداً وأصحابه قد جاءُوا للهجوم على قريش في عقر دارها، يريدون انتهاك الحرماتِ واستباحة المقدسات، مما حمل حلفاءَ قريش من القبائل المجاورة أن يُهرعَوا مستنفِرين كافة قواتِهم المسلحة لنجدةِ قريش والدفاع عن مكة ومقدساتِها، وعلى رأس هذه القواتِ كانت قواتُ قبائل ثقيف بزعامة عروة بن مسعود الثقفي وقبائل الأحابيش بزعامة الحليس بن زبان.

وكان سيدُ ثقيف هذا حاذقاً محنكاً مطاعاً في قومه، ذو عقل راجح وتجارب عديدة فقد استهجن صنيعَ عكرمةٍ بن أبي جهل وبعض المتطرفين من الشباب القرشي المتهور فقال: (والله ما رأيت كاليوم رأياً أعجب، وما تكرهون أن تسمعوا من بُديل وأصحابه، فإن أعجبَكم أمراً قبلتُمُوه، وإن كرِهتم شيئاً تركتمُوه، لا يفلحُ قومٌ فعلوا هذا أبداً)[1].

وعلى أثر ما سمع زعماء قريش من قول عروة بن مسعود هذا وخوفاً من أن يظهر لديه ولدى الزعماء الآخرين من حلفاء قريش، بُطلان إدعاءاتِ قريشٍ وتزويرَها للحقائق، فينقلب الموقف لصالح المسلمين، فقد قرر رجالٌ من عقلائهم وزعمائهم تلافي هذا الموقف، وحاولوا بأن لا يظهروا

---

(١) مغازي الواقدي: جـ٢ ص ٥٩٤. عالم الكتب بيروت، وكذلك في إمتاع الأسماع للمقريزي مجلد ١ ص ٢٨٦.

(٢) إمتاع الأسماع: للمقريزي جـ١ ص ٢٨٦. والواقدي: المغازي جـ٢ ص ٥٩٤، عالم الكتب بيروت.

أمام حلفائهم بمظهر المعتدي. وقد طلبوا من بُدَيل أن يخبرهم بما عنده، فأبلغهم بُدَيل بذهابه ووفده إلى النبي ﷺ بالحديبية، وبما دار بينه وبين النبي ﷺ من مفاوضات، حول مجيئه إلى مكة وبما قاله النبي ﷺ له حول هذا الموضوع. فقد ذكر ابن إسحاق من رواية الزهري أن بُدَيل قال لهم: (يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظِّماً له، فاتهموهم وجبهوهم[1]، وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تُحدِّثُ بذلك عنا العرب[2]. ثم نقل إليهم العرض السمي الذي إذا ما وافقت عليه قريش، فإنه يقضي بإقامة معاهدة بين الفريقين يأمَنُ كلٌ منهما الآخر ولو لمدة زمنية قصيرة. . .)[3].

٢ ـ التحليل الإعلامي لرسالة بديل الشفوية:

نستطيع القولَ بأنّ رسالة بديل الشفوية هذه قد حققت كافة أغراضها الإعلامية بنجاح كامل، وكان لها أحسنُ النتائج الإعلامية. فقد سمع زعماء قريش وزعماء القبائل الحليفة الأخرى إلى ما قاله بُدَيل وهو ينقل لهم رسالة النبي ﷺ الإعلامية الشفوية التي تتضمن رغبة المسلمين الأكيدة الصادقة بنبذ الحرب وحقن الدماء واحترام المقدسات وأنه وأصحابَه لم يأتوا يريدون قتالاً، وإنما جاءوا عُمّاراً معظمين لهذا البيت، وإن حقَهم في ذلك كسائر العرب.

هذا ولقد استعمل بُدَيل أسلوب المقدمة الشاملة لخلاصة الخبر الإعلامي في جملة واحدة، وذلك عندما قال لزعماء قريش:

يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد. . .

(١) جبهوهم: خاطبوهم بما يكرهون. نقول جبهت الرجل: أي خاطبته بما يكره.
(٢) سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٦٠. دار الفكر.
(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير جـ٣ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١. إمتاع الأسماع للمقريزي جـ١ ص ٢٨٦.

فقد استهل بُدَيل كلامه بهذه البداية المحركة للانتباه بانتظار لما سيأتي بعدها من عبارات مكملة لها. ثم أضاف قائلاً: **إن محمداً لم يأت لقتال أحد**. . . وهذه العبارة الثانية هي مكملة لمعنى العبارة الأولى، بالنسبة لتسلسل هذه الرسالة الشفوية. ثم انتهى إلى المقصود بقوله: (**إن محمداً جاء لزيارة هذا البيت وتعظيمه**).

هذه العبارات الثلاثة التي ذكرها بُدَيل - حسب تسلسلها الإعلامي - تحمل أرقى معاني الاتصال الشفوي، وذلك في عرضِه للموضوع وتنسيقه للعبارات بطريقة فنية ومرتبة، وذلك لأن الحُجج المهمة التي تُقَدم في بداية الرسالة الإعلامية تترك تأثيراً كبيراً لدى المستقبلين لهذه الرسالة الإعلامية.

يقول الدكتور عبد العزيز شرف: (إن المقدمة في الخبر الإعلامي هي تقديم الحجج أو العناصر الرئيسية في البداية وما يليها في الأهمية بعد ذلك، فهي تتبع ترتيباً هرمياً يقوم على تقديم الحجج الرئيسية في البداية)[1].

والجديرُ بالذكر أن بديل قد بدأ عباراته بلوم قريش على عملها مبيناً لها خطأ ما قامت به من عمل، لأن هذه الاستعدادات العسكرية ليس لها ما يبررها ما دام أن محمداً لم يأت لقتالِهم وإنما جاء زَائراً معظِّماً للبيت شأنه في ذلك شأن بُقية العرب.

وبهذا السرد المباشر فإن بُدَيل يكون قد أنجز رسالته الإعلامية الشفوية بأقصر العبارات الممكنة، وذلك عندما ابتدأ بعرض أكثر عناصر الرسالة أهمية في المقدمة، ثم انتقل إلى العناصر المكملة الأخرى ذات المدلول الإعلامي الواضح، وهذا ما يتعارف عليه الإعلاميون اليوم بأسلوب الهرم المقلوب.

ويوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله: (إن الخبر الإعلامي الحديث له قوالبه الجديدة القائمةُ على السردِ المباشرِ وإعطاء كل الحقائق

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف. فن التحرير الإعلامي ص ١٦٦.

بأقصر العبارات الممكنة، والابتداء بالعقدة أو أهم عناصر الخبر في البداية مباشرة، وهذا ما يسمى بأسلوب الهرم المقلوب)[1].

وإن مما لا شك فيه أن عوامل النجاح الإعلامي لرسالة بُدَيل الإعلامية يكمن في أسلوب العرض المنظَّم وعوامل الاختصار للخبر الإعلامي المباشر.

فلقد كانَ الإيجازُ الذي استخدمه بُدَيل في رسالته الإعلامية الشفوية إيجازاً ذا معاني ودلالات إعلامية هادفة، فكل عبارة من تلك العبارات كانت تحمل في طياتها معاني سابقتها من أجزاء تلك الرسالة الشفوية المختصرة. وبهذا التنظيم لمضمون الخبر الإعلامي فإنه يمكننا القول بأن تأثيرَ هذه الرسالة الإعلامية كان مباشراً على قريش وحلفائِها المجتمعين معها في بلدح، وذلك بعد أن سمع زعماء هذه القبائل المتحالفة مع قريش بأن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام قد جاءوا زائرين للبيت الحرام معظمين له، وليس كما قالت قريش وادعت بأن محمداً وأصحابَهُ جاءوا لغزو قريش في عقر دارها، والاعتداء على المقدسات، الأمر الذي أدى إلى تصديع جبهة قريش الداخلية وخلخلتها، بعد أن اتضح الموقف الحقيقي للجميع.

ومن هنا فإن المضمونَ الإعلامي لرسالة بُدَيل وأساليب تنظيم أجزاء هذه الرسالة، وطريقة عرضها، تكون قد أدت دورها بنجاح كامل. يقول الدكتور عبد العزيز شرف: (إن مما لا شك فيه أن المضمون الإعلامي وأساليب تقديمه وتنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية، من أهم عوامل النجاح الإعلامي)[2].

وأما فيما يتعلق بالهيكل الإعلامي لتركيب رسالة بديل الإعلامية، فإن هذا الهيكل يتكون في ترتيبه من **مقدمة الخبر الإعلامي**، **فالبرهان**، ومن ثم **الهدف المقصود**، **أو الخاتمة**.

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام. الإعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٩ . الأنجلومصرية.

(٢) الدكتور عبد العزيز شرف. المرجع السابق ص ١٥٩.

وهذا الهيكل يمثل من وجهة النظر الإعلامية، أجزاء تلك الرسالة في عرض الحالة الراهنة والبرهنة عليها.

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: (إن لكل كلام جزءان جوهريان: هما عرض الحالة ثم البرهنة عليها. ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بالآخر، ولا تقديم ثانيهما على أولهما، لأن البرهان لا بد أن يلي الحالة التي يُراد أن يُبرهَنُ عليها وبهذا تكونُ أجزاءُ القول بالرسالة عامة ثلاثة هي:

١ ـ المقدمة.

٢ ـ الغرض: ويقصد به ما يشمل عرض الحالة والبرهنة عليها.

٣ ـ الخاتمة: وتقضي بوحدة العمل الفني وإدراك الموضوع بما يتضمنه من أفكار. ثم تنظيمُ المعاني أو وحداتِ المضمون بحيثُ تكون مُرتبة ومنسقة لتتجلى وحدتها)[1].

وتأسيساً على هذا الفهم، فقد اشتملت رسالة بُدَيل الإعلامية هذه على جميع تلك الأجزاء الثلاثة المذكورة في قول الدكتور هلال.

فقد تضمنت فعلاً، في إطارها العام المقدمة الملفتة للانتباه، وذلك عندما قال لقريش: (يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد...) وهذه تعتبر بداية ناجحة لشد أسماع قريش وحلفائها إلى ما سيأتي بعدها من كلام، وهو البرهان في قوله: (إن محمداً لم يأت لقتال أحد)، ومن ثم انتهى إلى الهدف المقصود عندما قال: (إن محمداً جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً له).

ولا شك أن هذا الترتيب لأجزاء هذه الرسالة الإعلامية بهذه الطريقة قد دل على الأسلوب الفنيّ لها، فقد تناسقت أجزاء هذه الرسالة تناسقاً فنياً، بحيث أصبحت كل عبارة مكملة لما سبقتها، وتدل على المعنى العام لهذه الرسالة الإعلامية الشفوية. وقد حافظت الخاتمة على وحدة المضمون الكلي لهذه الرسالة ووضعتها في قالب إعلامي متكامل.

---

(١) الدكتور محمد غنيمي هلال: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث. ص ٢٤٢.

أما نتيجة هذه الرسالة الإعلامية الشفوية، فلقد أسفرت عن إظهار موقف قريش الحقيقي أمام حلفائها، وكشفِ أباطيلها وزيفِ ادعاءاتها، الأمرُ الذي جعل قريشاً تشعر بالحرج أمام زعماء القبائل الحليفة مما أدى إلى إضعاف الثقة بها. ولما كان من المعروف عند العرب جميعاً أن قريشاً هي السادنة للكعبة، والقائمة على أمر المقدسات، وأنها تسهل للعرب جميعاً زيارة الأماكن المقدسة ومساعدة الحجيج والمعتمرين فإنها هي نفسها الآن أولَ من يقوم بخرق هذا النظام المتعارفِ عليه بداهةً عند العرب جميعاً، وذلك بعد أن اتَّضح للجميع من خلال رسالة بُدَيل الإعلامية، بأن النبي ﷺ وصحبه الكرام إنما جاءوا عُمّاراً وليسوا محاربين كما ادعت قريش.

وأمام هذا الموقف المحرج الذي فضح مكائد قريش، فقد حاول زعماؤهم أن يظهروا أنفسهم أمام حلفائهم بمظهر المتعقل والمتفهم للأمور في محاولة منهم لتلافي الموقف وقرروا إرسال مبعوثاً عنهم إلى رسول الله ﷺ بالحديبية وذلك من أجل أن يقف على الأخبار الحقيقية للمسلمين. وقد وقع اختيارُهم على أحد زعمائهم وهو: (مكرز بن حفص أخو بني عامر بن لؤي ليكون أول مبعوثاً لهم إلى رسول الله ﷺ، كما جاء في رواية ابن إسحاق)[1].

قريش تبعث بأحد زعمائها إلى الحديبية:

ذهب مكرز[2] بن حفص مبعوث قريش الأول إلى رسول الله ﷺ في

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٦٠. دار الفكر.

(٢) هو مكرز بن حفص بن الأحيف بالحاء المعجمة والياء المثناة ابن علقمة بن عبد الحرث ابن مقذ بن عمرو بن بغيض بن عامر بن لؤي القرشي العامري. قال ابن الأثير: ذكره ابن حبان في الصحابة وقال يقال له صحبه ولم أره لغيره وله ذكر في المغازي عند ابن إسحاق والواقدي. إنه هو الذي أقبل لافتداءِ سهيل بن عمرو يوم بدر، وذكرهُ المزرباني في معجم الشعراء ووصفه بأنه جاهلي ومعناه أنه لم يُسلم وله ذكر في صُلحِ الحديبية في البخاري. هذه رواية ابن حجر في الإصابة مجلد ٣ ص ٤٥٦ تحت رقم ٨١٩٣ و لم أعثر له على ذكر في معظم كتب تراجم الصحابة.

الحديبية للالتقاء بالنبي ﷺ والاستفسار منه عن سبب مجيئه إلى مكة وتبادُلِ وجهات النظر والتعرف على آراء المسلمين الحقيقية، هذا وعندما وصل هذا المبعوثُ إلى الحديبية، ورآهُ النبي ﷺ مقبلاً من بعيد قال، كما ذكرت لنا كتب السيرة: «إن هذا الرجل هو رجل غادر»[1] إلا أن النبي ﷺ قد استقبله في مقر قيادته في الحديبية ولم يرفض مقابلته بالرغم من علمه بأنه من النوع الغادر الذي لا يوثق به.

وقد أجرى مكرز محادثات مع النبي ﷺ حول مجيئه هو وأصحابه الكرام إلى مكة، ويبدو أن مكرزاً قد نقل إلى النبي ﷺ وجهة نظر قريش التي تقضي بعدم رغبتهم بالسماح لرسول الله ﷺ بدخول مكة هو وأصحابه هذه السنة، وأن قريشاً قد صممت على هذا الرأي ولو أدى ذلك إلى وقوع الحرب بين الفريقين.

غير أن مكرزاً لم يسمع جواباً من النبي ﷺ على كل ما قاله أكثر من الذي أبلغه إلى رئيس وفد خزاعة، بُدَيل بن ورقاء الخزاعي، وهو أنه لم يأت يريد قتالاً، وإنما جاء زائراً للبيت معظماً له، ولكنه إذا ما فرضت عليه الحرب فإنه سيقاتل من يقاتله وقد أشار عليه الصلاة والسلام ـ أثناء حديثه مع مكرز ـ بأن قريشاً لها تجارب سابقة مع النبي ﷺ، فإذا ما ركبت رأسها وقررت القتال فإنها سوف تجد أمامها رجالاً لا يعرفون إلَّا الشهادة أو النصر، وأن النبي ﷺ مصر على موقفه هذا مهما كانت النتائج.

عاد مكرز بن حفص إلى قريش ثم توجه إلى مقر القيادة العامة في بلدح ليبلغ زعماء قريشٍ وحلفاءها نص الرسالة الإعلامية الشفوية التي تلقاها من النبي ﷺ رداً على رسالتهم إليه باستفسارهم عن سبب قدومه وصحبه إلى مكة. وقد سمع قادة قريش وقادة القوات الحليفة من مكرز ابن حفص ما دار بينه وبين النبي ﷺ حول موضوع مجيء النبي ﷺ بأصحابه

---

(١) الواقدي: المغازي جـ٢ ص ٥٩٩ عالم الكتب بيروت. ابن هشام السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٦٠. دار الفكر.

الكرام إلى مكة المكرمة والذي كما ذكر ابن إسحاق[1]: (بأن ما قاله إلى مكرز بن حفص لم يكن يختلف عما قاله ﷺ إلى بُدَيل بن ورقاء الخزاعي من قبل).

وبهذا التأكيد، فقد بدا واضحاً أمام هؤلاء القادة، وعلى رأسهم الحُليس بن زبان قائد قوات الأحابيش وعروة بن سعود الثقفي قائد قوات قبائل ثقيف، بأن قريشاً هي التي افتعلت هذه المشكلة القائمة برمتها، وأن موقف قريش العدواني هذا قد يجر المنطقةَ إلى ويلات حرب لا يعلم مداها إلاَّ الله وحده، وبدون أي مبرر، الأمرُ الذي جعل هؤلاء القادة يحاولون الذهاب بأنفسهم إلى النبي ﷺ والوقوف على الحقيقة قبل أن يتخذوا أي إجراء من شأنه أن يقرر مصير وجودهم بقواتهم في تلك المنطقة وذلك لذهاب الأسباب التي أدت إلى مجيئهم بقواتهم إلى هناك، وكذلك لعدم وجودِ الأسباب الكافية والمقنعة التي تبرر بقاءَ وقوفهم إلى جانب قريش المعتدية، ناهيك عن أن هذه الحرب هي ضد أهلها وأبنائها من الطرف الآخر، وأنها تدور في البلد الحرام وفي الشهر الحرام، نتيجة للعنجهة والعصبية والغطرسة، لذلك فقد قرر الحليس بن زبان أن يذهبَ إلى النبي ﷺ من أجلِ أن يقف بنفسه على الحقيقة المجردة، وأن يسمع من الرسول ﷺ القصة كاملة.

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص ٣٦٠.



الفصل الثاني

الوفدُ الإعلاميّ الثّاني برياسةِ الحليس بن زبان

١ ـ مجيء الوفد ورجوعه إلى قريش منكراً عليها اعتراضها على النبي وأصحابه:

تَوجَه الحُليس بن زبان إلى الحديبية حيث يرابطُ النبي ﷺ بأصحابه الكرام، على حدود الحرم الشريف خارج مكة المكرمة، بانتظار ما يستجد من أمور وما ستُسِفر عنه الرسالتان الشفويتان اللتان أبلغهما لرئيس وفد خزاعة، بُدَيل بن ورقاء ومبعوث قريش مكرز بن حفص.

وعندما أقبلَ الحُليس بن زبان على معسكر المسلمين ورآه رسول الله ﷺ قادماً، قام عليه الصلاة والسلام بعمل دراسة تحليلية سريعة لشخصية الحُليس تمكنَ خلالها من تحديد السمات الخاصة والمميزة لشخصيته وذلك بأنه من قوم يتألهون. وبناء على ذلك فقد عمل عليه

---

(١) الحُلَيْس (بضم الحاء وفتح اللام) هو سيد الأحابيش وزعيم بني كنانة، كان سيداً مطاعاً في قومه، راجح العقل، ذو نزعة دينية. ولم أجد له ذكراً في كتب تراجم الصحابة، مما يُعتقد بأنه مات على الشرك.

الصلاة والسلام على الاستفادة من هذه الميزة لدى الحُليس، وذلك بعمل خطة إعلامية محكمة الجوانب تحقق للمسلمين تحويلَ الموقف لصالحهم.

فقد أمر عليه الصلاة والسلام المسلمين برفع الأصواتِ بالتلبية وإظهار الهدي[1] أمام الحُليس حتى يراه وبيان كل ما من شأنه أن يظهر للحُليس بأن المسلمين إنما جاءوا عماراً لزيارة البيت الحرام وتعظيم حرمات الله.

فلما رأى الحُليس الهدي يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي في ذلك المكان المجذب حيث لا يوجد ماء ولا توجد مراعي، وقد أكل الهدي أوباره من طول الحبس عن محله[2]، ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زي الإحرام، وقد شعثوا من طول المكوث على إحرامهم... استنكر تصرف قريش بشدة.

وقد انصرف سيد بنيِ كنانة عائداً من حيث أتى دون أن يفاتح النبي ﷺ بشيء أو أن يفاوضه كما كان مقرراً من قبل، وذ لك متأثراً جداً بما رأى مقتنعاً كل الاقتناع بأن قريشاً غير محقة في تصرفها أزاء المسلمين. وأن عملها هذا هو عمل عدواني ضد زوار بيت الله الحرام ولا يجوز لأحد أن يؤيدهَا أو أن يناصرهَا على ذلك.

قال ابن هشام من رواية ابن إسحاق (ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحرث بن عبد مناه بن كنانة، فلما رآه الرسول ﷺ قال لأصحابه: «إن هذا من قوم يتألهون[3] فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه». فلما رأى الهدى يسيل عليه

(١) الهَدْي (بفتح الهاء وسكون الدال) وهي الإبل والغنم والماعز التي تساق لنحرها في الحَرم تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى.

(٢) محله: أي موضعه الذي ينحر فيه من الحرم.

(٣) يتألهون: يتعبدون.

من عرض الوادي في قلائده[1]، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى النبي ﷺ إعظاماً لما رأى... وأضاف ابن هشام: وقال لهم الحليس يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، وعلى هذا عاقدناكم، أيُبَعَدُ عن بيت الله من جاء معظماً له؟ والذي نفس الحُليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد)[2].

هذا وقد ذكر الواقدي بأن قريشاً قد غضبت لصراحة الحليس هذه ووقوفِه إلى جانب الحق، وحاولت تلافي هذا الموقف المتدهور الذي يهدد بانقسام خطير في جبهة قريش العسكرية، ونسف لحلف المعقود بين قريش والأحابيش. وقالوا لزعيم الأحابيش (إنما كلَ ما رأيت هو مكيدة من محمد وأصحابه، فاكفِف عنا حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به)[3].

وبهذه النتيجة الطيبة تكوُنُ أولُ ثمار هذه العملية الإعلامية قد تحققت وذلك في تفويت الفرصة على قريش من أن تحقق أي نجاح في كسب الحُلَيس ووقوفه بقواته إلى جانبها وبإحباط مخططاتها العدوانية.

والجدير بالذكر أن هذه العملية الإعلامية التي نفذها رسول الله ﷺ قد جاءت نتيجة للضرورات الملحة التي يتطلبه الظرف الحاصلِ في مثل تلك المواقف، إذ لم يكن إيجاد هذه الوسيلة الإعلامية خاضعاً لرد فعل معين بقدر ما هو عاملُ استحداث لوسيلةٍ إعلامية حاول بواسطتها رسول الله ﷺ أن يترجمَ الكلماتِ إلى معاني بصورة رموز إعلامية هادفة، وقد نجحت هذه العملية نجاحاً كبيراً في إحداثِ تفاعل داخل الفرد المستقبل نفسه، مما أدى إلى إيجاد رد فعل معين بما يتفق وتحقيق الهدف المطلوب من تلك العملية. وهذه الحالة هي أقرب ما يتعارف عليها الإعلاميون في عصرنا الحاضر بعملية رجع الصدى.

---

(١) القلائد: هو ما يعلق في أعناق الهدي ليعلم أنه هدي بالِ الكعبة.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٦٠ - ٣٦١. دار الفكر.

(٣) الواقدي: المغازي جـ٢ ص ٦٠٠. عالم الكتب بيروت

وتشيرُ إلى ذلك الدكتورة جيهان رشتي بقولِها: (حينما يبدأ المرسلُ في تلقي المعلومـات، يتفهم المنبهات ثم يبـدأ عملية وضـع فكرة في «كود»[1]، تنطوي هذه العملية على اختبار المنبهات التي تتفق مع وجهات نظره، أي تناسبه، واستبعاد تلك المنبهات التي لا تناسبه، ويعمل الظرف الذي يحدث فيه الاتصال كمؤثِّر يحدد المعنى الفعلي للفكرة، ويتضمن الظرف استيعابَ المُرسلِ للأفكار التي تقدمها الرسالة على ضوء تجربته السابقة حيال تلك المعلومات، ومشاعره واتجـاهاتـه وعواطفـه في وقت الإرسال. ثم يتم نقلُ فكرة الرسالة في شكل منبهات من خلال قنوات معينة بأسلوب ما، أي بوسائل معينة تحمل الرسالة إلى المتلقي، يتفهم المتلقي منبهات الرسالة ويستوعبها «ويفك كودها» لكي يقوم بتفسيرها. وتتضمن عملية فك الكود اختيار أو انتفاء المنبهات التي تتفق مع ثقافة المتلقي. وتعمل الثقافة في مثل ذلك الظرف أو المناخ العام كمؤثر يحددُ المعنى الفعلي للرسالة، وتتكون الثقافة من معرفة المتلقيّ لمعلومات الرسالة، ومن ثم تجربتِه السابقة حيال تلك المعلومات، ومن مشاعره واتجاهاته وعواطفه وقت التلقي. وبعد أن يفسر المتلقي الرسالة، سوف يستجيب عليها وهذه الاستجابة هي رجْعُ الصدى أو التأثير المرتد، الذي يعرف المرسل بفضله وصول الرسالة إلى هدفها. فرجْعُ الصدى يتكون من رد فعـل المتلقي الداخلية والخارجية والإشارات أو الأعمال التي يقوم بها فيمـا بعد هي استجابة على هذه الرسالة)[2].

التحليل الإعلامي للعملية:

لقد كانت العملية الإعلامية التي وضعها الرسول ﷺ في مواجهة زعيم الأحابيش، تقوم على أربعة نقاط متداخلة:

١ ـ دراسة تحليلية لشخصية الحُلَيس ونفسيته.

---

(١) كود: بمعنى الرمز المعين وهي كلمة إنجليزية وقد استخدمت بلفظها ومعناها.

(٢) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

٢ ـ عمل خطة إعلامية تتناسب تناسباً كلياً مع المبادىء التي يؤمن بها الحُلَيس.

٣ ـ طبيعة الوسيلة الإعلامية التي استخدمها النبي ﷺ لهذا الغرض.

٤ ـ النجاح الذي حققته هذه الخطة الإعلامية.

وفيما يتعلق بالنقطتين الأولى والثانية فإن الرسول ﷺ عندما أخبر الصحابة الكرام بقوله: «إن هذا الرجل هو من قوم يتألهون»، وأمرهم بأن يبعثوا الهدي في وجهه، فالواضح من خلال هذه المعلومات أن الرسول ﷺ كان على معرفة تامة بهذا الرجل، وإنه بحكم هذه المعرفة قد درس شخصيته دراسة موضوعية، وذلك بما كان عنده من حب شديد لتعظيم الحرمات والمقدسات والعمل على الاستفادة الكاملة من هذا الجانب في كسب المعركة. وعلى هذا الأساس فقد قام عليه الصلاة والسلام بوضع خطة إعلامية مناسبة تقضي بوضع الحقائق كاملة أمام هذا الرجل وإظهار موقف المسلمين السلمي بصورة واضحة وجلية. ومن ثم استمالته إلى جانب المسلمين أو على الأقل وقوفه على الحياد في هذا الصراع.

والجدير بالذكر أن الحُلَيس كان يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعاً وذلك لما يمتاز به من رجاحة في العقل، ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيماً وقائداً لقوات الأحابيش، وإنه كذلك يتمتع باحترام وتقدير من جانب النبي ﷺ وقريش على حد سواء. لهذا فإن إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فأنه يستطيع أن يقوم بدور هام في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين والعمل على كبح جماح قريش وإقناعها بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصدهم عن المسجد الحرام.

ومن هنا فقد كانت الدراسة النفسية التي قام بها رسول الله ﷺ لشخصية الحُلَيس تتناسب كلياً مع المبادىء التي يؤمن بها وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تماماً ومرضية.

أما فيما يتعلق في هذا الجانب من الدراسات النفسية فقد اهتم كثيرٌ

من الجامعات العالمية في السنوات الأخيرة بهذه الدراسات، وقد خصصت لها بحوثاً ميدانية وغير ميدانية وذلك من أجل قياس درجة التأثير النفسي المطلوب ولنستمع إلى الدكتور إبراهيم إمام وهو ينقل لنا نتائج بحوث جماعة هوفلاند بقوله: (ومن بحوث جماعة هوفلاند في جامعة بيل دراسة نفسية هامة عن قابلية الأفراد للاقتناع والتأثر وعلاقة ذلك بتكوين الشخصية. ثم يتساءل الدكتور إمام قائلاً: فهل هناك سماتُ معينة تجعل الشخصية أكثر تأثراً بالمواد الإعلامية من غيرها؟. ويجيب على هذا السؤال فيقول: (لقد أجريت تجارب عن مدى التأثر بوجه عام، ثم أجريت تجاربَ أخرى عن مدى التأثر بموضوعات محددة، ولكي تتضح آثارُ عوامل الشخصية نفسِها، أو العوامل الواقعة بين المثير والاستجابة، وهي الحالة النفسية الوسيطة، كان لا بد من اختيار مجموعة من ذوي الشخصية السوية، ومجموعة أخرى من المصابين بالأمراض العقلية. وقد أثبتت التجاربُ أن هناك علاقةً وثيقةً بين سمات الشخصية ودرجة القابلية للإقناع والتأثر)[1].

وتأسيساً على هذا الفهم فإن الدراسة التي قام بها رسول الله ﷺ للسمات الشخصية والنفسية للحليس بن زبان، ومن ثم تهيئةُ هذه السمات للطرق الإعلامية الفعالة والمؤثرة، وتوفير المناخ الملائم لبث العملية الإعلامية، قد أدى إلى إنجاحها، وذلك في جعل الحليس يفسر ظواهر هذه العملية ومدلولاتها الإعلامية التفسير الذي يخدم الأغراض التي وضعت من أجلها هذه العملية الإعلامية. فمن الحق القول إذن بأن هذه الخطة الإعلامية قد أدت دورها وحققت أغراضها بنجاح تام. تقول الدكتورة جيهان رشتي: (إن بعض الدراسات تشير إلى أن هناك علاقات إيجابية بين المقدرة الذهنية والتأثر بالرسائل الإقناعية. وإن هذا الاستعداد الذهني يتوقف على مدى الاستمالات المستخدمة)[2]. ولا شك أن عنصر الذكاء كان عاملاً حاسماً في هذه العملية الموجهة فالرسول ﷺ استطاع بما حباه

---

(١) دكتور إبراهيم إمام: الإعلام والاتصالات بالجماهير ص ٥٤.

(٢) دكتورة جيهان رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام. ص ٥٣ دار الفكر العربي.

الله من ذكاء وفطنة نادرين، أن يحرِّك الكوامنَ الداخية لدى الحُلَيس بسرعة مناسبة وبدقة متناهية، كذلك فإن الحُلَيس عندما استطاع تفسير مضمون هذه العملية والاستجابة لها بهذه السرعة، قد دلَّ ذلك على أن هذا الرجل كان يتمتع بقدر عال من الذكاء أيضاً، فهو عندما رأى الهَدي يسيل من عرض الوادي، بقلائده قد أكل أوباره من طول الحبس. ورأى المسلمين وقد شعثوا من طو ل المكوث على إحرامهم، فإنه وكما جاء في السيرة الحلبية: (صاح مستنكراً تصرف قريش، وقال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء القوم أن يُصَدّوا عن البيت، أبى الله إلاّ أن يحِجَ لخمُ وجذامُ ونهدُ وحميرُ، ويُمنعُ ابن عبد المطلب؟؟!!.. ثم قال: هلكت قريش ورب الكعبة، إنما القوم أتوا عماراً)[1].

ومن هنا يتضح لنا مقدار تأثر الحُلَيس بهذه العملية الإعلامية ومقدار الذكاء الذي كان يتمتع به هذا الرجل.

وتفسرُ لنا الدكتورة جيهان رشتي ظاهرة الذكاء هذه من وجهة النظر الإعلامية فتقول: (إن الأفراد ذوي الذكاء المرتفع يتأثرون أكثر من الأفراد ذوي القدرات الذهنية المنخفضة، لأنهم أقدر على الخروج باستنتاجات، حينما يتعرضون لرسائل إقناعية تعتمد أساساً على حجج منطقية مؤثرة، وإن الأفراد الأكثرَ ذكاءً، أقل تأثراً من الأفراد الأقل ذكاء، حينما يتعرضون لرسائل إقناعية تعتمد أساساً على تعميمات ليس هناك ما يدعمها، أو حجج زائفة غير منطقية أو غير متصلة أساساً، لأن قدراتهم النقدية أقل)[2].

وجدير بالقول أن الرسولَ ﷺ في حركته الإعلامية هذه، كان يركز على الناحية الدينية التي يتميزُ بها الحُلَيس، وذلك عندما بدأ العمل على استمالتِه وإقناعه بتغيير ما كان يحمله من أفكار وآراء إلى أفكار وآراء معاكسة تماماً، و ذلك عن طريق الرموز الإعلامية ذات المفاهيم الدينية.

---

(١) السيرة الحلبية: جـ٢ ص ١٣٧.

(٢) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٥٤٥.

والدين كما هو معلوم، من أقوى العوامل الإيجابية والمؤثرة على الإنسان، إذ أن حياة الإنسان في هذه الدنيا ترتبطُ به ارتباطاً كلياً ومصيرياً وهو الأساس الذي ينطلق منه عمل الإنسانِ سواء كان إعلامياً أو غير ذلك.

ويوضح لنا ذلك الدكتور محمد الهواري بقوله: (الدين يُعتبر من العوامل الأساسية التي تؤثر على سلوك الأفراد في المجتمعات، **والعواطفُ والانفعالات ترتبط بالأفكار والمعتقدات**. والحياةُ الروحيةُ هي جزء أساسي من فلسفة الإنسان بالنسبة لوجوده ومصيره. لهذا فهي تلعب دوراً هاماً في تكييفه مع مصائبه وأتراحه ومصائره في الحياة. ونحن هنا نذكُر أثرَ الدينِ في المجتمع نظراً لأهمية ذلك في العمل الإعلامي والنفسي. فالاختصاصي لا يمكن أن يمارس عمله، إلَّا أن يكون قد عرف جميع الظواهر النفسية والاجتماعية والروحيةِ التي لها تأثيرٌ على مواقف الفرد واتجاهاته)[1].

وبهذا يمكننا القول بأن الدراسة التحليلية التي أجراها الرسول ﷺ لشخصية الحُلَيس من جهة، والعملية الإعلامية التي واجَهَهُ بها من جهة أخرى، قد أسفرتا عن النتائج الإيجابية المطلوبة، الأمرُ الذي جعل الحُلَيس يعود بانطباع معاكس تماماً لما كان يحمله عن المسلمين من قبل.

ولا بد من الإشارة هنا ـ ونحن نستفيدُ من هذه الدروس العظيمة ـ بأنه على الدعاةِ والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية، الاستفادة من هذه الدروس والعمل على إيجاد الدراسات العملية والنفسية للأشخاص، قبل مبادأتهم بالدعوة، وذلك من أجل أن يكونَ لدى الداعية المسلم الخلفيةَ المناسبة للأشخاص الذين تعملُ الدعوةُ على كسبِهم إلى صفوفها، والله الموفق والهادي إلى سَواءِ السبيل.

٢ ـ الوسيلة الإعلامية:

أما بخصوص النقطة الثالثة من هذا التحليل الإعلامي، فهي تتعلق

---

(١) الدكتور محمد الهواري: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص ٧٧ ـ ٧٨ طبعة الندورة العالمية للشباب الإسلامي.

بالوسائل الإعلامية التي استخدمها الرسول ﷺ في رسالته الإعلامية الموجهة إلى الحُلَيس، بطريقة الرمز الإعلامي الهادف. وهذه الوسائل الإعلامية هي:

* الهَدي المقلد.
* زيُ الإحرام.
* رفعُ الأصوات بالتلبية.

ولا شكَ أن الطريقة المتقنة التي استخدمت هذه الوسائل الإعلامية بها، كانت طريقةً مؤثرة وهادفة، مما أدى إلى وجود نتائج إيجابية جيدة.

تقول الدكتورة جيهان رشتي: (تهدف أغلب وسائل الإعلام والرسائل الإعلامية إلى التأثير. فالهدف من أي رسالة أن تعاونَ على بناء أو إفهام ظرف ما لشخص آخر، والتأثيرُ عليه ليقومَ بعمل معين، أو يشعُرَ بمشاعرٍ معينة)[1].

ومما يُذكر أن الرسول ﷺ عندما قام باستخدام هذه الوسائل الإعلامية على شكل رموز إعلامية هادفة، إنما كان مبدعاً في هذا الفن، غيرَ مقلدٍ فيه، ومن ناحية أخرى فإن هذه الرموز الإعلامية، كانت رموزاً إعلامية عُرفية تقليدية، إذ أنه من المتعارَفِ عليه في الجزيرة العربية، أن هذه الرموز الإعلامية لا تستعملُ إلاَّ في حالة الحج أو العُمرة فقط. فالإحرامُ و الهُدي والتلبية، كلها رموزٌ إعلامية تخضع في استعمالها للزمان والمكان، وتعتمدُ في تأثيرها على السمع والرؤيا.

ويستعرض «أولمان» مسألةَ تقسيم الرموز الإعلامية ومدلولاتها من وجهات النظر المتعددة، فيقول: (إنه من الطبيعي أن يكونَ السمعُ والرؤية أعظمُها منزلة، إذ أن أعضاءَهما أكثرَ الأعضاءِ رقياً. وقد وجُد من وجهة نظر أُخرى أن الرموز، إما طبيعية أو تقليدية عرفية. «الرموزُ الطبيعية لها نوعٌ من

---

(١) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٥٩٠.

الصلة الذاتية بالشيء الذي ترمز إليه. فالهلالُ يعدُ رمزاً طبيعياً للإسلام. والصُفّارة هي أداة لضبط الوقت والإنذار. وإن استعمال اللون الأسود علامةٌ للحزن، وهزُ الرأسِ دليل للرفض، ثم يخلُصُ إلى القول: بأن هذه الرموز كلها ما هي إلا وسائل ورموز تقليدية عرفية، وتصبح غيرَ مفهومةٍ خارج البيئة التي وجدت فيها)[1].

ومن جهة أخرى فإن المعنى الدلالي للرموز الإعلامية التي استخدمها الرسول ﷺ، يتضح من المعنى الطبيعي والتقليدي المجرد لها. إذ أن الشخص الذي يتعرض للنظر إلى هذه الرموز يستطيع أن يكوِّنَ رأيَهُ القاطعَ ضمن إطارها الدلالي. وتوضح لنا هذا المفهوم الدكتورة جيهان رشتي، عندما تقول: (يعتمدُ أيُ كائن حي على العلامات الطبيعية، التي تحيط به. ولكن البشرَ يعتمدون بالإضافة إلى العلامات الطبيعية على المعاني المجردة، أو الرموز الهامة التي يعطونها معان يتفقون عليها ويتصلون بها. وبفضل هذه العلامات الطبيعية والرموز الهامة يكَوِّن الفردُ إطاره الدلالي)[2].

هذا ويتحدث الدكتور عبد العزيز شرف من وجهة نظره عن تأثير الدلالة الإعلامية وعن مدى قدرتِها في تغيير حالة قائمة فيقول: (إن معيار الدلالة الإعلامية، يقوم على النظرية المتعلقة بجوهر الإعلام كأساسٍ عام للقِيم الإعلامية وكل ما له قيمة إعلامية، مما يغيِّرُ حالة قائمة أو يُنذر بتغييرها، إنما يترتَّبُ على حوادثٍ وقعت فعلاً، أو هي في سبيل أن تقع، وهي حوادثُ تتميز بدلالة تقوم على الصراع ومراكز الاهتمام الإنساني. ففي المجتمع ألوان شتّى من الصراع ولمعظمِها أهمية أخبارية)[3].

ولما كانت هذه الدلائل الإعلامية تعتبر ذات أثر إعلامي فعال في

---

(١) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة ص ١٩ الترجمة العربية للدكتور بشر.

(٢) دكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٦٠٣.

(٣) د. عبد العزيز شرف: فن التحرير الإعلامي ص ١٢٥. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

التأثير على الحالة النفسية لشخص ما، أو لأشخاص كثيرين في تغيير سلوكهم، فإن استخدام هذه الوسائل والتحكم في استعمالها، بما يحقق الاستجابة المطلوبة، ليس ذلك من الأمور السهلة.

ويوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام قوله: (يهتم الإعلاميون بالدلالة لأنها الحالة النفسية التي تتوسط التأثر بالرمز والاستجابة له. فالإنسان يتأثر بمنبه من المنبهات التي حوله، ثم يستجيبُ لهذا المنبه وفقاً لدلالته بالنسبة له، إذ أن الدلالات تختلف من حضارة إلى حضارة، ومن بيئة إلى بيئة أخرى، بل من شخص لآخر. ولما كانت الدلالات هي التي تتحكم في تصرفات الناس وأساليب سلوكهم، فإن من يستطيع تغيير هذه الدلالات يمكنه أن يغير السلوك أو يعدله. ومن الواضح أن فنون الاتصال بالجماهير من دعاية وإعلام وتعليم وعلاقات عامة وغيرها ترمي إلى تعديل السلوك بطرق مختلفة. وليس تعديل الدلالات والمفاهيم بالأمر الهيِّن، كما يبدو لأول وهلة)[1].

ويحدثُنا صاحبُ البرهان عن الدلالة الإعلامية من الناحية البلاغية، أو ما يطلق عليه، بيان الأشياء بذواتها، فيقول: (فالأشياءُ تبين للناظر المتوسم، والعاقل المتبين بذواتها، وبعجيب تركيب الله فيها، وآثار صنعته في ظاهرها. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[2]. وقال: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]. ولذلك قال بعضُهُم: قل للأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن أجابتك حواراً، وإلّا أجابتك اعتباراً، فهي وإن كانت صامتة في نفسها، فهي ناطقة بظواهرها وأحوالها. وعلى هذا النحو استنطقت العرب الربعَ وخاطبت الطلل، ونطقت عنه بالجواب على سبيل الإستعارة في الخطاب وقال الشاعر:

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٢٣ مكتبة الأنجلو مصرية.

(٢) سورة الحجر الآية (٧٥).

(٣) سورة العنكبوت الآية (٣٥).

يا رَبعُ بُسرة بالجَنَاب تَكَلَّم   وابْنِ لَنَا خبراً وَلاَ تَسْتَعْجِمِ
مَالي رَايتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشاً   خُلُقاً لِحَوْضِ البَاقِرِ المُتَهَدِمِ)[1]

وحول النقطة الرابعة والأخيرة والتي تتعلقُ بنجاحِ الخطة الإعلامية التي وضعها رسول الله ﷺ في مواجهة الحُلَيس، فإنه يمكننا القول بأن هذه الخطة الإعلامية التي تقومِ في أساسِها على الحركة الإعلامية والرمز الهادف، قد حققت نجاحاً رائعاً ونصراً هائلاً في الوصول إلى النتيجة المطلوبة.

ومما يُذكرُ أن نجاح هذه الخطة الإعلامية لم يكن مقتصراً على ترك زعيم الأحابيش ليستخلص النتائج بنفسه فقط، ولكن في مدى تأثير هذه الخطة الإعلامية وإمكاناتها ومدى قدرتها على تغيير الاتجاه والسلوك الإنساني وارتِدادِ الأفكار، وبالتالي قلب الوضع ليكونَ ولاءُ زعيم الأحابيش إلى المسلمين، بدلاً من ولائه لقريش. وبهذا يكون الرسول ﷺ قد تمكن من تحقيق الظهور الإعلامي المطلوب في هذه الحادثة، ويعرف الشيخ زين العابدين الركابي الظهور الإعلامي بقوله: (هو تفوق في شعار تجاري أو سياسي على شعار آخر منافس له في عالم الأفكار والعقائد، حيث يسعى كل صاحبِ مذهب وفكر على ظهور مذهبه أو فكره)[2].

ولا شك أن زعيمَ الأحابيش كان حتى وصوله إلى معسكر المسلمين

---

(١) والبيتان للحارث بن خالد المخزومي وهو شاعر إسلامي وأحد شعراء قريش المشهورين والبُسرة (بضم الباء) والسين المهملة وهو اسم جارية لعائشة بنت طلحة. انظر الأغاني جـ٣/ ٣٣٥. والباقر: جماعة البقر مع رعاتها والجناب بفتح الجيم وكسرها اسم مكان. واستعجم سكت. (البرهان في وجوه البيان ص ٥٧. تحقيق جفني محمد شرف. مطبعة الرسالة القاهرة).

(٢) يمكن الرجوع إلى تعريف الشيخ زين العابدين الركابي لموضوع الظهور الإعلامي الإسلامي في بحث كتبه في كتاب الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص ٣٢١ طبعة الندورة العالمية للشباب الإسلامي.

في الحديبية يحمل في قرارة نفسه بأن المسلمين هم بغاة معتدين يريدون هتك حرمة البيت العتيق بالحرب والقتال وهو ما زيفتهُ له ولغيره الدعايةُ القرشيةُ الكاذبة. وها هو الآن يرجِعُ إلى قريش متغير الوجه والأفكَار، حاملاً معه الحقيقة المجردة بما رآه بعينيه وسمعه بأذنيه من أن المسلمين قد جاءوا ليعظموا بيت الله الحرام، وليبلغوا الهَديَ محِلَه وليس كما زعمت قريش. وقد وجد كلُ الدلائل الحقيقية على ذلك مما جعل لديه القناعة التامة التي لا يساورها أدنى شك، من أن الغرض الحقيقي لمجيء المسلمين إلى مكة إنما هو أداءُ العُمرة فقط.

ولا شك أن هذا الموقف قد أوجد عند الحُلَيس تغييراً كبيراً تجاه المسلمين وتجاه قريش أيضاً. حيث رسخ في ذهنه بما لا يدع مجالاً للشك، بأن المسلمين ليسوا كما قالت عنهم قريش، وإنهم لم يرتكبوا أي خطأ ضد أحد من الناس عندما جاءوا لزيارة الأماكن المقدسة في مكة. وإن قريشاً هي االتي افتعلت هذه الأزمة بغياً وعدواناً. وبهذه النتيجة الرائعة يكون الرسول ﷺ قد تمكن تماماً من تحقيق التغيير المطلوب في أفكار الحُلَيس عن المسلمين بشكل عام عن طريق استخدام فن الإعلام بصورة متقنة وفعالة، تقوم على أساس علمي مدروس. ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور محمد الهواري في حديثه عن كيفية استخدام فن الإعلام في العمليات النفسية، يقول: (إن فن الإعلام عنصرٌ هامٌ في العمليات النفسية فبواسطته يمكن ترسيخ الأفكار وتبديل المواقف لدى بعض الأشخاص أو الجماعات ويمكن أن يتمُ الإعلامُ بواسطة الفرد والجماعة للتأثير على عواطف وسلوك واتجاهات الآخرين والمادة الإعلامية بحد ذاتها تعتمدُ على تعابير واقعية وملموسة تفرضها درجة الثقافة ومستواها)[1].

وما من شك بأن التأثير الناتج عن هذه العملية الإعلامية كان ناجحاً

(١) الدكتور محمد الهواري: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص ٧٨. طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

إلى حد، إن هذا التغيير لدى الحُلَيس لم يقتصرْ فقط على التغيير في أفكاره وإنما شمل أيضاً اتجاهاته وتصرفاته وسلوكه بحيث أصبحت المؤثرات الفعلية واضحة على سلوك الحليس.

يقول الدكتور إبراهيم إمام: (إن المؤشرات الكمية ليست هي الدليل النهائي على نجاح التأثير ولا شك، أن الأهم من ذلك هو التأكد عن مدى تأثر الناس فعلاً بما يقرأونَه ويسمعونَه ويشاهدونَه، فعلينا أن نعرف كيف استجاب هؤلاء الناس للعناصر الإعلامية التي يتعرضون لها. ويضيف الدكتور إمام: وحتى مدى التأثر نفسه لا يكفي لأن الإعلام لا يرمي إلى مجرد تغيير الاتجاهات وإنما يرمي إلى تغيير السلوك نفسه، فلا يكفي أن يبدي المستهلكُ إعجابه بالسلعة، بل المهم أن يُقدِمَ على شرائها ويشتريها فعلاً. ولا يقنع الداعية بمجرد إعجاب الجماهير بما يقول بل المهم أن يَنضمَّ الناس إلى التنظيم الذي يدعوا له)[1].

وفي هذه الأثناء وبينما كانت الفوضى والاضطراب يدبان في معسكر قريش على أثر التصريحات التي أدلى بها سيد الأحابيش، وأعلن فيها عن وقوفه إلى جانب الحق والعدل في هذا الصراع، وذلك بعد عودته من الحديبية.

وفيما كان عروة بن مسعود الثقفي، قائد قوات ثقيف التي ترابط إلى جانب قريش في بلدح، يرقُب الأحداثَ الدائرة حول هذه الأزمة عن كثب، تلك الأحداث التي بدا له فيها واضحاً، بحكم مركزه القيادي، من أن قريشاً هي التي قد افتعلتها، مما جعله يدركُ الصورة الحقيقية لموقف النبيّ ﷺ وأصحابه الكرام. وهي الصورة التي كانت قريشُ قد أعطت عكسها، وعلى أساس من هذا الإدراك الصحيح والتقويم الحقيقي للموقف فقد تبين لدى عروة بن مسعود، كما تبين لدى سيد الأحابيش، من أن

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٣٤٥. الإعلام والاتصال بالجماهير مكتبة الأنجلو مصرية.

النبي ﷺ وأصحابه الكرام لم يكونوا مخطئين ولا معتدين حينما جاءوا محرمين لزيارة البيت الحرام. هذا ولقد أدرك سيد ثقيف كذلك أن العرض السلمي الذي دعا فيه النبي ﷺ إلى السلم ولموادعة ونبذ الحرب، هو عرضٌ عادلٌ من وجهة نظر الجميع، وإنها خطة رشدٍ لا يجوز لقريش أن ترفضها، الأمر الذي جعل قريشاً في نظر العرب في موقف الجائر المعتدي.

لهذا فقد وجه عروة بن مسعود اللومَ صراحةً إلى حلفاءه القرشيين ونصحهم بأن يغيروا من موقفهم هذا، وأن يقبلوا العرض النبوي الذي جاء به بُدَيل بن ورقاء الخزاعي. فقال لهم عروة بن مسعود كما جاء في رواية الواقدي: (يا معشر قريش تتهموني؟ قالوا: ما أنت عندنا بمتهم. ثم قال لهم: ألستم الوالد وأنا الولد؟ قالوا: نعم، قال: وقد استنفرت لكم أهل عكاظ لنصرتكم، فلما بلحوا[1] عليَّ نفرت لكم بنفسي وولدي ومن أطاعني؟ فقالوا: قد فعلت، فقال: إني ناصح لكم، شفيقٌ عليكم، لا أدَّخر عنكم نصحاً، وإن بُدَيلاً قد جاءكم بخطة رشد لا يردها أحد إلاَّ أخذ شراً منها فاقبلوها منه، وابعثوني حتى آتيكم بمصداقها من عنده[2]. وبعد أن اقترح عليهم أن يكونَ وسيطهم إلى النبي ﷺ لحل هذه الأزمة، قال ابن إسحاق من رواية الزهري: (ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ، عروة بن مسعود الثقفي)[3].

---

(١) بلحوا: امتنعوا عن الإجابة.

(٢) الواقدي: المغازي جـ ٢ ص ٥٩٤ عالم الكتب بيروت

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ص ٣٦١، دار الفكر.



الفصل الثالث

الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود

١ ـ عروة بن مسعود يفاوض النبي ﷺ ويعود إلى قريش معظماً للنبي:

غادر عروة بن مسعود الثقفي[1]، زعيم قبائل ثقيف، معسكر لمشركين في بلدح متوجهاً إلى الحديبية، حيث يرابط النبي ﷺ بقواته

(١) ذكر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر بن عاصم القرطبي ج (٣)، ص ١١٢ ـ ١١٣ ـ. هو عروة بن مسعود بن متعب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، واسمه قيس بن منبة بن بكر بن هوازن الثقفي أبو مسعود وقيل أبو يعفور، شهد صلح الحديبية. قال ابن إسحاق، لما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف أتبع عروة بن مسعود أثره حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، وسأل رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: إن فعلت فإنهم قاتلوك. فقال يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم. وكان فيهم محبباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام، فأظهر دينه رجاء أن لا يخالفوا منزلته فيهم، فلما أشرف على قومه وقد دعاهم إلى دينه رموه بالنبل من كل جهة، فأصابه سهم فقتله. وقيل لعروة ما ترى في دمك قال: كرامةً أكرمني اللهُ بها، وشهادةً ساقها الله لي. قال قتادة في قول الله عز وجل: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾. قالها الوليد بن المغيرة قال: لو كان ما يقول محمدُ حقاً لكان أنزل هذا القرآن على عروة بن مسعود الثقفي. قال والقريتان هما مكة والطائف. وفي رواية عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: عرض على الأنبياء عليهم السلام فإذا موسى رجل ضرب من =

المسلحة هناك، ولما اقترب من معسكر المسلمين استأذن قيادة حرس المعسكر لمقابلة النبي ﷺ، فاستقبله النبي ﷺ في مقر قيادته أحسن استقبال ورحب به أحسن ترحيب أملاً منه عليه الصلاة والسلام، أن هذا الوسيط بما لديه من مكانة مرموقة وسمعة طيبة لدى قريش، سيقف إلى جانب الحق والعدل، ويعملُ بالطرق السليمة على حل هذه الأزمة وإبعاد شبح الحرب عن منطقة الحرم الشريف. وأن يعمل كذلك على إقناع قريش بتغيير موقفها المتعنت والسماح للمسلمين بدخول مكة وأداء مناسك العمرة.

كان سيد ثقيف هذا يعلم يقيناً في قرارة نفسه بأن الحق في جانب النبي ﷺ وإن قريشاً هي المعتدية، بإصرارها على منع المسلمين من دخول مكة وأداء مناسك العمرة. ولكنه وبصفته وسيطاً سياسياً لقوم هم أصهاره وحلفاؤه، فإنه حاول إلقاء اللوم على النبي ﷺ وتحميله المسؤولية كاملةً في تصعيد هذه الأزمة التي بدت من ساعة إلى ساعة وكأنها تتحولُ إلى حرب مدمرة، تدور رحاها بين الأهل والعشيرة على ساحة الحرم الشريف بمكة المكرمة.

فقد ذكر ابن إسحاق أن عروة بن مسعود عندما قدم إلى رسول الله ﷺ في الحديبية جلس بين يديه، ثم قال: (يا محمد؛ أَجَمَعْتَ أوشاب[1] الناس ثم جئت إلى بيضتك لتفضها[2] بهم. إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة[3] وأيمُ الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً[4].)[5].

ويعنى بهؤلاء، أصحاب رسول الله ﷺ.

= الرجال كافة من رجال، ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود. ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم، يعني نفسه عليه الصلاة والسلام، ورأيت جبرائيل، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية الكلبي.

(١) الأوشاب: الأخلاط.

(٢) بيضة الرجل: أهله وقبيلته. وفضّها: أي كسرها.

(٣) عنوة: بفتح السكون: أي: قهراً وغلبةً.

(٤) انكشفوا عنك: انهزموا وتركوك لعدوك.

(٥) سيرة ابن هشام: ج ٣ ص ٣٦١ - دار الفكر.

ثم أخذ عروة بن مسعود يعمل على إضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم محاولاً - بأسلوب الحرب النفسية - تفتيت جبهة المسلمين الداخلية وتوهين عزائمهم والفت من عضدهم وإقناع النبي ﷺ بأن المعركة إذا ما نشبت بينه وبين قريش، فإنها سوف لا تكون بصالحه وإنه ليس من مصلحته خوضها.

والجدير بالذكر أن عروة بن مسعود بأتباعه هذ الأسلوب الذي حاول به التأثير على قوة المسلمين وعزيمتهم الداخلية وخلخلتها، إنما كان يقصد بذلك إحراز النصر لحلفاءه القرشيين وإخراجهم من ورطتهم التي أوشكت أن تنتهي بهم إلى هزيمة عسكرية وإعلامية منكرة. وإن ذلك لن يتم إلا بعودة النبي ﷺ وأصحابه الكرام من حيث أتوا دون أن يدخلوا مكة وبدون أي قيد أو شرط. هذا ما حاول عروة بن مسعود جاهداً لتحقيقه والوصول إليه في مفاوضاته التي أجراها مع النبي ﷺ في الحديبية.

وفي حديث الواقدي في روايته عن هذه القصة، ذكر أن عروة بن مسعود عندما جاء إلى رسول الله ﷺ في الحديبية قال له: (يا محمد: إني تركت قومك، كعب بن لؤي وعامر بن لؤي على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، قد استنفروا لك أحابيشهم ومن أطاعهم، وهم يُقسِمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم. وقال: وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين: أن تجتاح قومك، ولم نسمع برجل اجتاح أهله قبلك. أو بين أن يخذُلَك من نرى معك، فإني لا أرى معك إلّا أوباشاً من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم)[1].

وفي التحليل الإعلامي لهاتين الروايتين، نرى أن عروة بن مسعود الثقفي قد سلك في هذه المفاوضات سبيل التخويف، وتثبيط الهمم واللعب بالأعصاب، والتركيز على إضعاف الجبهة الداخلية للمسلمين، ثم التلويح بقوة قريش العسكرية بأنها لا تقهر، وتصوير نتائج المعركة بأنها في غير صالح المسلمين.

---

(١) مغازي الواقدي: ج ٢ ص ٥٩٥. عالم الكتب بيروت.

وهذه الطريقة هي التي يسميها ويتعارف عليها العسكريون والإعلاميون في عصرنا اليوم بالحرب النفسية.

وبالنظر إلى أن طبيعة الأجواء التي كانت تخيم على المفاوضات التي دارت في الحديبية بين الرسول ﷺ والوفود الأخرى، كانت تتسم بشكل عام بطابع الحرب النفسية وبما أن هذا الفصل بالذات يشتمل على توضيح أسلوب الحرب النفسية الذي استعمله عروة بن مسعود في مفاوضاته التي أجراها مع رسول الله ﷺ في الحديبية بشكل خاص، فإنني سأقوم بدراسة سريعة ومختصرة لهذه الحرب، أبيّن من خلالها حقيقة هذه الحرب وأهدافها وأساليبها وتوقيتها، وذلك على ضوء التعاريف والمصطلحات التي أوردها المتخصصون من الإعلاميين والعسكريين للحرب النفسية.

٢ ـ الحرب النفسية:

الحرب النفسية في مفهومها العلمي والعسكري، هي تطبيق للدعاية في تحقيق الأهداف العسكرية. وهناك العديد من المصطلحات والتعاريف للحرب النفسية ننقل منها ما جاء في أقوال بعض رجال الإعلام عن هذا الموضوع:

يستعرضُ الدكتور عبد القادر حاتم الحديث عن الحرب النفسية بصورة تفصيلية وموسعة، شارحاً فنون هذه الحرب وأساليبها وأهدافها، ثم ينتهي إلى وضع بعض التعاريف لهذه الحرب والتي يراها من وجهة نظره بأنها تعاريف شاملة ودقيقة. ننقل منها هذا التعريف الذي جاء في كتاب الدكتور حاتم عن هذه الحرب يقول: (يعرِّف الأمريكيون الحرب النفسانية بأنها سلسلة الجهود المكملة للعمليات الحربية العادية عن طريق استخدام وسائل الاتصال وتصميم وتنفيذ الخطط الاستراتيجية الحربية والسياسية على أسس نفسانية مدروسة. وإذا كانت الحرب النفسانية التي سميت كذلك بحرب الأعصاب، تشتمل على قدرة أقوى من المدافع كما يقولون، فإن استعمالها صعب إلى حدٍّ بعيد، ولا يمكن استعمال مفاتيح العوامل النفسية، إلاَّ بكثير

من المهارة، هذا وتحاول الحرب النفسانية كسبَ الحرب بدون استعمال وسائل العنف)[1].

هذا ويتحدث صلاح نصر عن صعوبة إيجاد تعريف محدَّد للحرب النفسيّة، وذلك بعد أن ناقش العديد من التعريفات التي وضَعَها العسكريون لهذه الحرب، فيقول: (ليس من السهل بحالٍ أن نضع تعريفاً محدداً للحرب النفسية، أو أن نحدِّد مجالها، وحتى وقتنا هذا، فإن الحرب النفسية غير واضحة في أذهان الكثيرين على الرغم من الكتابات الأجنبية العديدة التي عالجت هذا الموضوع، فالحرب النفسية تبدو في أذهان الكثيرين من الناس بمفاهيم مختلفة ومتغيرة، ولم يتمكن حتى هؤلاء الذين تخصصوا في هذا الموضوع أن يضعوا لها اصطلاحاً في إطار واضح المعالم)[2].

ثم يورد صلاح نصر بعض التعاريف المختلفة لهذه الحرب، وذلك للتدليل على وجهة نظره في هذا الموضوع، نختارُ منها ما يلي: يقول صلاح نصر: (الحرب النفسية هي استخدامُ أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية، وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين)[3].

وهناك تعريفٌ آخر للحرب النفسية يقول فيه: (الحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول، للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة إلى جماعة عدائية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقة تُعينُ على تحقيق سياسة وأهداف الدولة المستخدمة أو الدول المستخدمة)[4].

ثم ينتهي إلى القول بتعريفه لهذه الحرب: (والحرب النفسية هي شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب فيه أن يفرض إرادته على خصومه بطرق غير طريقة القوات المسلحة ومن الناحية العملية، يمكن

---

(١) د. عبد القادر حاتم: الإعلام والدعاية ص ١٨٧.
(٢) انظر كتاب صلاح نصر: الحرب النفسية، الطبعة الثانية ص ٩١ - ٩٢ - ٩٣.
(٣ - ٤) صلاح نصر: المرجع السابق ص ٩٢.

أن نقول: أن السلاح الرئيسي للحرب السياسية هي عملية مشتركة بين الديبلوماسية والدعاية)[1].

أهداف وأساليب الحرب النفسية:

لا شك أننا نستطيعُ من خلال استعراضنا للروايتين التاريخيتين لابن هشام والواقدي، أن نستنتج بأن عروة بن مسعود قد عمـل على تحقيق الأهداف الرئيسية للحرب النفسية وذلك في حصر مفاوضاته التي أجراها مع رسول الله ﷺ في الحديبية لتكون في أربع نقاط رئيسية هي: **إثارة روح الانقسام بين المسلمين. وإظهار عدوهم بمظهـر القوي الـذي لا يُقهر. وإضعاف ثقة القيادة بقوتهـا وقواتهـا. وأخيراً إظهـارُ المسلمين بمظهـر المعتدي على الأهل والحرمات المقدسة، وتعنيفهم ولومهم على ذلك، وتصوير المعركة بأنها إذا ما نشبت، فإنها ستنتهي بغير صالحهم لا محالة.**

وهذه هي الأهداف التي عمل عروة بن مسعود على تحقيقها في تلك المفاوضات.

والجديرُ بالذكر أن هذه الأهـداف الأربعة هي الأهـدافُ الرئيسيـةُ للحرب النفسية من وجهة نظر رجال الإعلام. ويوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله: (وقد ثبت من تجارب الحرب النفسية، أن هناك أربعةُ أهداف رئيسية ينبغي على الدولة المحاربة أن تبلُغَها وهي:

أولاً: إثارة روحِ الانقسام في صفـوف العدو، وتحـطيم معنويـاته والحض على كراهيته.

ثانياً: تقويةُ الجبهة الداخلية ورفع الروح المعنوية، وتعميقُ الإيمان بقضية الوطن وتأييدها.

ثالثاً: كسبُ وِدِّ الدول المحايدة، وإقناعها بعدالة القضية التي تحارب من أجلها وتأكيد الإيمان بالنصر.

---

(١) صلاح نصر: المرجع السابق ص ٩٦.

رابعاً: توثيقُ أواصر الصداقة والإخاء مع الدول الحليفة)[1].

والجدير بالذكر أن هناك أساليب وأهدافاً أخرى تُستخدمُ لتغذية أغراض الحرب النفسية لكسب المعركة. وهذه الأساليبُ جميعها تهدف في النهاية إلى الوصول إلى تحقيق الأهداف الرئيسية لهذه الحرب في خدمة الميدان والسيطرة على نفسية العدو وأعصابه.

ومن هذه الأساليب: أسلوبُ الشتم والتحدي والتهديد والشعر الحماسي أو الشعرُ الذي يوهن من قوة العدو إلى غير ذلك من الأساليب الأخرى التي تستخدم في هذه الأغراض.

ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور إمام وهو يتحدث عن هذه الأساليب بقوله: (والحقيقة أن أسلوب الشتم والتلويث أسلوبٌ معروفٌ في الحرب النفسية منذ أقدم العصور. وقد استُخْدِمَت قصائدُ المدح وأشعار الهجاء، كأساليب للحرب النفسية في المجتمع العربي وغيره من المجتمعات الأخرى القديمة منذ آلاف السنين... ثم يستشهد الدكتور إمام بأبيات من قصيدة الشاعر اليوناني هوميروس في وصفه للقتال الذي دار بين اليونانيين والطرواديين سنة ٨٠٠ قبل الميلاد)[2].

ومن الأمثلة التي يمكن ذكرها في هذا المقام عن دور الشعر والشعراء في الحرب النفسية النموذج التالي، وهي أبيات ذكرها ابن هشام[3] للشاعر معبد قالها بعد معركة أحد وأراد بها قائلها تحطيم معنويات أبو سفيان والمشركين، عندما أرادوا الرجوع إلى المدينة المنورة مرة أخرى ليعيدوا الكرة على المسلمين. وفي هذه القصيدة يصفُ الشاعرُ قوة المسلمين وتحرقهم وحنقهم عند خروجهم للحاق بقريش والقضاء عليها. وقد قالها مِعبد لأبي سفيان بعد أن سأله الأخير عن النبي ﷺ وجيشه، أثناء ما كان قادماً من المدينة المنورة. قال:

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) انظر الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٢٥٧.

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٤ ـ ٥٥. دار الفكر.

كادت تُهَدُّ مِن الأصواتِ راحِلَتي   إذا سَالت الأرضُ بالجُرْدِ الأبابِيلِ
تَـرْدي بـأُسْـدٍ كـرام لَا تَنَـابِلَةٍ   عنـدَ اللِقاءِ وَلَا مَيـلٍ مَعازِيـلِ
فَضَلْتُ عَدْوا أظُنُّ الأرضَ مَائِلَةً   لِمَا سُمُوا بِرَئِيس غَيرِ مَخْذُولِ
فَقُلْتُ: وَيْلَ ابن حَرْب مِنْ لِقاءِكُمُ   إذا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاءُ بـالجيلِ
إنِّي نَذِيرٌ لأَهْلَ البُسْلِ ضاحيةً   لِكُلِّ ذِي إرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُـولِ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لا وَخْشٍ قَنَابِلُهُ   وَلَيسَ يُوصَفُ مَا أنْذَرْتُ بالقِيلِ (١)

فعندما سمع أبو سفيان هذه الأبيات التي يصف بها الشاعر قوة المسلمين وبأسهم ولى مسرعاً بجيشه نحو مكة.

ولا شك أن أهداف وأساليب الحرب النفسية قد اتخذت أشكالاً عديدةً من أجل الوصول إلى الغاية المطلوبة، ومن هنا فإن عُروةَ بن مسعود كان في مفاوضاته مع رسول الله ﷺ يستخدم إحدى هذه الأساليب، مما يدل على أن العرب في الجاهلية كانوا على علم تام بفنون أساليب وأهداف الحرب النفسية، وأنهم كانوا يستخدمونها في أغراضهم الحربية، ولكنهم باستخدامهم لفنون وأساليب هذه الحرب لم يكونوا على علم بالنشاطات ذات الطابع التنظيمي كما هو عليه الحال في عصرنا الحاضر، رغم أن هذا الاستخدام أيضاً لم يكن بعيداً كل البعد عما هو عليه التنظيم الحالي.

يقول الدكتور مختار التهامي: (والقول بأن أساليب الحرب النفسية جديدة تماماً على ميدان الدعاية، قول مبالغ فيه، ومع ذلك فليس هناك ثمة شك في أن هذه الأساليب لم تَتخِذْ في أي عصر من العصور الطابع التنظيمي والتخطيطي الشامل الذي نتخذه في عصرنا الحديث)(٢).

عناصر الحرب النفسية:

ثم يتحدثُ الدكتور مختار التهامي موضحاً العناصر الرئيسية التي تقوم

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية جـ٣ ص ٥٤ ـ ٥٥ دار الفكر.
(٢) الدكتور مختار التهامي، الرأي العام والحرب النفسية. الجزء الأول ص١٠٢، الطبعة الأولى، دار المعارف بمصر. سنة ١٩٦٧ م.

عليها الحرب النفسية فيقول: (والحربُ النفسةُ تقوم - بالإضافة إلى استخدام الدعاية السائدة - على عناصر ثلاثة رئيسية هي:

١ - الإشاعات.
٢ - افتعال الأزمات.
٣ - إثارة الرعب.

ثم يتناول الدكتور التهامي هذه العناصر الثلاثة بالشرح فيقول:

أولاً: الإشاعات:

ومن دراستنا لخصائص الإشاعات يمكن أن نضع لها التعريف التالي:

فالإشاعة هي الترويجُ لخبرٍ مختلق لا أساس له من الواقع، ويعتمد المبالغة والتهويل، أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة، أو إضافة معلومةٍ كاذبة أو مشوهة لخبرٍ معظمه صحيح، أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي والإقليمي، أو العالمي، أو النوعي، تحقيقاً لأهداف سياسية أو عسكرية، أو اقتصادية على نطاق دولة واحدة، أو عدة دول، أو النطاق العالمي بأجمعه)[1].

وتأسيساً على هذا الفهم فإن عروة بن مسعود، أثناء مفاوضاته مع النبي ﷺ، قد اعتمد هذه العناصر الرئيسية التي وردت في قول الدكتور التهامي في نقاطها الثلاث السالفة الذكر، وهي: **الإشاعات وافتعال الأزمات وإثارة الرعب**. وأما فيما يتعلق بالإشاعات فإنه - أي عروة ابن مسعود - قد قام باستخدام هذا السلاح وذلك عندما بدأ يلوح ويعظم بقوة قريش العسكرية بأسلوب مغايرٍ للحقيقة معتمداً على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لا محالة، وذلك من أجل التأثير على

---

(١) الدكتور مختار التهامي: المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٣.

نفسيات المسلمين ولخدمة أهداف قريش العسكرية والإعلامية.

ثانياً افتعال الأزمات:

وهذه النقطة الثانية من تحليل الدكتور التهامي والتي يقول فيها: (ولعل أبرز الأمثلة في افتعال الأزمات هي عملية التأثير في الرأي العام، ثم يناقش الكاتب هذا الموضوع ويوردُ له عددٌ من الأمثلة التي يمكن الرجوع إليها في كتابه)[1].

ومن هنا فإننا نستطيع القول بأن عروة بن مسعود قد حاول أن يفتعل أزمة عسكرية كبيرة بين النبي ﷺ وجنوده، وأن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده، عندما قال للنبي ﷺ (أو بين أن يخذُلَك من نرى معك... فإني لا أرى معك إلا أوباشاً من الناس لا أعرفُ وجوههم ولا أنسابهم).

إن هذا الأسلوب الذي أتبعه عروة بن مسعود وحاول به افتعال أزمة عسكرية ونفسية كبيرة بين الرسول القائد ﷺ وبين جنوده المؤمنين، من أجل التأثير على معنوياتهم وتحطيم عزائمهم، ليُعتَبَرُ من أقوى أساليب الحرب النفسية التي استُخدِمت ضد المسلمين أثناء تلك المفاوضات.

ثالثاً: إثارة الرعب:

أما فيما يتعلق بالنقطة الثالثة، وهي إثارة الرعب والفوضى، فإن عروة بن مسعود قد بذل كل ما في وسعه لتحقيق ذلك عندما بدأ بتخويف المسلمين من قوة قريش التي لا تقهر وتصويرُ المعركة بأنها في غير صالحهم.

وبهذا يكونُ عروة بن مسعود قد استخدم جميع العناصر الثلاثة للحرب النفسية التي أوردها الدكتور التهامي.

---

(١) انظر د. مختار التهامي: المرجع السابق ص ١٠٤.

تسميةُ الحرب النفسية:

هناك أسماء ومُصطلحاتٌ عديدة وضعها المتخصصون بهذا الفن للحرب النفسية ولنستمع إلى اللواء الركن محمود شيت خطاب وهو يحدثنا عن الأسماء المرادفة للحرب النفسية في الإصطلاح العسكري، يقول: (إن الحرب النفسية تعبيرٌ مرادفٌ لتعابير حرب الدعاية وحرب الإعلام، والحرب الباردة والحرب العقيدية والحرب السياسية)[1].

هذا ويناقش صلاح نصر في كتابه السالف الذكر، بصورة موسعة صعوبة إيجاد تسمية واحدة تكون شاملة ودقيقة للحرب النفسية، ولنستمع إليه وهو يتحدث عن هذا الموضوع بقوله: (ويمكن أن ندرك الصعوبة التي تواجهنا عند تسمية الحرب النفسية من جراء المجموعة الكبيرة من المصطلحات التي شاعت في الحديث عن الصراع الأيديولوجي الذي يسود العالم اليوم، وفيما يلي قليل من هذه المصطلحات الشائعة:

الحرب النفسية، حرب الأفكار، الحرب الأيديولوجية أو العقائدية، حرب الأعصاب الحرب السياسية، حرب الدعاية، حرب الكلمات)[2].

توقيتُ الحرب النفسية:

وفيما يتعلق بتوقيت الحرب النفسية، وفي أي الأوقات يفضل خوض ميادين هذه الحرب وتحت أي الظروف يكون تأثيرُها أكثر إيجابية في كسب المعركة الفعلية، يتحدث الدكتور حاتم في هذا الموضوع فيقول: (تشن الحربُ النفسيةُ قبلَ الحرب الساخنة وأثناءها وبعدها وهي تبدأ قبل إعلان الحرب بوقت طويل، وتستمر بعد أن يتوقف العداء العلني)[3].

ثم يتحدث اللواء الركن محمود شيت خطاب عن توقيت الحرب النفسية فيقول:

---

(١) اللواء الركن محمود شيث خطاب: كتاب الإسلام والنصر ص ٦١. مكتبة النهضة بغداد.

(٢) صلاح نصر: المرجع السابق ص ٩٨.

(٣) الدكتور عبد القادر حاتم: المرجع السابق ص ٢٥٣.

(إن الحرب النفسية تشن قبل الحرب الفعلية للتأثير على معنويات العدو، وفي أثناء الحرب للتأثير في ثباته ومقاومته، وبعد الحرب الفعلية لإجبار العدو على الأذعان إلى المنتصر)[1].

وتأسيساً على هذا الفهم فإن عروة بن مسعود الثقفي قد استخدم الحرب النفسية بأساليبها الصحيحة من حيث توقيتها وتأثيرِها وأهدافِها.

فقد كان توقيت وصوله إلى معسكر المسلمين في الحديبية، والتقاؤه بالرسول القائد ﷺ، أثناء اشتداد الأزمة الساخنة بين المسلمين وقريش، أي قبل المعركة الفعلية، وذلك للتأثير على معنويات المسلمين وإجبارهم على الرجوع ومحاولة تحطيم معنوياتهم النفسية.

وأما تأثيرُها، فقد عمل عروة بن مسعود الثقفي، بأسلوب الحرب النفسية التي تقضي بالتركيز على إضعاف جبهة المسلمين الداخلية وزعزعتِها وتوهينِها وإشاعة روح الهزيمة والفوضى والبلبلة في صفوف المسلمين، وإضعاف الروحِ القتالية والمعنوية لهم، ومن ثم إضعاف ثقةِ الرسول القائد ﷺ بجنوده، وتصويرِ الموقف بأنه سينتهي حتماً لغير صالح المسلمين.

وهذه هي فعلاً أهم أهداف وأساليب الحرب النفسية في القديم والحديث... ولكن هل نجحت هذه الحرب النفسية بكل طاقاتها وفنونها، أمام العقيدة الإسلامية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه إن شاء الله.

٢ ـ هل نجحت الحربُ النفسية أمام العقيدة الإسلامية؟

إن الجوابَ على هذا السؤال يكمنُ في قول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ الذينَ قَالَ لَهُمُ النَاسُ إنَّ النَاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إيمَاناً وقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب: المرجع السابق ص ٦١.

بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

لقد تعرض الرسولُ ﷺ وأصحابُه الكرامُ إلى ألوانٍ شتى من ضروب الحرب النفسية القاسية التي شنتها قريشُ وحلفاؤها ضدهم طوال فترة الرسالة الخالدة، مما لم يتعرض له داعيةٌ ولا نبيٌّ من قبل، وفي فترة الحديبية بالذات، فقد حاولت قريشُ وحليفاتُها بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة أن يوقعوا الهزيمة في نفوس المسلمين وفي صفوفهم، وأن يوهنوا من عزائمهم، وأن يفتوا من عضدهم، وقد استعملت قريشُ وحليفاتُها لهذه الغاية كلَ أساليب الإرهاب والتخويف وتحطيم الأعصاب، إلى غير ذلك من ضروب الحرب النفسية العنيفة التي استهدفت تحطيم الجبهة الداخلية للمسلمين وتوهينها وبالتالي استسلامها.

ولكن ما حدثَ فعلاً هو أن هذه الحرب النفسية، وجميع المخططات الأخرى التي شنت بواسطتها قريشُ حربَها ضد المسلمين قد جاءت نتيجتها على عكس ما كانت تتوقعها قريش وأعوانُها من أعداء الله ورسوله.

ولقد صمدت العقيدةُ الإسلامية أمام شتى صنوف الحرب النفسية، وأمام جميع التحديات الأخرى وأثبتت هذه العقيدة بأن لها قابلية للاستيعاب والصمود أمام هذه الأخطار جميعها، وأن أفراد المجتمع المسلم - بواسطة هذه العقيدة - لديهم المناعة والتحصين الكاملين ضد جميع التحديات وجميع الأخطار مهما كانت كبيرة ومحدقة والخروج منها أكثر قوة وعزيمة. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ، فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ، هُوَ الذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبالمُؤْمِنِينَ، وأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم إنَهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

وتأليف الله سبحانه بين قلوب المؤمنين، أساسه هذه العقيدة.

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٧٣ - ١٧٤).

(٢) سورة الأنفال: الآيات: (٦٢ - ٦٣).

وعلى هذا الأساس فإن الحرب النفسية مهما تعدَّدت أساليبُها وألوانُها فإنها لا تؤثر في عزيمة المؤمن، لأن المؤمنَ يستند بإيمانه الراسخ القوي على قاعدة صلبة ومتينة لا تهُزُّها الرياح العاتية. قال تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[1].

وإن مما لا شك فيه أن القيادة النبويّةَ الحكيمة قد صاغت أبناء هذه العقيدة صياغة فريدةً، وربتهم تربيةً متكاملةً، فكانوا صورةَ دعوتِهم الحقة النيرة في فكرهم وسلوكهم وعملهم وجهادهم. فكانوا في جهادهم يصدرون عن المدرسة النبويّة في سمو الغاية ونبل الوسيلة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلِّم أصحابه إعداد العدة والأخذ بالأسباب وكيفية متطلبات النصر الحقيقية والاتصال بالله القوي العزيز، وطلب العون منه بالذكر والطاعة، وكانوا ينهلون من المَعين الذي لا ينضب في معرفة الثبات والصبر قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبتُوا واذكُروا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]، وقد كان النبيُ الكريم عليه الصلاة والسلام يعلِّمُ أصحابه الكرام إخلاص العبادة لله، والاتكال على الله القوي العزيز، وأنَ الأمورَ كلَها بيد الله يسيرها كيف يشاء. قال تعالى: ﴿ هُوَ الذِي يُسَيّرُكُم فِي البَرِّ والبَحْرِ ﴾[3]، وقد حذَّر الله سبحانـه وتعالى المؤمنين من اتخـاذ أسباب الهزيمة وهي البطر والرياء والشقاق، والنزاع. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4]، وكان عليه الصلاةُ والسلام يعلِّم أصحابه أنَّ متطلبات النصر الحقيقية هي في طاعة الله ونصرته قال تعالى: ﴿ يَا أَيُهَا الذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُروا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّت أَقْدَامَكُمْ ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٢٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٤٥).

(٣) سورة يونس: الآية (٢٢).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٤٦).

(٥) سورة محمد: الآية: (٧).

وهذه هي متطلبات العقيدة التي عمل بها رسول الله ﷺ في إعداد المؤمنينَ إعداداً فريداً وتربيتهم التربيةَ الروحيةَ وتقويةِ معنوياتهم، الأمرُ الذي جعلهم في جميع مواقِفهم ومعارِكهم يؤمنونَ بأن النصر إنما يكونُ من عند الله ومع إيمانهم بهذه الحقيقة الراسخة فإنَهم كانوا يؤمنون كلَ الإيمان بأن الموت في سبيل الله هو طريقُهم وغايتُهم التي ينشدونها قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا، هُوَ مَوْلَانَا وعلى اللهِ فلْيَتوكَّلِ المُؤمِنُونَ. قُل هَلْ تَرَبَصُونَ بِنَا إِلَّا إِحدىٰ الحُسنَيينِ، وَنَحنُ نَترَبَصُ بِكُم أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعذَابٍ مِن عِنْدِهِ، أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِصُونَ﴾[1].

لهذا فقد كانت معنويات المسلمين أقوى سلاحٍ تعتمد عليه القيادة النبويّة. قال اللواء الركن محمود شيث خطاب: (لم ينتصر العربُ والمسلمون مطلقاً طوال حياتهم بكثرة العدد والعُدة، وقد كان أعداؤهم متفوقين عليهم بالعدد والعدة في كل معركة خاضوها، وقد انتصرت الفئة من العرب المسلمين على العرب من غير المسلمين)[2].

وهنا يقصُدُ الكاتبُ من كلامه أنه ما دام كلا الفريقين من العرب فإن الفارق في الحالتين هي قوة المعنويات التي تستندُ على قوة العقيدة الراسخة في النفوس. ثم يتحدث الكاتبُ في هذا الموضوع فيقول: (إن الإسلام بالنسبة للعرب هو السلاح السريُّ الذي جعلهم يقودون العالم قروناً طويلة في ميادين السياسة والحضارة والحرب... ثم يقول الكاتبُ في تعريفِه للمعنويات: (بأنها القوى الكامنةُ في صلب الإنسان التي تكسِبهُ القابليةَ على الاستمرار في العمل، والتفكير بعزم وشجاعة، مهما اختلفت الظروف المحيطة)[3].

ثم ينتهي الكاتب إلى القولِ، بأن عوامل المعنويات هي: (الدين،

---

(١) سورة التوبة: الآيات: (٥١ ـ ٥٢).

(٢) اللواء الركن محمود شيت خطاب: المرجع السابق ص ٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٦.

والقيادة ثم يقول: إن الجيش الذي يتحلى بالمعنويات العالية ينتصر في النهاية مهما طال الأمدُ على أعدائه)[1].

لذلك فإن المؤمن يضعُ دائماً في اعتباره أن أجلَه مكتوبٌ في هذه الدنيا، فهو لا يزيدُ ساعةً ولا ينقُصُ أبداً، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تَمـوتَ إلاَّ بإذنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَلاً، وَمَن يُرِدْ ثَوابَ الدُنيَا نُؤتِهِ مِنهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤتِهِ مِنها وَسَنَجْزِي الشاكِرِينَ، وَكَأينْ مِنْ نَبيٍ قَاتَلَ مَعَهُ رِبيُونَ كَثيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِما أَصابَهُم في سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا استَكانُوا واللهُ يُحبُ الصابِرينَ ﴾[2].

ومن هنا ندركُ بأن العقيدة الإسلاميةَ هي السلاحُ الحقيقيُّ والفعال الذي يحصن المؤمنُ ضد حرب الشائعات والحرب النفسيـة، لأن هذه العقيدة هي العاملُ الفعالْ في توجيه أمور المسلم وتقريرِ مصيره، وهي القاعدة الصلبة التي يستند إليها في كافة تصوراته للحياة، وينـطلقُ من مفاهيمها في مواجهة الناس.

وفي أثناء هذه المفاوضات أيضاً حصلت مفارقـةٌ رائعةٌ، وهي من عجائب الأحداث التي يستشفُّ منها الدليلُ القاطعُ على قوة الإيمان التي كان يتمتع به أصحاب النبي ﷺ وعلى قدرة هذا الدين على تحويل الإنسان من شيطان مريد إلى إنسان فاضل نبيل. حيث كان أحد الذين يتولون حراسةَ النبي ﷺ أثناء محادثاته مع عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية هو المغيرةُ بن شعبة[3] ـ ابن أخ عروة بن مسعود نفسه، وكان المغيرةُ هذا قبل

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب: المرجع السابق ص ٥١.

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٤٥ ـ ١٤٦).

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن متعب بن مالك الثقفي. قال الطبري يكنى بأبا عبدالله. قال وكان ضخم القامة عمك الذراعين بعيد ما بين المنكبين، أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها وشهد بيعة الرضوان وله فيها ذكر وحدث عن النبي ﷺ، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق وقال الشعبي كان من دهاة العرب. ولاه عمر البصرة ففتح ميسان وهمدان وعدة بلاد، ثم ولاه الكوفة وأقرَّه عثمان ثم عزله، فلما قتل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر مع الحكمين ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع عليه الناس، ثم ولاه بعد ذلك =

أن يهديه اللهُ للإسلام شاباً فاتكاً سكيراً قاطع طريق، غير أن اعتناقه للدين الإسلامي حوله إلى إنسان آخر، وقد أصبح بفضل الله تعالى من الصفوة المؤمنة، وقد وقع عليه الاختيارُ ليقوم بمهام حراسة النبي ﷺ في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب، وكان من عادة الجاهلية في لمفاوضات، أن يمسك المفاوض بلحية الذي يراه نداً له أثناء الحديث، وعلى هذه القاعدة كان عروةُ بن مسعود يمسكُ بلحية رسول الله ﷺ أثناء المناقشة، الأمر الذي أغضب المغيرةَ بن شعبة الذي كان قائماً على رأس رسول الله ﷺ بالسيفِ يحرُسه وعلى وجهه المغفر فانتهر عمه وقرع يده بقائم السيف قائلاً له: (أكفف يدَك عن مس لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك. قال الواقدي: فلما أكثر عليه غضب عُروة زعيم ثقيف هذا التهديد من حارس النبي ﷺ وقال للحارس ويحُك ما أفظّك وأغلظك.

وكان النبي ﷺ يبتسم للذي يجري بين عروة المشرك وبين ابن أخيه المؤمن، ولما كان المغيرةُ يقفُ في لباسه الحربي متوشحاً بسيفه ودرعه وعلى وجهه المغفر، فإن عمه عروة لم يكن باستطاعته معرفتِه، فقال للنبي ﷺ وهو في أشد الغضب: ليت شعري من أنت يا محمد من هذا الذي أرى من بين أصحابك؟ فقال له رسول الله ﷺ: هذا ابنُ أخيكَ المغيرةُ بن شعبة، فقال له عمه: وأنت بذلك يا غدر؟ لقد أورثتنَا العدواة من ثقيف أبدَ الدهر، والله ما غسلت غدرتك إلا بالأمس)[1].

وكان للمغيرة قصة يمكن الرجوع إليها في كتب السيرة النبويّة أوردُها باختصار شديد، وتتلخص هذه القصة في أن المغيرةَ بن شعبة قد خرج مع نفر من بني مالك بن حطيط بن جشم، وأثناء مسيرهم ليلاً شربوا خمراً فكف المغيرة وأمسك نفسه عن الشراب، وشربت بنو مالك حتى سكروا،

= الكوفة فاستمر على أمرتها حتى مات سنة خمسين. قال الطبري كان مع أبي سفيان في هدم طاغية ثقيف بالطائف، وأصيبت عينه باليرموك ثم كان رسول سعد إلى رستم. (الإصابة لابن حجر مجلد ٣ ص ٤٥٢ طباعة دار الفكر بيروت).

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٩٥ عالم الكتب بيروت.

فوثب عليهم المغيرةُ فقتلهُم جميعاً، وكانوا ثلاثةَ عشرَ رجلاً، فقام عمه عروة هذا بتحمل دِيَاتِهم جميعاً، وهذا سببُ كلامه: أورثتنا العداوةَ إلى آخر الدهر. . .[1].

ومن هذه المواقف نرى الأمثلة الحيةَ التي أخرجَتها المدرسةُ النبويّة، تلك النماذج الفريدةُ في التاريخ التي صاغها الإسلامُ وصقلها وأعاد لها صفاءَها وآدميتها الكريمة، وهذا شأنُ هذا الدينُ العظيمُ في كل زمانٍ ومكان في إيجاد وتخريج النماذج المؤمنة التي لا تؤثرُ على إيمانها الشائعات ولا الحروبُ النفسية ولا يخيفُها الموت، لأن الموت في سبيل الله أغلى وأسمى أمانيها، وإن حياتها هي طاعةٌ لله وحده لا شريك له. فحياة المسلم ومماته كلاهُما لله رب العالمين والحمد لله رب العالمين.

وهكذا انتهت المفاوضات بين النبي ﷺ وعروة بن مسعود دون أن يتم التوصلُ إلى أي اتفاق ينهي الأزمة القائمة بين الطرفين، إلَّا أنه من خلال هذه المحادثات تأكد لعروة بن مسعود صِدقُ نوايا المسلمين السليمة وإنهم جاؤوا في رحله تعبدية معتمرين لا محاربين، وإن قريشاً هي التي تفتري الكذب على المسلمين حينما تروج بين عامة العشائر والأعراب، أن النبي ﷺ وأصحابه قد جاؤوا لينتهكوا حرمة مكة والكعبة المشرفة عنوة بقصد الحرب وبهذا تكون قريش قد كذبت أهلَها، ويجبُ أن تتحمل هي وحدها نتيجة كذبها، وذلك بفقدها لجميع حلفائها وأنصارها. هذا وبينما كنت أتصفحُ بعضِ الكتب الإعلامية فإذا بي أمرُّ بموضوع للدكتور عبد العزيز شرف يتحدثُ فيه عن دور «حُذام» ومبدأ الصدق الإعلامي وعن دور خرافة المشابه كثيراً للدور الذي لعبته قريش عندما كذَّبت أهلها.

ولما كان هناك الكثيرُ من الشبه بين هاتين الحادثتين فإني أوردُ ما جاء حول هذا المعنى في كتاب الدكتور عبد العزيز شرف للمقارنة بين هاتين الحادثتين، ولبيان دور قريش الذي يشبه إلى حدٍ كبير دور خرافة

---

(١) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٩٥ - ٥٩٦. نقلناها ببعض تصرف.

التي كذبت أهلها. يقول الدكتور عبد العزيز شرف:

(ونجد في أقوالنا العربية: لا يكذب الرائد أهله، أي الذي يرسله القومُ في التماس النجعة، وهي الذهاب لطلب الكلاء في مواضعه ثم يقول: إن وسائل الإعلام كالرائد لا تكذب أهلها. ولكنها كذلك تقومُ بدور «حذام» زرقاء اليمامة المشهورة، حينما تتوخى الصدق الإعلامي، وتقوم بدور خرافة حين تتوخى الكذب الدعائي. و«حُذام» هي التي زُعِم أنها كانت تُبصرُ على مسافة ثلاثة أيام، وذكروا عنها أن حسّان بن تبع الحميري أغار على قومها بني جديس وأراد أن يفاجأهم من حيثُ لا يعلمون، فحمل أشجاراً في وجه جيشه لئلا تُبصرهم الزرقاءُ فتنذرُ قومها، فكان «الخبر» قد نُمِيَ إلى جديس فصعدت الزرقاء إلى رأس حصن لهم ورأت الأشجار تسعى فقالت:

أُقسمُ بالله لقد دب الشجر، أو حمير قد أخذت شيئاً يُجَر. فلم يصدقوها حتى طرقَهُم حسانُ وفتك بهم. فقيل البيت المشهور:

إذا قالت حُذامُ فصدقوها فإن القول ما قالت حُذامُ)[1]

ودورُ خرافة الإعلامي هو الدور الذي لعبته قريشُ في إثارتها العرب ضد النبي ﷺ. ثم يقول: (ونعني بدور خرافة وهو الذي تشير إليه أساطيرُنا، من أن رجلاً من بني عذرة، أو من بني جُهينة، يقال له خُرافة اختطفته الجنُ ثم رجعَ إلى قومه، فكان يحدِّث بأحاديث مما رأى، يعجَبُ الناسُ منها، فكذبوه ثم صاروا يسمون كلَ حديثٍ كاذب، حديث خرافة). وهكذا فإن قريشاً بوسائلها الإعلامية الكاذبة لم تقمُ بدور «حُذام» التي تقول، فتصدُقُ أهلها، وإنما قامت بدور مناهضٍ لهذا الدور، ونعني به دور «خُرافة»، فكانت النتيجة أن فشلت في معركتها العسكريةِ والإعلاميةِ أمام رسول الله ﷺ وخسِرْت أيضاً جميعَ حلفائها ومؤيديه.

ثم يضيفُ الدكتور شرف فيقول: (وفي المستوى الأخير، حين تغيبُ

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف: المرجع السابق ص ١٣٢ - ١٣٣

الأخبار الأكثر دلالةً، وحين يغيبُ دورُ «حُذام» «ويبرزُ» حديثُ خُرافة (تنعدم الثقة بين الناس وبين وسيلتِهم الإعلامية)[1]. وهذا ما حصل لقريش فعلاً بعدما اكتُشِف أمرُها واتضح كذبُها للناس بواسطة الوفود التي ذهبت لتقابلَ النبيَّ في الحُديبية وتتفاوض معه، فقد انعدمت الثقة بين قريش وبين حلفائها من جهة وبينها وبين الناس الآخرين من جهة أخرى، فالوسيلةُ الإعلامية، إذاً يجب أن تكونَ صادقة الخبر صدوقة المقال، تُصدِقُ الناسَ الحديثَ وتخبرهم الخبرَ على حقه وحقيقته، بحيثُ تكون من الوسائل التي يوثق بخبرها، ولا يقدح في صِدقِها ولا تهتم إلا فيما تقول وتتجافى عن الكذب وقول الزور، كما نتعلم من لغتنا العربية التي لا تغدو فيها هذه التأكيدات من باب المرادف، لإحساس أهلها بقيمة الصدق الإعلامي. وهذا هو المقصود بأن وسائل الإعلام تقوم بدور «حذام» العربية حين لا تكذِبُ أهلها. وتقوم بدور خرافة حينما تعمل ما عملته قريش عندما كذبت أهلها.

عروة بن مسعود يحَذِّر قريش:

عاد الوسيط الرابع إلى مقر القيادة العامة لقريش وحلفائها في بلدح، حاملاً معه نهاية مفاوضاته الفاشلة وحاملاً لهم أيضاً التحذيرَ ومسدياً لهم النصح بأن يخففوا من غلوائهم وأن لا يتورطوا في صدام مسلح مع النبي ﷺ وأصحابَه الكرام، لأن الهزيمةَ حسبَ تقديراته ستكونُ من نصيبهم حتماً، إن هم تسرعوا بالعدوان، ولم يتعقلوا الأمور. وقد بانَت لسيِّدِ ثقيف هذه الحقيقة التي لم يخفها عن حلفائه على ضوء ما رآه ولمسه من تماسُك وَحدةِ قوى المسلمين داخل المعسكر الإسلامي في الحديبية بشكلٍ لم يسبق له أن سمع أو رأى مثله، وعلى ضوء ما رأى من حب عجيب بين المسلمين لنبيّهم وتفانٍ في حمايته والدفاع عنه.

قال الواقدي: (فلما فرغ عروة بن مسعود من كلام رسول الله ﷺ ورد

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٥ ـ ١٣٦. نقلناه ببعض تصرف.

عليه رسول الله ﷺ ما قال لبُدَيل بن ورقاء وأصحابه، وكما عرض عليهم من المدة، ركبَ عروة بن مسعود حتى أتى قريشاً فقال: يا قوم، إني قد وفَدتُ على الملوك، على كسرى وهرقـل والنجاشي. وإني والله ما رأيتُ ملكاً قط أطوعَ فيمن هو بين ظهرانيه من محمد وأصحابه، واللهُ ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيفعل، وما يتنَخَّم وما يبصق إلاّ وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيُهُم يظفر منه بشيء. وقد حزرتُ القوم، واعلموا إنكم إن أردتم السيفَ، بذلُوه لكم، وقد رأيتُ قوماً ما يبالون ما يُصنعُ بهم، إذا منعوا صاحبهم، والله لقد رأيتُ نسيات معه، إن كنّ ليسلمنه أبداً على حال، فرّوا رأيكم، وإياكم وإضجاع[1] الرأي، وقد عرضَ عليكم خطَّة فمادوه! يا قوم. اقبَلوا ما عرض فإني لكم ناصح. مع إني أخاف ألا تُنْصَـروا عليه! رجـلٌ أتى هذا البيت معـظماً لـه، معه الهـدي، ينحرُه وينصرف! فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور[2]! لو غيرك تكلم بهذا للمناه. ولكن نرُدَهُ عن البيت في عامنا هذا ويرجِعَ قابل)[3].

وبهذا التقرير الإخباري الهام الذي أدلى به عروة بن مسعـود أمام زعماء قريش في بلدح، فقد استطاع بواسطته رسول الله ﷺ والمسلمون أن ينقُلوا تأثير الحرب النفسية لتعمل داخل جبهة قريش وفي نفوسهم.

هذا التقرير الإخباري الهام الذي نقله عروة بن مسعود عن وضع المسلمين في الحديبية، من طاعتهم لنبيِّهم الكريم، وحبهم له، وتفانيهم بالدفاع عنه، ، وبما يتمتعون به من معنويات عالية جداً، واستعدادٍ عسكري ونفسيّ يفوق الوصف. كان بمثابة التحذير الفعلي لقريش بعدم التعجُلِ والدخول في معركة عسكرية مع النبي وأصحابه، مما قد تكون نتائج هذه

---

(١) إضجاع الرأي: أي الوهن في الرأي: (القاموس المحيط، ج ٣ ص ٥٥).

(٢) أبا يعفور: كنية عروة بن مسعود الثقفي حسبما جاء في طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٦٩ دار صادر بيروت.

(٣) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٩٨، وكذا في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

المعركة لصالح المسلمين، الأمر الذي أسقط في أيدي زعمائها، ولم تكن قريش تتوقَعهُ أبداً في تقويمها للأمور. فقد كان وقعُ كلِ كلمة قالها سيدُ ثقيف كالصاعقة على مسامع نفوسِ زعماء قريش. فقريشُ تعرف المسلمين حق المعرفة، وخاصة في الميادين العسكرية، فلها معهم التجاربُ العديدة في بدرٍ وأحد والأحزابُ، وتعرف حقاً من هم المسلمون، لذلك فقد كان هذا التقريرُ الإخباري الذي نقله عروة بن مسعود الثقفي إلى قريش عن حالة المسلمين العسكرية والنفسية بمثابة الصفعة التي أعادت لقريش عقلَها ورُشدَها، ولم يكن هذا التقرير الإخباري، هذه المرة موجهاً أو مقصوداً به إثارة الرعب في نفوس القرشيين، أو إشعال حرب نفسية ضدهم، ولكن عروة بن مسعود الذي كان بوصفه حليفاً كان ينصحُ زعماءَها صراحةً ومن كل قلبه، فقد استنتج هـذا الموقف ممـا سمعَه بـأُذُنه ورأى بعينـه في الحديبية. وقد كان مبدأ نصحه منبعثاً من مبدأ الإخلاص لقريش، وخوفاً عليها من سوء العاقبة التي تنتظرُها إذا ما حاولت الصـدام المسلح مع النبي ﷺ وأصحابه، وقـد حاول عـروةُ بن مسعود أن يضـع الأمور على حقيقتِها أمام قريش حتى لا تكونُ في حيرة من أمرها، الأمرُ الذي جعل زعماء قريش يدركون أخطاءَهم، ويخففون من غلوائِهم، ويفكرون في حل لهذه القضية يضمنُ لهم شيئاً من ماء الوجـه أمام حلفائهم، وخاصةً بعد أن بات عروة بن مسعود يتهيأ للانسحاب بجيشه عائداً إلى بلده، وبعد أن هدد من قبل سيد الأحابيش الحُلَيس بن زبان بالانسحابِ أيضاً بقواته، وإلغاء الحلف مع قريش إن هي أصرت على موقفها المتعنت هذا، وقد جاء في السيرة الحلبية: (إن عروة بن مسعود قد انسحبَ عائداً بقواته إلى الطائف عندما أصرَّت قريشُ على موقفها العدواني هذا)[1].

الانشقاق يدبّ في معسكر قريش:

على أثر انسحاب عروة بن مسعود بقواته عائداً إلى الطائف فقد بدأ الانشقاق الفعلي يدُب في معسكر قريش الرئيسي في بلدح، وأخذت الروحُ

(١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٩.

المعنوية للجنود بالتدهورِ والانهيار وقد بدأت قواتُ الأحابيش تتململ هي الأخرى، بعد أن أعلن سيدُها في السابق صراحةً بأنه سوف ينسحب بقواتِه من بلدح وأن يلغي الحلف العسكري مع قريش، الأمرُ الذي نتج عنه ضعف مركز قريش العسكري، وبهذا فإن جبهة قريش العسكرية أخذت تتداعى أمام قوة الحق الصامدة، وكذلك فقد نهارت حُجةُ قريش في جمعها العرب ضد النبي ﷺ وأصحابه، بعد أن ظهر بوضوح كذب ادعاءاتها، وتزويرها للحقائق، وقد نجحَ ﷺ بحِكمته وذكائه نجاحاً عظيماً باستخدام الأساليب الإعلامية المتعددة للحصول على الغاية المنشودة، وهي تفتيتُ جبهة قريش الداخلية، وإيقاع الهزيمة في نفوسهم، وإبعاد حلفائِهم عنهم وأن هذه النتيجة لتُعدُّ بحقٍ نصراً ساحقاً حققه رسول الله ﷺ على الجبهتين الإعلامية والعسكرية.

يقول الأستاذ العقاد: (كان الرسولُ القائد ﷺ الخبير بتجنيد بعوث الحرب وبعوث الاستطلاع، خبيراً كذلك بتجنيد كل قوة في يده متى وجب القتال، إن كانت قوةُ رأي، أو قوة لسان، أو قوة نفوذ. فما نعرفُ أن أحداً وجه قوة الدعوة توجيهاً أشدَ ولا أنفع في بلوغ الغاية من توجيهه عليه السلام. ثم يضيفُ الكاتبُ قائلاً: والدعوةُ في الحرب كما لا يُخفى، لها غرضان أصيلان من بين أغراضها العديدة: أحدُهما إقناعُ خصمك والناس بحقِك. وثانيهُما، إضعافُه عن قتالِك بإضعاف عزمه وإيقاع الشتاتِ بين صفوفِه، ثم يقول: وربما بلغ النبيُ ﷺ برجُلٍ واحد في هذا الغرض ما لم تبلُغه الدول بالفِرَقِ المنظمة)[1].

---

(١) الأستاذ العقاد: عبقرية محمد ﷺ ص ٤٩. دار الإسلام بالقاهرة.



الفصل الرابع

الوُفودُ النّبويّة إلى قريش وأهميّة بيعةِ الرّضوان

١ ـ وفود النبي ﷺ إلى قريش:

لقد رأى النبي ﷺ ـ تعزيزاً لفكرة السلام التي كرر إعلانها لزعماء الوفودِ الذين قدموا إلى الحديبية لإنهاء الأزمة ـ رأى أن الضرورةَ تقتضي إرسالَ مبعوثٍ خاص من جانبه شخصياً إلى قريش يبلغهم فيها نواياهُ السلمية بعدم الرغبة في القتال، واحترامِ المقدساتِ، ومن ثم، أداءِ مناسِك العمرة، والعودةِ إلى المدينة.

وقد وقع الاختيارُ على أن يكون مبعوث الرسول ﷺ، الأول، إلى قريش هو الصحابي «خراش بن أمية»[1]. وقد حمل هذا المبعوثُ رسالة

---

(١) ذكره في الإصابة الجزء الأول ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ ط. دار الفكر بيروت. هو خراش ابن أمية بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن سلول الخزاعي ثم الكلبي. يُكْنى أبا نَظلة، وهو حليفُ بني مخزوم. شهد المريسيع والحديبية وحلق رأس النبي ﷺ يومئذ، وفي العمرة التي تليها. وقيل أنه رُوِيَ عنه حديثٌ واحد. وقد شهد الحديبية وخيبر وما بعدها. بعثه رسول الله ﷺ إلى قريش على جمل له يقال له الثعلب فعقروا جمله وأرادوا قتله لولا أن منعته الأحابيش.

النبي ﷺ الشفوية إلى قريش. ثم ذهب إلى مقرِّ قيادة قريش في بلدح على جمل لرسول الله ﷺ يقال له الثعلب، ليُبَلِّغ أشرافهَم وزعماءهَم رسالة النبي ﷺ السلمية، وعندما اقتربَ مبعوث النبي ﷺ من معسكر قريش، قام له بعضُ المتهورين فعقروا جمل رسول الله ﷺ، وحاولوا قتل مبعوث السلام النبوي، لولا أن منعَتهُ الأحابيش. قال ابن إسحاق: (إن رسول الله ﷺ دعا «خراش بن أمية الخزاعي» فبعثه إلى قريش وحمله على بعير له يقال له الثعلب، ليُبَلِّغ أشرافَهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلّوا سبيلَه، حتى أتى رسول الله ﷺ)[1].

وكان الذي تولى عقرَ بعيرِ رسول الله ﷺ هو عكرمَةُ بن أبي جهل. وقد عاد مبعوثُ رسول الله ﷺ إلى الحديبية دون أن يقابلَ أحداً من زعمائِها ودون أن يبلِّغهم رسالةَ الرسول ﷺ الإعلامية.

وهكذا كانت قريشُ في تصلُّفِها وغطرستِها تعاملُ الرسلَ والمبعوثين، بعكس ما كان يعاملُهم به رسول الله ﷺ من الحفاوة والتكريم والاحترام، وتأمين الحماية لهم حتى عودتِهم إلى قريش، هذا ومع كل هذه المعاملة الحسنة، وعلى الرغمِ من الانشقاق الخطيرِ الذي حدث في صفوف المشركين نتيجة لانسحاب سيد ثقيف بقواته عائداً إلى بلده في الطائف، وكذلك للموقف المُشَرِّف الذي وقفَه سيدُ الأحابيش احتجاجاً على تصرف قريش العدواني ضد المسلمين، فإن قريشاً بدلاً من أن تسلكَ سبيل الخير والاعتدال ومنع هدر دماء الأبرياء في منطقة الحرم الشريف، فإنها عملت بواسطة متطرفيها على تصعيد الأزمة وزيادةِ حدة التوترِ إلى درجة خطيرة جداً، كادت تصل بالفريقين إلى التصادم العسكري المسلح.

فبينما كان النبيُ ﷺ وأصحابه الكرام في الحديبية محافظينَ على ضبطِ النفس وعامِلين بكلِ الوسائل الممكنة، على قفلِ كل باب يمكن أن

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٦٣ دار الفكر. ومغازي الواقدي جـ٢ ص ٦٠٠ عالم الكتب بيروت.

يؤدي إلى إشعال نار الحرب بينهم وبين قريش، وفيما كان العقلاءُ كذلك في المعسكرِ القُرشيّ نفسِه، أمثال الحُلَيس بن زبان قائد قوات الأحابيش الحليفة لقريش يحاولون إقناعَ ساداتِ مكة بالتخلي عن فكـرة الحرب، وكبـح جماح المتـطرفين من قريش ويعملون على تجنب مـا من شأنـه الاقتراب بالفريقين إلى حافة الحرب، إذا بقريش تطلق العنانَ لسفهائها ومتطرفيها ليذهبوا في تصعيد الأزمة وتعقيـدِها إلى درجـة العدوان على المسلمين والهجوم عليهم، عن طريق التسلل إلى معسكرهم بالحديبية.

فقـد ذكر عـدد من المؤرخين[1] أن أكثر من خمسينَ من فـرسان المشركين قد تسللوا في جماعاتٍ أثناء الليل إلى معسكر المسلمين للاعتداءِ عليهم والغدرِ بهم في غلسِ الظلام، إلاَّ أن رجالَ دوريات الحراسة التي شكلّها النبيُ ﷺ عند نزوله الحديبية، كانوا لهم بالمرصاد، فقد أحبطوا جميع مخططاتِ هؤلاء المتسللين مما أدى بهم جميعاً إلى الـوقوع في الأسر، مجموعةً تلو الأخرى، حتى بلغ عدد الذين أُلقى القبضُ عليهم سبعين فارساً وقد جيء بهم إلى رسول الله ﷺ وهم مشدودي الوثاق وفي قبضةِ الحرس النبوي، وقد وقفوا في ذل وصغار أمـام النبي ﷺ وقادتـه العسكريين. إلاَّ أن النبيَ ﷺ، على الرغمِ من هذا التصرفِ الذي يحمل كل معاني البغي والاستفزاز، والخِسّة، قد أطلق سراحهم جميعاً، وقال لأصحابه الكرام: «دعوهم يَكُنْ لهم بدء الفجور»[2].

غير أن النبيَ ﷺ، وهو سيدُ الحكماء وإمام العقلاء، لم يقفلْ باب الأملِ في التوصل إلى حلٍ سلمي لهذه الأزمة الخطيرة التي بدت مؤشراتها

---

(١) ذكر ابن إسحاق في سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٦٣، أن قريشاً بعثت ما بين أربعين أو خمسين رجلاً. وذكر الواقدي في مغازيه ص ٦٠٢ أن قريشاً أرسلت خمسين رجلاً عليهم مكرز بن حفص للإغارة على معسكر المسلمين ليلاً. وقد ذكر الطبري جـ٢ ص ٦٣٠ أن الذين أُلقي القبضُ عليهم عددهم سبعونَ رجلاً تحت إمرة مكرز بن حفص. تاريخُ الرسل والملوك، دار المعارف.

(٢) تاريخ الطبري جـ٢ ص ٦٣٠. دار المعارف القاهرة.

تنذرُ في وقوعِ حرب لا تُبقي ولا تَذر، الأمر الذي عمل النبي ﷺ، بكل ما أوتي من قوة وحكمة على إبعاده وتجنبه ما وجَدَ إلى ذلك سبيلاً.

فعندما لم يستطع مبعوثُه الخاص، «خراشِ بن أمية» الوصول إلى قادة قريش وعرض رسالته الشفوية التي تحمل كلَ معاني الحكمة والتعقل والسلام، إلى زعمائها، فإن فكرة السلام ظلت تحتلُ المقامَ الأولَ في ذهن النبي ﷺ، لذا فقد قرر النبيُ ﷺ تأكيداً لهذا المبدأ، محاولة سلامٍ ثانية، وكانت هذه المحاولةُ في هذه المرة عن طريق مبعوثٍ خاص آخر بعث به ﷺ إلى قريش في معسكرها في بلدح وفي مكة ذاتها.

فقد ذكر الواقدي وغيرُه: (أن النبي ﷺ بعد رجوع «خراش بن أمية»، دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى قريش، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وقد عرفَتْ قريشُ عداوتي لها، وليس بها من بني عديّ من يمنعني، وإن أحببتَ يا رسول الله دخلتُ عليهم. فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً. قال عُمر: ولكن أدلُك يا رسولَ الله على رجلٍ أعزُ بمكة مني، وأكثرُ عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان. فدعا رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه، فقال: «اذهب إلى قريش فخبرهم إنا لم نأت لقتالِ أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظِّمين لحرمته، معنا الهدي ننحره وننصرف»[1].

المبعوثُ النبويُ الثاني إلى قريش:

خرج عثمانُ بن عفان[2]، متوجهاً إلى مكة وهو يحمل رسالة رسول الله ﷺ السلميةَ إلى قريش، وحين مروره ببلدح التقى عثمان بدورية مسلحة

---

(١) مغازي الواقدي جـ٢ ص ٦٠٠ وسيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٦٣. دار الفكر.

(٢) عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبدالله وأبو عمر، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيس بن عبد شمس، أسلمت، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. وهو أولُ من هاجر إلى الحبشة ومعهُ زوجته رقية. تخلّف عن بدر لتمريضِها، وتخلّف عن بيعة الرضوان لأن النبي كان قد بعثَه إلى مكة. وُلد بعدَ عام الفيل بست سنين على الصحيح وكان ربعة، حسن الوجهِ، رقيق البشرةِ، عظيمَ اللحية، بعيدَ ما بين المنكبين. أسلم قديماً. قال ابن إسحاق بأنه أسلمَ على يد أبي بكر. =

من فرسان قريش فسألوه عن وجهته، فأخبرهُم أن يحمل رسالة من رسول الله ﷺ إلى زعماءِ قريش، وكان ضمن رجال هذه الدورية إبَّان[1] بن سعيد ابن العاص، الذي قام إلى عثمان ورحب به وأجاره وقال: لا نقصرُ عن حاجتِك! ثم نزِل عن فرس كان عليه فحملَ عثمان على السرج وردَفه وراءه، فدخل عثمان مكة وأبلغ رسالة النبي ﷺ إلى كل من لقيَه من زعماء قريش وقادتِها. وقال لهم: (بعثني رسول الله ﷺ إليكُم، يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام. تدخلون في دين الله كافة، فإن الله مُظهرٌ دينَه مُعزٌّ نبيهُ وأخرى تكفون. ويلي هذا منه غيركم، فإن ظفروا بمحمد فذلك الذي أردتم، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار. أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو تقاتِلوا، وأنتم وافرون حامون. إن الحربَ قد نهكتكم وأذهبت بالأماثل منكم وأخرى، إن رسول الله ﷺ يُخبركم أنه لم يأت لقتال أحد، إنما جاء معتمراً، معه الهَديُ عليه القلائِد ينحرهُ وينصرف فجعلَ عثمانُ رضي الله

= تزوج بنتَ النبي ﷺ رقية، وماتت عنده أيام بدر، فزوجَه بعدها أختَها أم كلثوم، فكان من ذلك يلقب بذا النورين. من العشرةِ المبشرين بالجنة، تولى خلافة المسلمين بعد عُمر ابن الخطاب وقُتِلَ يوم الجمعة لثمانِ عشرة خلت من ذي الحجة وعمرهُ اثنتين وثمانين سنةً وأشهرٍ على الصحيح ودُفِن في البقيع. (الإصابة جـ٢ ص ٤٦٢ - ٤٦٣).

(١) إبَّان بن سعيد بن العاص بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. قال البخاري وأبو حاتِم الرازي وابن حبّان له صحبة وكان أبوه من أكابر قريش وله أولاد نجباء، أسلم منهم قديماً خالد وعمرو فقال فيهما:

ألا ليتَ ميتاً بالضريبةِ شاهدٌ لما يفتري في الدين عمروٌ وخالدُ

ثم كان عمرو وخالدُ ممن هاجروا إلى الحبشة، وشهد إباز بدراً مشركاً فقُتل بها أخواهُ على الشِرك ونجا هو فبقي في مكة حتى أجار عثمان زمن الحديبية فبلغ رسالة رسول الله ﷺ وقال له إبّان:

أسبل وأقبل ولا تخف أحداً بنو سعيدٍ أعزةُ الحرم

ثم قدِم عمرَو وخالدَ من الحبشة فراسلا أباهُما فتبعهُما حتى قدِموا جميعاً على النبي فأسلمَ إبان أيامَ خيبر شهدها مع النبي ﷺ، فأرسَلهُ النبيُ ﷺ على سرية. ولاّه النبيُ ﷺ البحرين، وتوفي النبيُ ﷺ وإبّان أميراً عليها. قال الواقدي شهدَ إبّان بن سعيد معارك الجهاد في الشام واختلفَ المؤرخونَ في تاريخ وفاتِه. والراجح أنه استشهد يومَ إجنادين سنة ثلاث عشرة هجرية (الإصابة لابن حجر جـ٣ ص ١٣ - ١٤).

عنه يكلمُهم فيأتيهم بما لا يريدون، ويقولون قد سمِعنا ما تقول، ولا كان هذا أبداً. ولا دخَلها علينا عُنوةً، فارجع إلى صاحِبك فأخبره أنه لا يصلَ إلينا)[1].

وكان رسول الله ﷺ، قد أبلغَ عثمان بن عفان قبل خروجه من الحديبية إلى مكة، بأن يقومَ بالاتصال برجالٍ مؤمنين ونساءٍ مؤمنات من المؤمنين المستضعفين في مكة ذاتِها وأن يبشِّرهُم بالفتحِ القريب، والنصرِ المبين، وإن الله سَيُظْهِرُ دينَه بمكةَ قريباً إن شاء الله، وفعلاً فقد قام عثمان بإبلاغ رسالة النبي ﷺ الشفويةِ التي بعثَه بها إلى زعماء مكة في بلدح، قام كذلك بنقلِ الرسالة الأخرى التي بعثَها النبيُ إلى المستضعفين المؤمنين في مكة المكرمة. هذا فقد ذكَر الواقدي: (أن عثمان بن عفان دخلَ إلى مكة وهو رديف إبَّان بن سعيد فأتى أشرافهُم رجلاً رجلاً، أبا سفيان بن حرب، وصفوانَ بن أمية وغيرهم. منهم من لقي ببلدح، ومنهم من لقي بمكة. فجعلوا يردّون عليه: أن محمداً لا يدخُلُها علينا أبداً!! قال عثمان رضي الله عنه: ثم كنتُ أدخلُ على قوم مؤمنين من رجال ونساء مستضعفين، فأقول: إن رسولَ الله يبشرُكم بالفتح ويقول: «أظلكم حتى لا يستخفي بمكة الإيمان». فقد كنت أرى الرجلَ منهم والمرأة تنتحبُ حتى أظن أنه يموت فرحاً بما أخبرته. فيسألُ عن رسول الله ﷺ، فيخفي المسألة ويشتدُ ذلك «على» أنفسِهم، ويقولون: اقرأ على رسول الله منا السلام، إن الذي أنزله بالحديبية لقادرٌ أن يُدخِلَه بطنَ مكة)[2].

---

(١) مغازي الواقدي جـ٢ ص ٦٠١، وابن إسحاق جـ٣ ص ٣٦٣ دار الفكر. وقانون الجوار في الجَاهليةَ عند العرب له مكانة القداسة. والعرب مجمعون على احترامه ومعناه أن من حقِ أي فرد من القبيلة أن يُعطي جوارَه ويُعطي حمايتَه لأي إنسان أراد وإن قبيلة المُجير تصبحُ تلقائياً ملزمةً بتحملِ مسؤولية هذا الجوار وحماية الفرد المنتسب جواره إليها، وقد أصبح الآن عثمان في جوار قبيلة لها وزنها العظيم، الأمر الذي لا يجرؤُ أيُ أحدٍ أن يمسَّهْ بسوءٍ أبداً.

(٢) مغازي الواقدي جـ٢ ص ٦٠١. عالم الكتب بيروت.

ولا شك أن عمليات الاتصال تلك، التي بدأت بالوفودِ الذين ذهبوا للتفاوض مع النبي ﷺ في الحديبية، وكذلك الوفود التي أرسل بها النبيُ ﷺ إلى قريش، للتفاوض لحل هذه الأزمة، هذه الدورة الإعلامية تمثل من وجهة نظر رجال الإعلام بدورة اتصال كاملة بجميع عناصرها الرئيسية، كما يتحدثُ عن ذلك الدكتور إبراهيم إمام فيقول: (وإذا حلّلنا عملية الاتصال بالجماهير وجدنا أنها تشتملُ على عناصرَ رئيسية هي: المُرسل الذي يصوغُ فكرته في رموز معينة، ويبعث بها إلى المُستقبلِ، الذي يفك هذه الرموز ويفسرُها، ثم يستجيبُ لها معبراً عن ردِه، أو انطباعِه برسالةٍ جديدة يصوغها في رموز، ويبعثُ بها إلى المرسلِ الأول، الذي يستقبلُها ويحُلُ رموزها ويستجيبُ لها، وهكذا تدور دورة الاتصال)[1].

أما عناصرُ دورة الاتصالِ هذه فتشتملُ على المرسل والمستقبل، وفكرة الرسالة وحامل هذه الرسالة، ومدى الاستجابةِ لها. وبهذا التقسيم تكونُ عناصر دورة الاتصال خمسة. ومع أن الدكتور إمام يقسِّم دورة الاتصال هذه إلى خمسةِ عناصر فإنه يُغفلُ عنصراً هاماً من عناصر هذه العملية، ألا وهو حامل الرسالة الإعلامية. ولنستمع لقولِ الدكتور إبراهيم إمام وهو يحلِّلُ هذه العناصر الخمسة بقوله:

(العنصر الأول: في العملية الاتصالية فكرةٌ أو باعثٌ في عقلِ المرسلِ، وقد تكون الفكرة واضحة بصورة كافية بحيثُ تُعتبَرُ صالحةً للتوصيلِ للمُستقبلِ، وقد لاتكونُ كذلك.

والعنصر الثاني: هو التغييرُ الشكلي، أو الصياغةُ، ووضع الرسالة في شكل معين متعارف عليه، أي في ألفاظ أو رموز مفهومة.

والعنصر الثالث: هو تفسيرُ المستقبلِ لهذه الرسالة، وفك رموزها، وهنا تصبح الرسالةُ شائعةً بين الجماهير المستهدفة.

---

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٣٠.

والعنصر الرابع: هو استجابة المستقبلِ للرسالة ومدى تأثره بها وتقبله لها.

وأخيراً، يأتي العنصر الخامس: الذي يتمثل في رجع الصدى إلى المرسلِ، والأصداء التي تظهر نتيجة للتأثر بالرسالة. وتعتبرُ هذه الأصداءُ الراجعةُ نفسُها رسالة جديدة يستقبلُها المرسلُ الأول، فيفك رموزها، ويدركُ رسالته التالية على أساسها. وهكذا تُستكمَلُ الدورةُ الاتصالية)[1].

وحسبما تقدم، وإذا أخذنا بعين الاعتبار، التحليل الإعلامي للرسالة الإعلامية على طريقة الدكتور إمام، فإننا سنفقد عنصراً هاماً جداً من عناصر الرسالة الإعلامية، ألا وهو حاملُ الرسالة الإعلامية، الذي يعتبر أحدَ الأركان الرئيسية للدورة الاتصالية.

ولنر تقسيمَ الأستاذ الركابي لعناصر الرسالة الإعلامية، حيث يقسمها إلى أربعة عناصر، هي في قوله: (إن الرسالة الإعلاميةَ تشتملُ على أربعة عناصر هي:

١ ـ جهةُ البثِ والإرسال.
٢ ـ جهةُ التلقي والاستقبال.
٣ ـ موضوعُ البث، أو محتوى الرسالة.
٤ ـ حاملُ الرسالة الإعلامية...)[2].

وتأسيساً على هذا المفهوم، ولأهمية عنصر حامل الرسالة الإعلامية في دورة الاتصال فإننا سنجري عملية مقارنة بين اثنين ممن حملوا رسائلِ النبي ﷺ، وذلك ضمن دورة الاتصال الحالي، التي تدور رحاها بين الحديبية وبلدح، وعلى نطاق واسع، لإنهاء الأزمة التي افتعلتها قريش. وهذان الرجلان هما: بُدَيل بن ورقاء الخزاعي، وعثمان بن عفان.

أما بُدَيل فكما مر معنا، أنه حمل رسالةَ رسول الله ﷺ الشفوية إلى

---

(١) المرجع السابق ص ٣١.
(٢) الأستاذ زين العابدين الركابي، المرجع السابق ص ٢٩٩.

قريش، وأبلغهم إياها دون زيادة أو نقصان، ودون هتمام فيما إذا كان لهذه الرسالة نتائجَ إيجابية أو سلبية، وذلك بقدر ما يتعلق به الأمر كرجل محايد دفعَه شرفُ حيادِه للتوسط في حل النزاع القائم. ولذلك نراه يعرِض أمر وساطته على قريش، بترقب وحذر عندما قال: (إني جئتكُم من عند محمد فهل تُحبون أن أُخبرَكم عنه؟)[1].

فبُدَيل يُعتبرُ في هذا المقام مجرد ناقل للرسالة الإعلامية، ومهمتُه ستنتهي في حال وصول الرسالة التي يحملُها إلى قريش.

أما عثمان بن عفان، فكان على العكس من ذلك تماماً، فهو صحابيٌّ ومن خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، وهو حاملٌ لرسالة رسول الله ﷺ، وهو يُعتَبرُ بمثابة الداعية الذي يحرصُ كلَ الحِرصِ على إبلاغ الرسالة التي يحملُها على أحسن وجه، وبما يحققُ مصلحة الإسلام والمسلمين، ولذلك كان أولُ ما وصلَ إلى قريش أن دعاهم إلى الله ورسوله. وهو لا يُعتبَرُ في هذا النزاع رجلاً محايداً، وإنما يعتَبَرُ طرفاً أساسياً فيه. ولذلك فإن أمرَ نجاح مهمته يعنيه بشكلٍ مباشر، وهو كذلك يُعتبرُ ممثِلاً لرسول الله ﷺ في هذه المفاوضات، الناطقَ بلسانه، ويستطيعُ الإجابة على الأسئلة المطروحة على لسان رسول الله ﷺ، بالإضافة إلى أنه يستطيعُ البتَ بالأمور التي تتعلقُ بأمرِ هذه المفاوضات.

وهذا هو الفرقُ بين الداعيةِ ورجل الإعلام ضمن مهمةِ حامل الرسالة الإعلامية ولنستمعَ إلى أقوالِ الدكتور إمام نفسُه وهو يتحدثُ في موضع آخر من هذا الكتاب عن الفرق بين مهمة الداعيةِ ورجُلِ الإعلام ضمن مهمة حاملِ الرسالة الإعلامية فيقول: (إن الإعلامي ليس له غرضٌ معينٌ فيما ينشرُ على الناس، اللهُم إلاَّ الإعلام ذاتِه، بينما يهدف الداعية إلى غاية معينة)[2].

---

(١) انظر ص ٩٥ من هذا البحث.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص (١١).

والجديرُ بالذِكر أن النتائج التي أسفرت عنها المفاوضات التي جرت بين الحديبية وبلدح، كانت تتلخصُ في ثلاث نتائج رئيسية هي:

١ ـ إضعافُ جبهةِ قريش الداخلية.

٢ ـ إنفصالُ حلفائِها عنها، بعد أن تبين لهُم كذبُها واعتداءاتُها بدون مبرر.

٣ ـ حالةُ اليأسِ النفسي والضعف العسكري التي أرغمت قريشاً على طلب الصلح من الرسول ﷺ.

والجديرُ بالذكرِ أن هذه النتائج الإيجابية التي أسفرت عنها مفاوضات الحديبية، لم تكن لتتحقق لولا سياسة الحكمة التي اتبعها رسول الله ﷺ أثناء تلك المفاوضات، تلك السياسةُ التي تميزت بالحلم والتروي والإصرارِ على بلوغ الهدف، مما أدى إلى نجاحِ هذه السياسة الحكيمة.

وعلى الرغمِ من سياسة اللينِ والتسامحِ التي اتبعها رسول الله ﷺ، في معالجة الأمور بغايةٍ من الحكمة والتعقلِ والصبر على استفزازات قريش المتكررة، وأعلى درجات ضبط النفس، فقد ظلّ الوضعُ متوتراً في المنطقة نتيجةً للحصار الطويل الذي ضربته قريشُ المشركة على المسلمين، بمنعهم من دخول مكة، وتهديدهم بقوة السلاح، وقد بقيَ المسلمون صابرين على هذا الحال مدة حوالي عشرين يوماً، دون أن يقلموا ظفراً أو يقطعوا شعراً، أو يمسوا طيباً، أو يقربوا النساء، وقد شعثوا واتسخت أجسامُهم وبات المرضُ يهدد الكثيرين من الصحابة الكرام، وهم في هذه المنطقة النائية، بعيدين عن أهليهم وبيوتهم، ولا يُخفى ما لطولِ البقاء في ملابس الإحرام من مشقة جسدية ونفسية على المحرم.

ولقد بذل النبيُ ﷺ كل ما في وسعه وبنيةٍ صادقة لإحلال السلام بينه وبين قومه وعشيرتِه عندما قام بإطلاق سراح حوالي سبعين من الأسرى الذين أُلقي القبضُ عليهم لمحاولتهم الاعتداء على المسلمين في معسكرِهم في الحديبية، وذلك في إظهارِ حسن النية وأملاً منه في أن تتعامل قريش بمبدأ التسامح الذي كان يعمل به رسول الله ﷺ بالمثل.

وقد قرر عليه الصلاة والسلام، عدمَ الردِّ على اعتداءاتِ قريش واستفزازاتها المتكررة بالمِثل، أو الدخولِ معها في صدام مسلح حتى تكون هي البادئة. ولقد كان هذا المبدأ السلمي الذي اتبعه رسول الله ﷺ يقومُ على أربعة أسباب هي:

١ ـ **فالسبب الأول**: يقومُ على احترامِ رسول الله ﷺ للمكان، حيث مكة المكرمة قبلة المسلمين التي تضم أطهر بقعة على وجه الأرض، مِن أن تصبح مسرحاً للحرب وسفك الدماء.

٢ ـ **أما السبب الثاني**: فيأتي من احترامه ﷺ للزمان، وهو الشهر الحرام.

٣ ـ **ويأتي السبب الثالث**: في احترام رسول الله ﷺ ومحافظتِه على صلة الرحم. إذ لم يكنِ من تعاليمه عليه الصلاة والسلام، أن يقتلَ الرجلُ أباه أو أخاه المشرِك، إلاّ في حالة الدفاع عن النفس فقط.

٤ ـ **والسبب الرابع**: يأتي من أنه عليه الصلاة والسلام كان يأملُ في أنه سيأتي يومٌ ترجعُ فيه قريشٌ إن شاء الله إلى رشدها، وتدخل في دين الله كافة، وإنهم سيكونون حملةَ هذا الدين إلى العالم أجمع، وقد حصل هذا فعلاً، كما كان يتوقعه رسول الله ﷺ، فلم يمض غيرُ وقت قصير على صلح الحديبية حتى أسلم اثنان من كبار قادة قريش هُما، خالدُ بن الوليد وعَمرو بن العاص، وقد تبعهما فيما بعدُ الكثير من أكابر قريش، وصناديدِها ممن كانوا في فترة الحديبية قادة لجيوش الشرك ضد المسلمين. وقد أصبح هؤلاء فيما بعد مشاعِلَ هِداية للبشرية كافة، وصُوراً حية لهذا الدين الحنيف، وتمثلوا به ودافعوا عنه بدمائهم الزكية وأرواحهم الطاهرة، وقد استُشهِدَ الكثيرون منهم في معارك الجهاد والفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وفارَس، وما وراءَ النهر، وغيرها من بلدان العالم، وهم يذودون عن حِمى هذا الدين الذي اقتنعوا به كلَ القناعة، ودخلوا فيه عن نفسٍ راضية، كما كان يتوقع رسول الله. مما سيأتي ذكرهُ في الفصول القادمة إن شاء الله.

ورغمَ استمرارِ الرسول ﷺ في سياسته السلمية هذه، فقد استمرت قريشُ من جانبها، بسياستها وخطِّها العُدواني، وقد أخذتَ حدةُ التوتر تتزايد نتيجة لتضايقِ المسلمين من طول الاحتباسِ في تلك المنطقة، دون الوصولِ إلى حل، يضمنُ لهم، دخولَ مكة وأداءَ مناسك العمرة، فقد أخذ الصحابةُ بالتفكير بإنهاء هذا الوضع اللاعسكري واللاسلمي، وذلك باقتحامِ مكة، وشقِ طريقهم إليها بقوة السلاح وكان فعلاً بإمكان المسلمين تحقيق ذلك بالرغم من الفارق الكبير بالعدَدِ والعدة بينهم وبين قريش.

غيرَ أن المسلمينَ مع رغبتِهم العارمة بدخول مكة وقدرتِهم على احتلالها وكسرِ طوق الحِصار الذي فرضته قريشُ عليهم بالقوة، فإن شيئاً واحداً قيَّد رغبتَهم هذه تقييداً كاملاً، عن تحقيق هذه الغاية، وهو أمرُ نبيهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي يدركُ ما لا يدركون، وينظرُ إلى الأمور بغير النظرة التي ينظرون إليها.

وهكذا كان النبيُ ﷺ يتمسكُ برباطةِ الجأشِ وضبط النفسِ، أزاءَ كلِ ما أقدمت عليه قريشُ من عمل عدواني. وكيفَ لا وهو المبعوثُ رحمةً للعالَمين، ومنقذ الإنسانية جميعاً، والآخذ بيدِها إلى طريق الخير والفلاح والرشاد. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

شائعة مقتل عثمان وتوتُر الموقف:

وبينما كان عثمان بن عفان موجوداً في مكة، لإبلاغ زعمائها رسالة النبي ﷺ السلمية، وفيما كان الرسولُ ﷺ والمسلمون ينتظرون ما ستُسفرُ عنه محادثاته مع قريش، فقد ظهرَ على مسرح الأحداث تحولُ فجائي في موقف الرسولِ ﷺ والمسلمين، جعلَهُم يتحولون من موقف السلم والصبر، إلى اتخاذ موقفٍ عسكري فوري، والدخول مع قريش في معركة حاسمة، وهذا التحول، كان نتيجةً لإشاعة راجَت في المنطقة بقوة ووصلت إلى أسماعِ الرسول ﷺ والمسلمين في الحديبية، مفادُها أن قريشاً قامت

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

بالاعتداء على حياة عثمان بن عفان وقتله، لأمرُ الذي أثار حفيظة المسلمين، وجعلهم يتحولون من موقفِ السلم إلى موقف الحرب وبدأ الجو مُتوتراً للغاية وقد أخذت نُذُرُ الحربِ تَلُوحُ في المنطقة، حيث أصبح الموقفُ العامُ ملتهباً للغاية، وقد اتخذَ الرسولُ ﷺ قراراً بدخول المعركة فوراً.

وفيما أخذَ الجوُ الحربيُّ يخيم على المنطقة تدريجياً، أصدر النبي ﷺ أمراً عسكرياً إلى جميع الوحدات لإسلامية المرابطة في الحديبية، لتكونَ على أهبةِ الاستعداد للزحف نحو مكة، واحتلالها بالقوة، وقد اتخذ الصحابةُ الكرام جميعَ الاستعدادات العسكرية اللازمة لمواجهة الموقف، انتظاراً لأمر نبيهم الكريم باقتحام مكة ودخولها بالقوة.

أخبارُ الاستعداداتِ العسكريةِ للمسلمين تصلُ إلى قريش:

أخذَت أخبارُ الاستعداداتِ العسكريةِ الإسلاميةِ لاقتحام مكةَ تصلُ إلى زعماء قريش في مكة وبلدح. فعم الذعرُ صفوفَ المشركينَ وانتشرت الشائعاتُ، ودخول الخوف والهلع نفوس قادتهم، نتيجة لقرار النبي ﷺ الحاسم بدخول المعركة مع قريش. فقريشُ تعرف من هم المسلمون إذا ما وقعت المعركة الحقيقية بينها وبينهم، فهي لها تجرب وتجارب معهم، فقد ذاقت الويلات على أيديهم في بدرٍ وأُحُد والخندق، وغيرها، وقد ساعد هذا الجو المتوتر على انتشار الشائعاتِ بين الفريقين في تلك المنطقة. وعلى نطاق واسعٍ وهذه هي طبيعةُ الشائعات، حيث لا تكثر ولا تنتشر إلاَّ في مثل هذه الأجواء الملتهبة والملائمةِ لظهورها، هذا وبالنظر لأهمية الشائعات وتأثيرها، فإنني سأقومُ بدراسة سريعة ومختصرة للشائعاتِ وأهميتِها الإعلامية وذلك على ضوء الدراسات التي وضعَها المتخصصون من الإعلاميين والعسكريين لهذه الشائعاتِ مبيناً من خلال هذه الدراسة أثر إشاعة مقتل عثمان على الحالة العامة في المنطقة في تلك الفترة.

٢ ـ الشائعاتُ وأهميتُها الإعلامية:

لم يكنْ الجوُ المتوترُ الذي خيم على منطقة الحديبية وبلدح، مدة

أكثر من عشرين يوماً، خالياً من أساليب الحرب الباردة، لأن تلك الأساليب تعيشُ أكثر ما تعيش، في مثل تلك الظروف المضطربة والأجواء المكهربة.

والجديرُ بالذكر، أن تلك الإشاعات، من أهمِ الأسلحة الفتاكة التي استعملت قديماً وحديثاً في أغراض الحرب النفسية، وإنها تعتبرُ من أهم أساليب تلك الحرب من حيث قوةِ تأثيرِها في الرأي العام.

ولما كانت الشائعات تستخدَمُ أكثر ما تستخدم، في الأوضاع المتوترة، من حيث يرى تجارُ الحروب والمنتفعون، أو المتهورون، بأن هذه فرصتهم للإيقاع بين الخصوم، فإن استعمالَ سلاحِ الشائعات، يستعجِلُ بطريقةٍ أو بأخرى من إيقاع الفتنة وتقريب الحرب والصدامِ بين الفريقين المتصارعين.

لذا فإنه ليس غريباً أن تنطلقَ في مثل تلك الظروف تلكَ الإشاعة، التي راجت في معسكرِ المسلمين في الحديبية، عن مقتل عثمان بن عفان في مكة، ذلك لأنها وُلدت في الجوِ الملائم لظهورها وانتشارِها ولنستمع إلى ما يقولُه صلاحُ نصر عن مد ى قوة الشائعات وشدة تأثيرها، يقول: (إنها سلاحٌ رهيبٌ من أسلحة الحرب النفسية التي تفتكُ بمعنويات الشعوب، وتهدِفُ غالباً إلى شل فكر الإنسان، وجعلِه ينقادُ نحو المستقبل المجهول، أو ينطُق بما لا يعقل، أو يحكي بما لا يفهم)[١].

ثم يعرِّفُ كلُ من «جولدن البورت وبوستمان» في كتابيهما سيكولوجية الشائعة بأنها: (اصطلاحٌ يطلق على رأي موضوعي، معين ومطروح، كي يؤمنَ به من يسمعه، وهي تنتقلُ عادة من شخص إلى آخر عن طريقِ الكلمة الشفهية، دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل)[٢].

والحقيقةُ أن للشائعةِ موضوعاً معيناً تروج فيه، وظرفاً خاصاً تعيش

---

(١) صلاح نصر الحرب النفسية الجزء الأول (ط. ٢) ص ٣٠٣.

(٢) «جولدن البورت وبوستمان»، سيكولوجية الشائعة. نيويورك ١٩٤٨ ص ٣٠.

فيه. وتأسيساً على هذا الفهم، فإن صلاح نصر يوضِّح لنا ذلك بقوله: (ولما كانت الشائعة تتضمن عادةً موضوعاً معيناً، فإن الاهتمام بها يكون مؤقتاً، فهي تروج في الظروف الملائمة للمضوع، ثم تنتهي بموتها ودفنها، على أنها من ناحية أخرى قد تعاود الظهور مرة أخرى إذا ما وجدت الأرض الخصبة المناسبة)[1].

ولما كانت هذه الإشاعة التي نحن بصدد الحديث عنها، وهي إشاعة مقتل عثمان بن عفان، قد انطلقت من كونها تتحدثُ عن موضوع هو بالأصل، له وجود، وذلك هو ذهابُ عثمان بن عفان إلى مكة وإنقطاع أخبارِه لمدة ثلاثة أيام، لذلك، فإن هذه الشائعة قد استغلَّت ظرفاً متهيأً لظهورها. وهو الغموضُ والأهمية اللذان صاحَبا الحادثة الأصلية، إذ لم تكن شائعةُ مقتل عثمان بن عفان في مكة، هي بحدِّ ذاتها، وفي أصل تكوينها من نسج الخيال. وكذلك فإنها لم تكتسب صفة الخبر، ذلك لأن الخبرَ يقومُ في مفهومه على الصحة والصدق، ويعتمدُ على البرهان والدليل، بعكس الشائعةِ التي تعتمدُ على الهواجس والتكهنات، وحول هذا الموضوع يتحدث صلاح نصر موضحاً الفرق بين الخبر والشائعة فيقول: (ليست كل الشائعات من نسيج الخيال، فقد يكونُ بعضُها لا أساسَ له مطلقاً، وقد تعتمد على جزء من الحقيقة فيها لخلقِ كيانِها وترويجها. ويجبُ أن نفرِّقَ هنا بين الخبر والشائعة. فالخبر يعتمدُ على البرهان والدليلِ القاطع، أما الشائعةُ فإن برهانَها يكون باهتاً غير واضح)[2].

أما الدكتور إبراهيم إمام فإنه يرى أن الشائعة مجردُ تخيلات وتكهنات، وأنها ليست من الواقع. ولنستمع إليه وهو يتحدث عن هذا الموضوع: (والحقُّ أن الشائعة مزيج عجيب من الوقائع

---

(١) صلاح نصر: المرجع السابق ص ٣٠٤.
(٢) صلاح نصر: المرجع السابق ص ٣٠٥.

والتخيلات، ولا يمكن بسهولة تحديد العناصر الواقعية وفصلها عن الجوانب الخيالية، حتى أننا كثيراً ما نعجز عن اكتشاف نواة الواقع الحقيقية، بل إننا قد نكتشف أنه لا توجد أيةُ نواة من الواقع إطلاقاً. والمهم أن الشطحات الخيالية تتزايدُ عادة عند انتقال الشائعة من شخص إلى آخر)[1].

وليس من شك أن إشاعةَ مقتل عثمان بن عفان في مكة، كانت في واقعها بالغةُ الأهمية، وقد اكتسبت هذه الإشاعة أهميتَها، من كون عثمان بن عفان من كبار الصحابة الكرام، ومن السبّاقين للإسلام، وأنه يُعتبر من القادة الكبار الذين تؤول إليهم الأمورُ في تقرير مصيرها، ومن المقربين إلى رسول الله ﷺ، بالإضافة إلى أنه قد تزوجَ من ابنته رقية وبعد وفاتها تزوج من أم كلثوم، وتزداد أهمية هذا الموضوع، من كون عثمان بن عفان، هو مبعوثُ رسول الله ﷺ إلى قريش وحاملُ رسالته إليهم. وأنه قد ذهب في حاجة الله ورسوله، لذلك فإن هذه الإشاعة كانت شديدة الوقع على نفوس المسلمين، الأمرُ الذي نتج عنه تغييرٌ كاملٌ في موقفهم، وانقلاب الوضع من الصبر الطويل إلى القرار الفوري بدخول المعركة.

وينقلُ لنا الدكتور إبراهيم إمام في كتابه ما قاله «ألبرت وبوستمان»، عن أهم الشروط التي تكتسبُ الشائعةُ فيها أهميتها وسريانها، فيجعلها في شرطين اثنين هما الأهمية والغموض، ولنستمع إليه وهو يقول: (إن سريان الشائعة يخضع لشرطين أساسيين، فالشرطُ الأولُ ينطوي على أهمية الحادث بالنسبة للمتحدث والمستمع، وأما الشرطُ الثاني فهو الغموض الذي يطوي الحادث ويغلّفه. وقد ينشأ الغموض من انعدام الأخبار أو نضوبها، أو عن تضارب الأخبار، أو عدم الثقة بها، أو عن بعض التوترات الانفعالية التي تجعل الفردَ غير قادر أو غير متهيء لتقبل الوقائع التي تقدمها الأخبار إليه.

ثم يؤكدُ الباحثان أن الشرطين الأساسيين للشائعة، وهما الأهمية

---

(١) انظر الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٢٤٧.

والغموض يرتبطان ارتباطاً كمياً ـ على وجه التقريب فيما يبدو ـ بسريان الشائعة)[1].

هذا وأما بالنسبة للأجواء الخاصة التي تظهر فيها الشائعة وتنتشر وتزدادُ رواجاً وتأثيراً، فإن الدكتور إبراهيم إمام يعزو ذلك للأجواء الحربية، ولنستمع إليه وهو يقول: (فليس غريباً أن يكون جوُ الحرب ملائماً لظهور الشائعات وانتشارها، فسرية الأخبار، وهو أمر جوهري تتطلبه دواعي الأمن، تخلق جواً من الغموض. كما أن أرواح الناس وممتلكاتهم ومبادئهم وقيمهم، من أهم ما يعنيهم وأغلى ما يحرصون عليه)[2].

وبهذا المفهوم تتضح لنا حقيقة الشائعات، وتتضح كذلك طبيعةُ الأجواء التي تنشأ عنها وتنتشر فيها.

ومن الجدير بالذكر أن الشائعة من الأسلحة القديمة التي استعملَها الإنسان لتحقيق أغراضِه العسكرية وغيرها من الأغراض التي تُشيعُ البلبلة وتقوِّض دعائم المجتمعات وتثير الفتن والأحقاد في النفوس وتطعن الأبرياء.

ويستعرض القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمات، حديثه عن الشائعات. ففي الآية الكريمة التالية يصف اللهُ سبحانه وتعالى المؤمنين الذين تعرضوا للشائعات ولم تزدهم هذه الشائعات إلَّا التمسك بإيمانهم، فيقول الله عز وجل فيهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ، لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[3].

ثم يصفُ القرآن الكريم نوعاً آخر من المسلمين الذين تأثروا بهذه

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٣) سورة آل عمران الآيات: ١٧٣ ـ ١٧٤.

الشائعات فيقول الله عز وجل فيهم: ﴿وإذا جَاءَهُم أَمرٌ مِنَ الأَمْنِ أَو الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلىٰ الرَسُـولِ وإِلىٰ أُولي الأَمْرِ مِنْهُم لَعَلِمَـهُ الذينَ يَسْتَنْبِـطُونَهُ مِنْهُمْ، وَلَـوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُـهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَليلاً﴾[1]. ثم يتحدثُ القرآنُ الكريم مبيناً سوء عاقبة الذين يُؤذونَ المؤمنين والمؤمنات بالشائعات، فيقول الله عز وجل فيهم: ﴿والذِينَ يُؤْذُونَ المُؤمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وإِثماً مُبِيناً﴾[2].

ثم يتحدثُ جَل وعلا في كتابـه العزيـز عن الشائعـةِ معبراً عنهـا بالإرجاف فيقول سبحانه: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنتَهِ المُنَافِقُونَ والذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والمُرجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3]. ثم إنه عز وجل يوحي إلى المؤمنين بأن لا يتبعوا سبيلِ المنافقين الذين آذوا الأنبياء، فيقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالذِينَ آذَوا مُوسى فَبرأَهُ اللَّهُ مِمَا قَالُوا، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً. يا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَقُوا اللَّهَ وقُولُوا قولاً سَدِيداً﴾[4].

وفي سورة النور يتحدث جل شأنه عن حادثة الإفك مبيناً حكم الله جل وعلا بالذين يُطلقون الشائعات ضد الأبرياء من المؤمنين والمؤمنات وذلك في الآيات الكريمات من الآية (١١ ـ ٢٥)[5]. ثم يوصي جل شأنه بالتثبت والتأكد من الأنباء التي يأتي بها الفاسقون، فيقول: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهالةٍ فَتُصبِحُوا على مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[6].

ثم يتحدث صلاح نصر عن قدم الشائعة في التاريخ البشري، فيقول،

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٣.
(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٨.
(٣) سورة الأحزاب الآية: ٦٠.
(٤) سورة الأحزاب الآيات: ٦٩ ـ ٧٠.
(٥) انظر القرآن الكريم سـورة النور الآيات: ١١ ـ ٢٥.
(٦) سورة الحجرات الآية: ٦.

بأنها ظاهرة اجتماعية عاشت مع الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض، ولنستمع إلى حديثه عن هذا الموضوع الذي جعله تحت عنوان «الشائعة والتاريخ»: (لا يستطيعُ الإنسانُ أن يتخيل مجتمعاً منذ بدء الخليقة يخلو من الشائعات، فهذه كغيرها من أحاديث الإنسان ظاهرةٌ اجتماعية لازمة. والواقع أن في تاريخ البشرية أمثلةٌ واضحة تبين أن الشائعة وجدت على الأرض مع الإنسان، بل إنها عاشت وتبلورت وترعرعت في أحضان كل حضارة وثقافة. وكثيراً ما يحدثُ أن يظلَ موضوع شائعة معينة كما هو غير قابل للاستنفاذ، وإن كان يأخذُ أشكالاً متنوعة في أوقات مختلفة، بل قد يحدُثُ أن يتبلور أحد هذه الأشكال ليصبحَ أسطورةً لا تموت)[1]. هذا ثم يتحدث نفس الكاتب عن خطورة سلاح الشائعات، فيقول: (إن الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلة، معدية أو مدمرة، تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية. أما فيما يتعلق بكون الشائعة تُتَّخذُ على أساسٍ إخباري أو إعلامي، فإن هذا التقويمُ بلا شك سيكونُ خاطئاً لأن الشائعةَ كما قُلنا سابقاً لا تقوم على أساس من الحقائق الثابتة)[2]. ثم يتحدث الكاتب عن الأسباب التي يكثر فيها ترديد الشائعات، فيرى من وجهة نظره بأنها ترجِعُ إلى انعدام المعلومات الصحيحة، أو انعدامِ الأخبار بصورة كلية ولنستمعِ إليه وهو يقول: (ويرجِعُ السبب في ترديد الشائعات إلى انعدام المعلومات. وندرَةِ الأخبار، ومن هنا ينادونَ بضرورة تزويد الشعب بجميع الأخبار التفصيلية والدقيقة الممكنة، حتى يكونَ على بَيِّنة مما يدور حوله من أحادث، وأعمال تؤثر على حياته ومستقبله)[3].

٣ ـ أساليب مقاومة الشائعات:

لقدَ وضع الإسلامُ معايير ثابتة للوقاية من سموم الشائعاتِ حتى لا

---

(١) صلاح نصر: المرجع السابق ص ٣٠٧.

(٢) صلاح نصر المرجع السابق ص ٣٠٨.

(٣) صلاح نصر: المرجع السابق ص ٣١٧.

تتمكن هذه الشائعاتُ من الفتك في المجتمع الإسلامي. وإن من أهم هذه المعايير معيار الإيمان. فالإيمان هو الحصن الحصين الواقي من جميع أمراض الحياة وآفاتها.

والإيمانُ كما عَرَّفه سيدنا محمد ﷺ في الحديث الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب، عندما سأله جبريل قائلاً: يا محمد أخبرني ما الإيمان؟ قال رسول الله ﷺ الإيمان: «هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقدَر خيره وشره»[1]، وبهذا فإن المسلمَ لا يكون كامل الإيمان إلّا بهذه الأركان الستة التي جاءت في هذا الحديث جميعها.

وعلى هذا الأساس فإنه يجب على كل مصلح أو داعية إلى الله، أن يزرعَ بذور الإيمان في نفوس المسلمين حتى يكون هذا الإيمان لهم درعاً واقياً من لهيب الشائعات الفتاكة

وقد أخبرنا الله سُبحانه وتعالى في الآية الكريمة عن المؤمنين الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم... فماذا حصل من أمر هؤلاء المؤمنين؟ وهل استجابوا لهذا التهديد؟ الجواب. كلا.. وذلك لأن المؤمنين لم يهتموا ولم يكترثوا لمثل هذه الأراجيف، وتلك الشائعات المغرضة، وإن جميع أساليب الحرب النفسية مهما بلغت، فإنها لا يمكن أن تؤثر بمعنوياتهم العالية وإيمانهم القوي. وقالوا ـ كما أخبرنا الله سبحانه ـ ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾. وهذا قول المؤمنين دائماً في كل زمان ومكان. فالمؤمن عندما يتعرضُ للمِحن والشدائد، فإنها لا تزيده إلا إيماناً وتثبيتاً، لأن الإيمانَ هو الدرع الواقي من شرور هذه الأمراض والآفات جميعها. ومع هذا الإيمان الراسخ بالله تعالى فإن على المؤمن أيضاً أن يأخذ بالأسباب، ويعد العدةَ لإيجاد أفضلِ السبل وأنجحِ الوسائلِ لإفشال المخططات المعادية والتغلب عليها، وذلكَ من أجل الوصول إلى المستوى

---

(١) الإمام مسلم جـ ١ كتاب الإيمان ص ٣٧ وهو جزء من حديث طويل. دار البحوث العلمية ـ السعودية.

الذي يُمَكِّنه من هداية البشرية، والأخذ بيدها إلى طريق الإسلام الذي يجعل من الناس فعلاً عباداً لله وليس عباداً للعباد. إذن فالإيمان هو الذي يحصن الإنسانَ ضد جميع الأخطار ويخلق جو الطمأنينة الكاملة في النفس البشرية الضعيفة التي تحتاجُ إلى قوة كبرى تستند إليها في تصريف شؤونها الحياتية.

أما طرق الوقاية من هذه الشائعات المسمومة فهناك عددٌ من وجهات النظر حول هذا الموضوع. فالدكتور إبراهيم إمام يرى من وجهة نظره أن من أفضل الطرقِ لمقاومة الشائعات دعم إيمان الفرد بوطنه وإيقاظ ضميره. ولنستمع إليه وهو يتحدث عن هذا الموضوع بقوله: (يبدو أن خيرَ وسيلة لمقاومة الشائعات ومواجهة الحرب النفسية هي تحصينُ الشعب عن طريق دعم إيمانه بوطنه وأهدافه، وتوعية الجماهير وإيقاظ الضمائر، وهي مهمةٌ لا بد وأن تتضافر على أدائِها هيئات التربية والتعليم، والثقافة والإعلام، والتنظيمات السياسية. إن التعبئة النفسية للجماهير وتمسُّكُها بأيديولوجيتها عن إيمان واقتناع، من أهم الدعائم الضرورية لمواجهة الشائعات والحرب النفسية)[1].

ومع أننا ننقلُ كلام الدكتور إمام، فإننا لنا بعضَ التحفظات على بعض ما جاء في كلام دكتورنا الفاضل.

فالإيمانُ كما يراه المؤمن، هو الإيمان بالله القوي العزيز. هذا الإلّه، الذي يستلهم منه المؤمنُ طاقتَه وعزيمته وثباتَه ونصره على أعداء الله. بل وإن الإيمان في مفهوم المؤمن هو الإيمانُ الشامل لكل ما يجعلُ المؤمنُ في هذه الحياة عبداً خالصاً لله تعالى، وليس فقط كما يقول الدكتور إمام - الإيمان بالوطن - فالوطن في مفهوم المؤمن هو جزءٌ يسيرٌ من الحياة الشاملة، التي يجب أن تكون كلها لله. فالمؤمن يعيش في هذا الوطن، أو بعبارة أصح في هذه الأرض مستخلفاً فيها من قبل الله عز وجل ليقُيم فيها

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٣٠٦.

العدلُ ويحكمُ فيها بكتاب الله عز وجل وسنةِ نبيه ﷺ، وبغير هذا المفهوم لا يستطيع العبدُ المؤمن أن يفهم الإيمان. وإن هذا هو المفهوم الحقيقي للإيمان الذي يقرُّه الإسلام ويحرِص عليه ويوحي به.

ثم يضيفُ الدكتور إمام في حديثه عن الأساليب التي يجب أن تُستخدم لمقاومة الشائعة فيقول: (وهنا تستطيع أجهزة الإعلام والثقافة أن تلعب دوراً حيوياً للغاية. فالصحافةُ والإذاعة والتلفزيون والسينما وسائلُ ضرورية للتنشئة الاجتماعية، وتبصير الناس بأهدافهم، وتوعيتهم وإرشادهم). ثم يتطرق الدكتور إمام في حديثه هذا عن دور الأغاني والموسيقى فيقولُ: (وقد رأينا أن الأغاني والموسيقى والأناشيد الوطنية تمسُّ شغاف القلوب، وترفع من الروح المعنوية للشعب، ويمكن للتمثيليةِ كشكلٍ فني محبوب أن تتناولَ الشائعاتَ بطريقة غير مباشرة، فتفندها وتدحضُها دونَ أن تكرر مضمونها بطبيعة الحال. كما يلعبُ الإعلامُ دوراً رئيسياً في مواجهة الافتراءات والأكاذيب، بالحقائقِ التي تؤيدُها الوثائق والمستندات عن طريق الأفلام التسجيلية والدرامية)[1].

ومع أننا نتفقُ مع الدكتور في بعض ما أورده من وسائل وأساليب إعلامية لمكافحة الشائعات، إلَّا أننا نختلفُ معه في البعض الآخر منها، وهو موضوع الأغاني والموسيقى، كوسيلة إعلامية نافعة لمكافحة الشائعات، ونقول بأن الأغاني مع الموسيقى مع كونهما من المحرمات في الإسلام، فإن فائدَتهما إن لم تكن قليلة فقط، فإنها معدومة أيضَاً، وذلك لأن الشخص الذي يستمع ويردد الأغاني مع الموسيقى والألحان، فإنه لا يرددها ليفهمَ معانيها وينقادَ لكلماتها، ولكنه يرددُها من أجل أن يستمتعَ بلحنها ورنتها الموسيقية، ولهذا فإننا نختلفُ مع أستاذنا الفاضل في هذه النقطة أيضاً، ونقول بأن الأغاني مع الموسيقى من شأنِهما أن يخلقا جواً من الميوعة والاستهتار واللامسؤولية عند الناس.

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٣٠٦.

ثم يضيفُ الدكتور إمام في حديثه مستعرضاً أهم الأسباب التي يجب أن تتخذ لمقاومة الشائعات فيقول: (ولما كانت الشائعات جزءاً لا يتجزأ من الحرب النفسية فإن السبيلَ لمواجهتها لا يكونُ بالتشريع فقط، وإنما بالتوعية والتحصين والتعبئة النفسية للجماهير، على أن يتم ذلك كله في إطار من التخطيط الإعلامي، القائم على البحث العلمي، مع قياس النتائج، وتقويم الآثار، في كل خطوة من الخطوات، حتى يتم العمل في نظام دقيق مدروس بعيدٍ كل البعد عن الارتجال)[1].

ثم يتحدث الدكتور إمام عن أهمية بناء الإنسان وإعداده لتحمل المسؤولية في مقاومة الشائعات والدفاع عن الوطن، فيقول: (إن بناء الإنسان على أساس من المسؤولية والوعي هو الهدف الأول لأي مجتمع يريد أن ينمو ويتطور في مواجهة الأعداء. ولا بد أن نتنبه لأهمية التوعية السياسية، وأن نجعلَ محورها الإنسان الذي يستطيع عن طريق الإحساس بالمسؤولية والإيمان بالقيم والمبادىء، والشعور بالولاء العميق للتنظيم السياسي، أن يصِمدَ ويصنع المعجزات. وتقعُ على عاتق التنظيم السياسي مهمةُ التعبئة النفسية، وتجسيمُ الأهداف، وإعداد المواطن للعمل في ساعة الخطر، بحيثُ يؤدي عملَه بحماس مضاعف، دون تذمر أو قلق)[2].

وحول ما جاء في حديث الدكتور إمام عن بناءِ الإنسان، فإن ما أوردَه من نقاط قيمة حول هذا الموضوع، لا تتنافى مع روح الإسلام ومبادئِه، ولا توجدُ أي ملاحظة للنقد، اللهم إلاَّ عبارة واحدة فقط، وهي العبارة التي يقول فيها: (والشعورُ بالولاء العميق للتنظيم السياسي).

ومع أننا نحسن الظن في نية الأستاذ الفاضل، إلاَّ أنه يجب أن يوضِّحَ مفهومَ الولاء، بل وينبغي أن يكونَ التخصيصُ هنا واضحاً، إذ أن النظم السياسية الحاضرة تكاد تكون في مجموعها غير موالية لله ولرسوله. وعلى هذا، يجب أن يكون ولاءُ المؤمن لله ولرسوله وللتنظيم السياسي الذي يتبنى

(١ ـ ٢) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٣٠٧.

ويمثل هذه القاعدة وهي قاعدة الإيمان. والله سبحانَه قد حدّد قاعدةَ الولاء والعداء. قال تعالى: ﴿اللَّهُ ولِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخرجُهُم مِنَ الظُّلُمَات إلىٰ النُورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُورِ إلىٰ الظُلُماتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

وقال جل شأنه: ﴿إنَما وَلِيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ والذِينَ آمَنُوا﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[3].

وبهذه الآيات الكريمات يستطيع المسلم أن يحدد مفهومه للولاء وللعداء في هذه الدنيا.

وبهذه الدراسةِ والتحليل، فإننا نرجو أن نكونَ قد ألقينا الضوءَ على معظم الطرق، والأساليب التي يتبِعَّهَا الإسلامُ في مواجهة الشائعات وطرق الوقاية منها.

٤ ـ بيعة الرضوان:

لم يسعْ النبيُّ ﷺ بعدما سمع بإشاعة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في مكة على أيدي مشركي قريش، إلاَّ أن يستنفرَ أصحابه الكرام، وأن يدعوهم إلى قتال المشركين، وذلك بأن دعاهم إلى مبايعتِه على الموت بعد أن نزل الأمر بذلك من السماء.

وقد لبى الصحابةُ الكرام جميعاً، وعددهم ألف وأربعمائة صحابي نداء نبيهم الكريم فبايعوه تحت الشجرة في الحديبية. فامتدحهم الله تعالى وأثنى عليهم وأعلن رضاه عنهم بقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٧).

(٢) سورة المائدة الآية (٥٥).

(٣) سورة المائدة الآية (٥٦).

الْمُؤمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَجَرةِ، فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ، فأنزلَ السَكِينَةَ عَليهِمْ وأثابَهُم فَتحاً قَريباً﴾[1].

وقد أثنى عليهم رسول الله ﷺ بقوله: «أنتم خير أهل الأرض»[2] وهذه البيعة هي التي تعرف تاريخياً ببيعة الرضوان

فقد ذكر الطبري في حديثه عن هذا الموضوع، قال: (إن رسول الله ﷺ، حينما بلغه أن عثمان بن عفان قد قتل قال: «لا نَبْرحَ حتى نُنَاجِزَ القَوْمَ» ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة)[3].

وفي رواية أخرى للطبري عن جابر بن عبدالله، أنه قال: (إنهم كانوا أربع عشرة مائة. قال: فبايعنا رسول الله ﷺ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير الجد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره)[4].

وقد ذكر الواقدي تفصيلاً أوسع لبيعة الرضوان هذه، فقال: (كان محمد بن مسلمة على فرس للنبي ﷺ - يحرسُ - معسكر المسلمين في تلك الليالي، وعثمان بمكة. وكان عثمان قد أقام بمكة ثلاثاً يدعو قريشاً. وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن من رسول الله ﷺ على أهليهم، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان وأصحابه قد قُتلوا فحين ذلك دعا للبيعة)[5].

وعندما بدأ الصحابة الكرام يبايعون رسول الله ﷺ، فقد بايع رسول الله ﷺ عن عثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، وذلك حسبما جاء في رواية ابن إسحاق والسيرة الحلبية: (إن الرسول ﷺ قال: اللهم إن

---

(١) سورة الفتح الآية (١٨).

(٢) صحيح الإمام البخاري. كتاب المغازي ص ٦٤. دار الفكر باب غزوة الحديبية حديث ١٦٨٥ عن جابر بن عبدالله.

(٣) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٦٣٢. دار المعارف.

(٤) المرجع السابق جـ ٢ ص ٦٣٢.

(٥) مغازي الواقدي جـ ٢ ص ٦٠٢. عالم الكتب بيروت.

عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه، فضرب بيمينه على شماله)[1].

وما من شك، أن الدخولَ في الإسلام، أصلاً والانتماء إليه، هو بيعة مع الله تعالى، يعطيها المؤمن عهداً صادقاً، وجهاداً خالصاً، وبذلاً وفداء. أولئك الصفوة المؤمنة من عباد الله المخلصين الأبرار الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت تحت الشجرة. ليس لهم غرضٌ من هذه البيعة إلاَّ نصرة الإسلام والدفاع عن الحق فباعوا أنفسهم لله تعالى. وقد ارتضوا هذه البيعة الكريمة وتلك الصفقة الرابحة، فلم يحتجزوا لأنفسهم ذرةً من الحِرص على الحياة، أو الرغبة في متاعها الزائل. لأن أرواحهم وأموالهم وأنفسَهم قد بيعت في سبيل الله، إبتغاء مرضاته، فليس عليهم إلاَّ أن يفوا بالعهد، ويمضوا العقد، فيجاهدوا في سبيل الله ويمضوا حيث يأمرهم رسولهم الكريم بكل نفس طيبة وأرواح راضية مؤمنة في سلوك السبيل القويم إلى نهايته. فإذا تم لهم النصر فذلك خير كبير، أكرمَهم الله به، وإذا أدركتهم الشهادةُ، فتلك هي النعمة الكبرى، والغايةُ التي يسعى إليها المجاهدون الصادقون، ولهم في الحالين الجنة التي أعدها الله لعباده المخلصين الأبرار. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوالَهُم بأَنَّ لَهُمُ الجَنَةَ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ، وَعداً عَليهِ حَقاً فِي التَوْراةِ والإِنْجِيلِ والقُرآنِ، وَمَنْ أَوفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ؟ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الذي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[2].

وإن هذه البيعة العظيمة لازمةٌ في أعناق المؤمنين لأنها جاءت تنفيذاً لأمر الله تبارك وتعالى، وأنه جل وعلا، جعل لهذا البيع ثمناً، وهو الجنة، وهو سبحانه وتعالى واهبُ الأنفس والأموال، وهو مالكُها، فكان من فضله عز وجل أنه قبل العوض بما يملكه، وبما تفضل به على عباده المخلصين المطيعين له. فكان وعدُ الله تبارك وتعالى هذا وعد قاطع كريم كتبه على

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٦٥ دار الفكر والسيرة الحلبية جـ٢ ص ١٤١.

(٢) سورة التوبة الآية (١١١).

نفسه وأنزله على رسوله الكريم ﷺ وعلى رسله جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين. والله تبارك وتعالى لا يخلف الميعاد، لذا فليستبشر كل من أخلص نفسه لله تعالى وعمل بمقتضى هذه البيعة الكريمة، ووفى بعهد الله، بالفوز العظيم والنعيم المقيم.

ومعلوم أن تصور المشرك للحياة الدنيا، ليس كما هو تصور المؤمن لها. لأن تصور المؤمن للحياة منبثق أصلاً من تصوره الاعتقادي لمعنى الحياة والموت. بينما ينظر المفتونون بالحياة الدنيا، المحجوبون عن هدى الله، إلى الحياة، على أنها الغاية التي ليس بعدها غاية؛ فيتشبثون بها، ويتعلقون بمتعها الزائلة، ويروعهم تصور انقضائها، ولا يقيسون الأمورَ ويزينونها إلَّا بمقتضاها.

بينما ينظرُ هؤلاء إلى الحياة والموت تلك النظرةُ القاصرةُ الحائرة التي تشد إلى الذل، وتحمِلُ على المهانة، وتنأى بصاحبها عن دروب الكرامة. تأتي نظرة الإسلام بما يتمشى في أعماق المؤمنين، في ذلك التصور الإيمان الصحيح للحياة والموت، وهو تصورٌ يرتكز على تجاوز الأسباب الظاهرة ويرد الأمور كلها إلى قضاء الله وقدره، فمن كتب الله عليه أن يُقتل فلن يؤجل موته شيءٌ، ولن يمنعه حرص أو تدبير، من أن يلاقي قدره المحتوم.

هذا هو التصور الحق الذي يستقر في يقين المؤمنين عن الحياة والموت، وهو التصور الذي جاءَ وحي الله تبارك وتعالى ليغرسه في قلوب المؤمنين ويربيهم عليه، لذلك فقد كان المؤمنُ عندما يبايعُ رسولَ الله ﷺ على الموت، فإنه كان يفعلُ ذلك من تصوره الاعتقادي للحياة وللموت، بأن الحياة والموت هما طاعة لله، حيث يعيش لمؤمن في هذه الدنيا لله ويموت من أجله، وابتغاء مرضاته.

لذلك فقد كانت البيعة التى نادى بها رسول الله ﷺ في الحديبية بيعة جهاد في سبيل الله، بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى، وعلى هذا الأساس فقد لبى نداءها جميع الؤمنين في الحديبية، ما عدا رجل واحد هو

الجد بن قيس الذي كان معروفاً بنفاقه. فقد ذكر ابن إسحاق قال: (فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة. فكان جابر بن عبدالله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، قد ضبأ إليها، يستترُ بها عن الناس)[1].

ومعلومٌ أن القتالُ في الإسلام لا يأتي إلاَّ عندما لا يكون هناك بديلٌ عنه فهو مركب يعبرُ عليه المسلمون ليصلوا إلى حقوقهم المشروعة. ولا ضير عليهم في ذلك، من أن يحملوا السلاح لتحقيق هذه الغاية النبيلة، وعلى هذا فإن الرسول ﷺ، لم يشأ أن يستمر في قبول تحدي المشركين وطغيانِهم وغطرستهم، مما يحمل على استعلاء الباطل وأهله. بل أراد عليه الصلاة والسلام نتيجةً لما سمع عن مقتل عثمان بن عفان، أن يوقف هذا الطغيان، وأن يضعَ حداً لهذا الصلف وتلك العنجهية والمهاترات الفارغة، وذلك بأن يُرِي أعداء الله من نفسه وأصحابه الكرام قوة الإيمان الحقيقية وعزتَه، فندب المؤمنين لهذه البيعة العظيمة والاستعداد للقاء عدوهم اللئيم، فاستجاب له المؤمنون ملبين النداء، طائعين لله ولرسوله، منيبين لله، بائعين أنفسهم في سبيله، وابتغاءَ مرضاته. فكانت فرحةُ المؤمنين بهذه البيعة لا تعدلها فرحة، لأن المؤمن يعلم أنه في طاعته لربه ولنبيه، إنما يظفرُ بإحدى الحسنيين. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِن عِندِهِ، أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُتَرَبِّصُونَ﴾[2].

والجدير بالذكر أن الإسلام قد رسم للمسلمين الطريقَ الذي يسيرون عليه أثناء تعرضهم للعدوان. وقد بين لهم كذلك موقفهم ممن قاتلهم في الشهر الحرام أو في المسجد الحرام، فيما إذا كانوا يقاتلونَه ويردون اعتداءه، أم يتركونه احتراماً للزمان والمكان، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُم فِيهِ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، كَذَٰلِكَ

---

(١) سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٦٤. دار الفكر.

(٢) سورة التوبة: الآية (٥٣).

جَزَاءُ الكافرين، فَإِنِ انتَهوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وقال جَل شأنه مبيناً حكم الله سبحانه في القتال عند المسجد الحرام، دفاعاً عن النفس ودرأ للفتنة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وكُفْرٌ بِهِ، والمَسْجِدِ الحَرَامِ، وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ، والفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ، وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُم إِنِ اسْتَطَاعُوا... الآية»[2].

وبهذه الآيات الكريمة، قد بين الله سبحانه وتعالى حكمه في الحالات التي يُسمح للمسلمين فيها بالقتال عند المسجد الحرام.

وعلى أي حال فالحربُ، وإن كانت إحدى الظواهر الطبيعية في حياة الناس، فإن الإسلام ينظرُ إليها على أنه لا ينبغي اللجوء إليها في حل المشكلات والمنازعات إلاَّ بوصفها العلاج الحاسم والأخير الذي تفرضه الضرورة حين تُخفق جميعُ الحلول الأخرى في مقاومة الطغيان، ورد العدوان، وإزاحة العقبات التي تحول دون استجابة الناس للهدي ودين الحق، طواعيةً واختياراً دون قسر أو إكراه.

وإذا كانت العلاقات بين الناس قبل الإسلام قائمةً على العداوة والبغضاء والخصومة والشر وفقدان روح الفضيلة والأخلاق، وتحكيم نزعة القوة والبطش، وانعدام أي رعاية للحق والعدل والسلام، فإن الإسلام قد جاء بالمبادىء التي تضمن أسمى تشريع أخلاقي وإنساني في علاقات الناس بعهم ببعض، وهي مبادىء ترتكز على صيانة كرامة الإنسان وحريته، وعلى ضمان العدالة والمساواة له. قال تعالى: ﴿يَا أَيُها النَاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمكُم عِندَ اللهِ أَتقاكُمْ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآيات (١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

(٣) سورة الحجرات الآية (١٣).

ولما كانت الأمة الإسلامية هي الأمة التي تحمل مبادىء الحياة العليا، وتحمل أمانة توطيدها وإقرارها في العالم، فقد عُني الإسلامُ بتربية العنصر الأخلاقي والإنساني لدى كل فرد مسلم، فجاءت مبادئهُ هدماً لكل مظاهر الفساد والتجاوز على المثل الإنسانية العليا. . . سواء أكان ذلك فساداً في العقيدة أم كان ظلماً لشعب لآخر، أو استغلال طبقة لأخرى، أو تحكم أمة في أمة. فحيثما كان الفساد، فإن الأمة الإسلامية ملزَمةٌ بمكافحته وإزالة قواه وتوفير الحرية والعدالة والكرامة لكل إنسان.

قال تعالى: ﴿كُنْتُم خَيْرَ أُمَةٍ أُخرِجَت لِلْنَاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤمِنُونَ بِاللهِ﴾[1].

ولكن الإسلام مع هذا دينٌ يواجهُ الواقع ولا يفر منه، وما دامت في الدنيا نفوس لها أهواء ونوازع ومطامع، وما دام هناكَ هذا الناموس الذي يطبَّق على الأفراد والجماعات على السواء وهو ناموس تنازع البقاء، فلا بدَ إذن من الاشتباك والحروب، وحين تكون الحرب لردع المعتدي وكف الظالم ونصرة الحق، والإنتصاف للمظلوم تكون فضيلة من الفضائل، وتنتج الخير والبركة والسمو للناس، وحين تكون تحيزاً وفساداً في الأرض واعتداءً على الضعفاء تكون رذيلة اجتماعية، وتنتج السوءَ والشر والفساد في الناس، ومن هنا جاء الإسلامُ ليقرر هذا الواقع يقول القرآن الكريم: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولَيَنصُرَنَّ اللهَ مَنْ يَنصُرُه إنَّ اللَّهَ لَقَوِيًّ عَزِيزٌ، الذينَ إن مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أقَامُوا الصَلاَةَ وآتَوا الزَكاةَ، وأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ ونَهَوا عَنِ المُنكَرِ ولِلَهِ عَاقِبَةُ الأَمُورِ﴾[2].

وبذلك كانت أولى نظرات الإسلام إلى الحرب أنها ضرورة اجتماعية، أو شرٌ لا بد منه إلاَّ لما يرجى من ورائه خير.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٢) سورة الحج الآيات: (٤٠ ـ ٤١).

فإذا كان لا بد من وقوع الحرب، فإن الإسلام وهو يحيطُها بهذا الإطار الفريد، يوجب إعلانَها وعدمَ أخذ الناس بها على حين غرة، تجنباً للغدر والبدء بالعدوان، كما ينهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال، ويحذر المحاربين من أي سلوك يقع فيه التجاوز على المبادىء الإنسانية والروح الأخلاقية وكرامة بني الإنسان.

ويجدر بنا ونحن نستعرض أسباب وأغراض الحرب في الإسلام، أن نبين مراحل تشريع القتال في الإسلام.

مراحلُ تشريع القتال في الإسلام:

معلوم أن تشريع القتال في الإسلام قد مر بمراحل متعددة في زمن النبي ﷺ، ولا بد أن نتطرق إليها باختصار شديد:

١ ـ ففي المرحلة الأولى من حياة الدعوة الإسلامية عندما كان المسلمون مستضعفينَ في مكة المكرمة، فإنه لم يسمح لهم بقتال.

وقد استمر الحالُ على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام إلى المدينة المنورة.

فلما استقرَ المقامُ للمسلمين في المدينة المنورة وأقام الرسول ﷺ دعائم الدولة الإسلامية وكثُر عددُ المسلمين واستعدّ الأنصار لحماية الرسول ﷺ، والدعوة الإسلامية، فقد نزل الإذن من الله سبحانه بالقتال وذلك لرد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والوطن والمال، وكانت أول آية نزلت وفيها الإذن بالقتال هي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ للذينَ يُقاتَلُونَ بِأَنهُم ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ علىٰ نَصرِهِمْ لَقَديرٌ الذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ بِغَيرِ حَقٍ إلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا الله... الآية﴾[١].

وعن سعد بن زيد رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من قُتل دون مالِه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمِه فهو شهيد، ومن قُتِل دُونَ

---

(١) سورة الحج الآية: (٣٩).

دِينِه فَهوَ شهيد، وَمن قُتل دُون أهلِهِ فَهو شَهيد»(١).

٢ ـ المرحلة الثانية: وفي هذه المرحلة فقد فُرض القتال على المسلمين لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم وذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا في سبيلِ اللهِ الذينَ يُقَاتِلُونَكُم ولا تَعتدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُ المُعتَدِينَ﴾(٢).

٣ ـ المرحلة الثالثة: وفي هذه المرحلة جاء الأمر من الله سبحانه بقتال من يليهم من الكفار أولاً بأول وذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُها الذينَ آمنُوا قَاتِلوا الذينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَة واعلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَقِينَ﴾(٣).

٤ ـ المرحلةُ الرابعةُ والأخيرة: وهذه المرحلة فقد جاء الأمر فيها من الله سبحانه بقتال المشركين كافة في كل مكان حيثما وجدهم المسلمون، ما عدا الأشهر الحرم، وذلك في قوله تعالى في آية السيف: ﴿فَإذا انسَلَخَ الأشهُر الحُرُم فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم وَخُذُوهُم وَاحْصُرُوهُم وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ، فَإنْ تَابُوا وأَقَامُوا الصَلاَةَ وآتَوْا الزَكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم إنَّ اللَّهَ غَفُور رَحِيمٌ﴾(٤).

ففي هذه المرحلة الأخيرة وعندما نزل الأمرُ بقتال المشركين، فإن المسلمين كانوا يمتلكون أسباب القوة التي تمكنهم من تنفيذ هذا الأمر الكريم بالقتال، وإلاَّ فالمسلمون مطالبون أولاً بالإعداد والاستعداد والأخذ بالأسباب التي تمكنهم من تحقيق النصر على أعدائهم قبل الدخول في القتال. والملاحظُ من خلال هذا التدرج في تشريع القتال أن المسلمينَ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنن باب قتال اللصوص جـ ٥ ص ١٢٨ ـ ١٢٩. وأخرجه الترمذي في الديات باب من قُتل دون ماله رقم الحديث (١٤٢١) وقال حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه في الحدود باب من قتل دون ماله فهو شهيد رقم الحديث (٢٥٨٠).

(٢) سورة البقرة الآةً (١٩٠).

(٣) سورة التوبة الآية (١٢٣).

(٤) سورة التوبة الآية (٥).

عندما لم يُسمح لهم بالقتال كانوا في مراحل الدعوة الأولى وأن قوتهم في تلك المرحلة لم تمكنهم من تحقيق النصر في أي قتال، وقد تدرج التشريع حسبما مرت به حالة المسلمين وقوتهم.

١ ـ ويتلخص هذا التدرج بمشروعية القتال في الإسلام على الوجه الآتي:

١ ـ كان في بداية الدعوة محرماً على المسلمين.
٢ ـ مأذوناً به فقط من غير وجوب للدفاع عن النفس.
٣ ـ واجباً لمن قاتلهم.
٤ ـ فرضاً على المسلمين لعموم الكفار.

وقد مَرَ المسلمون بجميع هذه المراحل والتزموا بما أمرهم به الله ورسوله.



الفصل الخامس

وفد الصلح القرشي برئاسة سهيل بن عمرو

١ ـ سهيل بن عمرو يفاوض النبي ﷺ على الصلح:

بعد أن تأكد لدى سادات مكة، بالوجه القطعي، أن رسول الله ﷺ قرر دخول مكة بالقوة العسكرية، وأن هذه لبيعة، إنما تعني تصميم المسلمين، وإجماعَهم على دخول الحرب ضد قريش. فقد أصاب القُرشيين الخوف والذعر، وبدأوا جادين بالبحث عن مخرج من هذه الأزمة الخطيرة، وذلك بعد أن ازدادت فرص الحرب، واقترب الوضع من الانفجار.

لهذا فقد سارع زعماء قريش في طلب الصلح من المسلمين، بناء على تقرير إخباري تلقته قريش من بعض زعمائِها الذين ذهبوا إلى الحديبية لاستطلاع الموقف. وكان من بينهم سهيَل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، حيث كانت قريش ـ أثناء وجود عثمان في مكة ـ قد أرسلت ببعض زعمائها من ذوي الرأي والمشورة ليجسوا نبض المسلمين، ويستطلعوا رأيهمَ، ثم يقدِّموا إلى قريش تقريراً إخبارياً شاملاً عن مهمتهم هذه، وذلك بعد أن أصبح تطورُ الأحداثِ في المنطقة يهددُ بإنهاء زعامة قريش لها.

وقد صادف حضورُ هذا الوفد، أثناء انتشار الإشاعة عن مقتل عثمان بمكة، مما جعل هؤلاءِ الزعماء القرشيين يشاهدون المسلمين وهم يتسابقون في مبايعة نبيهم على الموت، بحماس شديد يفوق الوصف.

فقد رأى سهيلُ بن عمرو وأصحابه مظهراً من أعظم مظاهر التفاني والتضحية والفداء في سبيل الله. فامتلأت قلوبَهُم رعباً وذهبت الغشاوة عن أعينهم، واقتنعوا بما لا يدع مجالاً للشك، بأن هؤلاء القوم لا يمكن أن يتحققَ أيُ نصرٍ عسكري عليهُم. لذا فإنه يجبُ على قريش أن تعيدَ النظرَ في موقفها وأن تغيِر جميع خططها العسكرية، وإنهاء هذه الأزمة بشيءٍ يحفظ لقريش بعضاً من ماء الوجه.

قال الواقدي: (ثم إن قريشاً بعثت بسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص إلى الحديبية. فلما نظرَ هؤلاء الزعماء ومن معهم من العيون إلى سرعة الناس للبيعة وتشميرهم للحرب، اشتد رعبهم وخوفهم وأسرعوا إلى قريش فأخبروهم بما رأوا. فقال أهل الرأي منهم: ليس خيراً من أن نصالح محمداً على أن ينصرف عنا عامهَ هذا ويرجِعَ قابل فيقيمُ ثلاثاً وينحر هديه وينصرف. فاجمعوا على ذلك. ثم بعثوا سهيلَ بن عمرو ومعه حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص، وقالوا أءتِ محمداً فصالحه، و ليكن في صلحك ألَّا يدخلها في عامه هذا. فأتى سهيل إلى النبي ﷺ، فلما رأه النبي ﷺ طالع، قال: «أرادَ القومُ الصلح حينما بعثوا هذا الرجل»[1].

كان وفد الصلح القرشي الذي قدِم إلى الحديبية، كما ذكره الواقدي يتألف من

١ ـ سهيل بن عمرو بن عامر.
٢ ـ مكرز بن حفص.

---

(١) مغازي الواقدي جـ ٢ ص ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٥. نقلناها ببعض تصرف.

٣ ـ حويطب بن عبد العزي [١] [٢].

والجديرُ بالذكر أن سهيل بن عمرو، هو حد زعماء قريش البارزين الذين كانوا يعرفون بالحنكة السياسية والدهاء، هو خطيبٌ ماهر، ذو عقل راجح، ورزانة وأصالة في الرأي.

فلما قدم على رسول الله ﷺ في الحدبية، وجلس على مائدة التفاوض لإنهاء تلك الأزمة، بدأ كلامَه إلى رسول الله ﷺ قائلاً: (من قاتَلك لم يكن على رأي ذوي رأينا ولا من ذوي الأحلام منا، بل كنا له كارهين، ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث لنا بأصحابنا الذين أسرتهم ـ وكان حراس المعسكر الإسلامي قد أسروا دفعةً ثانيةً ممن حاولوا الإغارة على معسكر المسلمين. فقال النبي ﷺ: إني غير مرسلهم حتى تُرسل أصحابي. قال سهيل: أنصفتنا! ثم بعث إلى قريش الشتيم بن عبد مناف التيمي، طالباً منهم إرسال أصحاب رسول الله ﷺ، فبعثَت قريشُ بمن كان عندها من المسلمين، وكان عددهم أحد عشر رجلاً، ثم أطلَق رسولُ الله ﷺ، سراح أصحابهم، وكان من بينهم عمرو بن أبي سفيان بن حرب) [٣].

مرحلة المفاوضات:

لقد بدأ الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح، وذلك بعد رجوع عثمان بن عفان وأصحابه سالمين، وقد استعرض الفريقان النقاط التي

---

(١) هو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن عامر بن لؤي القرشي العامري يكنى أبا محمد. وهو من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم، وهو من النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم، وممن دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال والله لقد همت بالإسلام غير مرة، وما كان يقومني إلاَّ أن يقال: تدع دين أبائك لدين محدث. شهد هذا الصحابي حنيناً والطائف ومات بالمدينة. (أسد الغابة جـ٢ ص ٦٧).

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص ٦٠٥. لقد جرى ترجمة سهيل بن عمرو في الباب الأول ومكرز بن حفص في الباب الثاني من هذا الكتاب. راجع ص ٦٣ وص ١٠٣.

(٣) مغازي الواقدي جـ ٢ ص ٦٠٤.

يجب أن تتضمنها معاهدة الصلح، واستعرضا في مباحثاتهما مختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما.

هذا وقد اتفق الفريقان من حيث المبدأ على بعض النقاط، واختلفا على البعض الآخر، وقد طال البحثُ والجدلُ والأخذُ والرد حول هذه البنود. وقد ذكر الواقدي عن أم عمارة من رواية الحارث بن عبدالله بن كعب أنها قالت: (إني لأنظر إلى رسول الله ﷺ جالساً يومئذ متربعاً، وأن عباد بن بشر وسلمة بن أسلم بن جريش مقنّعان بالحديد، قائمان على رأس رسول الله ﷺ، إذ رفع سهيل بن عمرو صوته، قالا: اخفض صوتَك عند رسول الله ﷺ، وسهيل بارك على ركبتيه، رافع صوته كأني أنظر إلى علم[1] في شفتيه، وإلى أنيابه، وأن المسلمين لحول رسول الله ﷺ، وهم جلوس)[2].

هذا وبعد هذه المراجعات وارتفاع الأصوات وانخفاضها، تقاربت وجهات النظر بين الفريقين المتفاوضين، ثم التأم الأمر، وتم الاتفاق على النقاط الرئيسية لهذه المعاهدة.

وتتضمن هذه النقاط:

١ ـ **أن يرجع رسول الله ﷺ** بأصحابه عن مكة هذه السنة، على أن يعود إليها في العام القادم.

٢ ـ **وأن تضع الحربُ أوزارها** بين الفريقين لمدة عشر سنوات يأمن فيها كل طرف الطرف الآخر.

٣ ـ **والنقطة الثالثة هي**: إنه من يأت النبي ﷺ مسلماً بدون علم أهله فإن عليه أن يرده، وإنه من يأتي قريشاً مرتداً عن الإسلام، فإن ليس للمسلمين الحق بالمطالبة به أو رده إليهم. ولم يبق إلاّ الكتاب.

---

(١) علم: علامة. الشق في الشفة العليا.

(٢) مغازي الواقدي جـ ٢ ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦.

لقد اعتبر المسلمون وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، أن في هذه الشروط ظلماً وإجحافاً بحقهم، واشتد الكربُ على المسلمين الذين كانوا لا يشكون في دخول الحرم الشريف بمكة، وأداء العمرة للرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ، وهو بالمدينة. ولم يكن عمر بن الخطاب غاضباً وحده لشروط القرشيين الجائرة في هذا الصلح، بل كان أكثر الصحابة متألمين. ولقد ذكر أكثر من واحد من أصحاب السير[1]: (أنه بينما كانت الإجراءات تتخذ لتسجيل هذه المعاهدة التي تم الاتفاق عليه، إذا بعمر بن الخطاب يأتي إلى رسول الله ﷺ، معلناً معارضته، وهو في حالة من الكرب والانفعال، يشاركهُ في هذه المعارضة بعض المسلمين. فقد قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ، يا رسولَ الله، ألست برسول الله؟ قال: بلى! قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فرد النبي ﷺ على استجوابات عمر بن الخطاب الشديدة هذه قائلاً: «في غاية من اليقين والحكمة والحلم، أنا عبدالله ورسوله، لن أخالفَ أمرَه ولن يضيِّعَني».).

والجدير بالذكر هنا، أن رسول الله ﷺ كان في كل أُموره العسكرية والسلمية، يشاور أصحابه، إلاَّ في هذه المعاهدة، لأنه مأمور بها من عند ربه. وكان بداية هذا الأمر هو الإشارة الإلّهية التي تلقاها رسول الله ﷺ في حادثة برك الناقة.

فعندما انتهى النبي ﷺ، ومندوب قريش سهيل بن عمرو، من المفاوضات التي انتهت بالاتفاق على بنود الصلح، ولم يبق سوى تسجيل الوثائق الخاصة بهذه البنود والمصادقة والتوقيع عليها، إذا بأحد الشباب المسلم من المضطهدين في مكة، يطلُعُ على المسلمين، وهو يرسِفُ في قيوده، طالباً من المسلمين حمايته من المشركين. وقبوله بالانضمام إليهم، وقد فر بدينه من التعذيب والاضطهاد الذي لحق به على أيدي المشركين

---

(١) مغازي الواقدي جـ٢ ص ٦٠٦ وابن هشام جـ٣ ص ٣٦٦ وتاريخ الطبري جـ٢ ص ٦٣٤.

بمكة. وقد تمكن هذا الشاب المؤمن الصابر من الوصول إلى معسكر المسلمين، والاحتماء بهم، حيث وصل إلى حيث يجلس رسول الله ﷺ، مع الوفد القرشي المفاوض.

وكان مما زاد الأمر تعقيداً، وكاد يؤدي إلى نسف اتفاقية الصلح، والعودة بالأزمة الخطيرة إلى أشد مما كانت عليه، قبل الاتفاق، هو أن هذا الشاب المؤمن المكنّى بأبي جندل، كان ابن رئيس وفد قريش المفاوض، سهيلِ بن عمرو، الذي لم يكد يرى ابنَه المسلم ـ أبا جندل ـ حتى استشاط غضباً، ونهض من مجلس النبي ﷺ. ثم لطمَهُ على وجهه، وأخذ يجرُه بتلابيبه. ويدفع به أمامَه ليعيدَه إلى معسكر المشركين تمهيداً لإعادته إلى سجنه بمكة، ثم قال للنبي ﷺ: يا محمد قد لجت[1] القضية بيني وبينك، قبل أن يأتيك هذا، قال له رسول الله ﷺ، صدقت، وأخذ يشد بابنه بقوة ليرده إلى قريش، وأخذ أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟!! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، من غم، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وأنّا لا نغدر بهم)[2].

وقد اقتنع المسلم الصابر «أبو جندل» كل الاقتناع بما قاله له النبي ﷺ، فأطاع أمرَ رسوله الكريم واستسلم لأبيه، وكله ثقة واطمئنان بأن الله سيجعل له ولإخوانه المستضعفين من المسلمين في مكة مخرجاً. وعاد الشابُ المؤمن الصابر إلى سجنه الرهيب بمكة، وهو قرير العين بالبشرى التي بشرّه بها نبيه، بأن الله سبحانه وتعالى سيجعلَ له، ولمن معه من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، وفعلاً لم تمض سنة على مأساة أبي جندل

---

(١) لجت القضية: انعقدت وانتهى أمرها وتمت.

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٦٧ والسيرة الحلبية جـ ٢ ص ١٤٦. ومغازي الواقدي جـ ٢ ص ٦٠٨.

المؤلمة في الحديبية حتى كتَبَ الله له الخلاص، ولسبعين من إخوانه المستضعفينَ في مكة، إذ تمكنوا جميعاً من الهرب من سجون الشرك، وكونوا لهم تجمعاً وأنشأوا لهم مقراً ومركزاً، تجمعوا فيه في منطقة تسمى - العيص - على الساحل وعلى طريق قوافل المشركين، بين مكة والشام، يؤذون قريشَ في تجارتها ويأخذونَ منها ما يشاؤون، دون أن يرتبطوا بشيء من بنود معاهدة الحديبية، مما سيأتي ذكرهُ في الفصول القادمة إن شاء الله.

الخلاف حول صيغة المعاهدة:

عاد الوفدان الإسلامي برياسة الرسول الكريم ﷺ، والقرشي برياسة سهيل بن عمرو إلى الاجتماع من جديد - بعد الازمة التي رافقت حضور أبي جندل والتي كانت ستؤدي إلى مأزق خطير يسد الطريقَ أمام كتابة معاهدة الصلح، لولا حكمة النبي ﷺ، وقد عاد لوفدان من جديد لوضع الصيغة النهائية المفصلة للصلح الذي اتفق الوفدان، من حيث المبدأ على وضع خطوطه العريضة، وقواعده الرئيسية لكتابته والتصديق عليه ووضعه موضع التنفيذ.

ولدى الشروع في وضع الصيغة النهائية لمعاهدة وكتابتها لتكون نافذة المفعول رسمياً، حدث خلاف بين الوفدين على بعض النقاط، كاد أن يعثّر سيرَ هذه الاتفاقية، فعندما شرع النبي ﷺ في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها، أمر الكاتب، وهو الإمام عليّ بن أبي طالب، بأن يبدأ المعاهدة بكلمة «بسم الله الرحمن الرحيم»، وهنا اعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلاً: لا أعرف الرحمن، اكتب «باسمك اللهم»، فضج الصحابة على هذا الاعتراض، قائلين: هو الرحمن، ولا نكتب إلاّ الرحمن. ولكن النبي ﷺ تمشياً مع سياسة الحكمة والمرونة والحلم، قال للكاتب: أكتب «باسمك اللهم»[1]، واستمرَّ في إملاء صيغة المعاهدة هذه،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٦٦ ومغازي الواقدي جـ٢ ص ٦١٠ وتاريخ الطبري جـ٢ ص ٦٣٤ والسيرة الحلبية جـ٢ ص ١٤٣.

فأمر الكاتب أن يكتبَ (هذا ما اصطلح عليه رسول الله)، وقبل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشي على كلمة رسول الله قائلاً: لو أعلمُ أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبدالله؟ فقد ظلمناك إن كتبتَ رسول، وما منعناك أن تطوفَ ببيت الله، ولو شهدتُ أنك رسولٌ لم أُقاتلك، ولكن أكتب اسمَك واسمَ أبيك)[1]. وعندها هاج المسلمونَ هياجاً شديداً، وارتفعت أصواتُهم بالاحتجاج الشديد، وأصروا على إبقاء كلمةِ رسول الله في نص وثيقة المعاهدة، ولكن الرسول الأعظم بحكمته وتسامحه وبعد نظره، حسم الخلاف وأمر الكاتب بأن يشطب كلمة رسول الله من الوثيقة، فالتزم الصحابة الصمت والهدوء. وبهذا فقد انتهت آخرُ مرحلة من مراحل هذا النزاع الخطير وكُتبت آلمعاهدة من نسختين، وتم التوقيعُ والإشهاد عليها من الجانبين.

٢ ـ كتاب الصلح:

تعريف الصلح[2]: السِلمُ تصالحُ القوم بينهم، وأصلحَ الشيءُ بعد فساده.

والصلحُ شرعاً: هو عقدٌ يُنهي الخصومة بين المتخاصمين.

النص الكامل لكتاب الصلح، حسبما جاء في رواية بن هشام والواقدي:

(باسمك اللهمُ، هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبدالله سهيلَ بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمنُ فيهن الناس، ويكفُ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردَّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه، وإن

---

(١) جوامع السيرة: ص ٢٠٩. وابن هشام السيرة النبوية جـ٣ ص ٣٦٦. والواقدي جـ٢ ص ٦١٠.

(٢) ابن منظور لسان العرب ـ جـ٢ ص ٥١٧. دار صادر بيروت.

بيننا عينةٌ مكفوفة[1]، وإنه لا إسلال ولا إغلال[2]، وإنه من أحبَّ أن يدخلَ في عقدِ محمد وعهدِه دخل فيه، ومن أحب أز يدخل في عقد قريش وعهدِهم دخل فيه. فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عنا، عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها)[3].

هذا وبعد الانتهاء من كتابة وثيقة الصلح التاريخية هذه، تم توقيعها من قبل النبي ﷺ، وسهيل بن عمرو، وبهذا تكون قد اكتسبت الصفة الرسمية وتمت المصادقة النهائية عليها بذلك.

وقد ذكر الواقدي أن عدداً من الشهود، شهدوا على هذا الكتاب فقال: (استدعي تسعة من الشهود ليشهدوا على هذا الكتاب. وكان سبعةٌ من هؤلاء الشهود من المسلمين، وإثنان من المشركين:

أ ـ شهود المسلمين، وهم على التوالي كما ذكرهم الواقدي:

١ ـ أبو بكر الصديق بن أبي قحافة.

٢ ـ عمر بن الخطاب.

٣ ـ عثمان بن عفان.

٤ ـ عبد الرحمن بن عوف.

٥ ـ سعد بن أبي وقاص.

٦ ـ أبو عبيدة بن الجراح.

٧ ـ محمد بن مسلمة.

---

(١) إن بيننا عينة مكفوفة: المراد إن تكف عنا ونكف عنك في المدة المذكورة في صيغة المعاهدة.

(٢) الإسلال: السرقة الخفية. والإغلال: الخيانة.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية. جـ٣ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧. والواقدي: المغازي جـ٢ ص ٦١١ ـ ٦١٢.

ب ـ أما شهود المشركين فهم:
١ ـ حويطب بن عبد العزى.
٢ ـ مكرز بن حفص الأخيف)[١].

وبالتوقيع على معاهدة الحديبية هذه، فقد تقشعت غيوم الحرب، وبدأ عهد جديد من الهدنة المؤقتة بين الفريقين.

خزاعة في عهد المسلمين؛ وبنو بكر في عهد قريش:

ومن الجدير بالذكر أن نتائج هذا الصلح لم تنحصر على المسلمين، وقريش فقط، بل إنها انعكست نتائجُه أيضاً على قبيلتين من أعظم القبائل العربية المجاورة للحرم، وهما (خزاعة وبنو بكر)، فقد أنهى هذا الصلح حالة الحرب القائمة بين هاتين القبيلتين لمدة عشر سنوات، وذلك بالتزامهما بمقررات هذا الصلح، بعد أن رضي كل منهما الدخولَ في أحد المعسكرين... وذلك نتيجة للتخيير الذي تضمنته بنود المعاهدة.

فقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد المسلمين، ودخلت قبيلة بنو بكر في عهد المشركين القرشيين.

وقد غضبت قريش على خزاعة، وأضمرت لها الشرَ لدخولها في عهد المسلمين الذين يفصلهم عن منازلها عدة مئات من الأميال، بينما تختلط منازل قريش بمنازل خزاعة لقرب تجاورهما معاً.

وبهذا فكان أول ثمار هذا الصلح، أن ربح المسلمون حليفاً قوياً له أهمية خاصة لقرب دياره من قريش.

ولقد كانت خزاعة تميل قلبياً مع المسلمين قبل هذا الصلح، وكان الإسلام قد انتشر بين أفرادها، ولكنها لم تستطع أن تحالف المسلمين قبل هذه الهدنة، لأن ذلك يهددُ مصالحها الدينية لوجود البيت الحرام بمكة التي

---

(١) الواقدي: المغازي جـ٢ ص ٦١٢ وابن سعد جـ٢ ص ١٠١ والسيرة الحلبية جـ٢ ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

تسيطر عليها قريش، بالإضافة إلى تهديد مصالحها لأخرى.

النبي ﷺ يتحلّلُ من إحرامه ويأمرُ المسلمينَ بالتحلل:

قال الواقدي: (فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب، وانطلق سهيل بن عمرو وأصحابهُ، قام إلى هَدْيه فنحره، ثم جلس فحلَق. فلما رأى أصحابه رضوان الله عليهم، ما فعل نبيهم صلوات الله وسلامهُ عليه، تواثبوا ينحرون ويحلِقون، وكان ﷺ مضطرباً[1] في الحل، وكان يصلي في الحرم، وحلَق يومئذ أناس، وقصّر آخرون، فدعى رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً، بقوله: يرحم الله المحلقين، وللمقصرين واحدة، ثم عاد رسول الله ﷺ بأصحابه إلى المدينة المنورة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت عليه سورة الفتح)[2].

٣ ـ سورة الفتح تذيع الحقيقة في وقتها (فتح إعلامي)[3]:

لقد كانت نفوس المؤمنين متهيأة، وكان الظرفُ الزمني مناسباً، والمكان ملائماً لمناخٍ إعلامي، تتضح فيه حقائق الأمور، وتتكشف عنه الملابسات الغامضة، بخصوص ما جرى من أمر هذه الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ، وهو في المدينة المنورة قبل قدومه بأصحابه إلى مكة

---

(١) مضطرباً: أي كانت أبنيته مضروبة في الحل وكان عليه الصلاة والسلام يصلي في الحرم.

(٢) مغازي الواقدي جـ ٢ ص ٦١٤.

(٣) ذكر ابن جرير الطبري من رواية مجمع بن جارية الأنصاري قال: (شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها، إذا الناس يهزون الأباعر، فقال بعض الناس لبعض ما للناس؟ قالوا أوحى إلى رسول الله ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً...﴾ فقال رجلٌ، أوَ فتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح»). جـ ٩ ص ٤٤ ـ ٤٥. دار الفكر بيروت. وجاء في كتاب تفسير «كلام المنان» جـ ٧ ص ٩١ قولُه إن هذا الفتحُ المذكور، هو صلح الحديبية وكذا في تفسير الرازي (المجلد ١٤ ص ٧١) قولُه المرادُ بالفتح: صلح الحديبية في أحد وجوه تفسير الآية. وقال الزمخشري في الكشاف جـ ٣ ص ٥٤٠. دار المعرفة نزلت السورةُ هذه حين رجوع الرسول ﷺ من الحديبية. وجاء كذا في تفسير ابن كثير للصابوني (المختصر) جـ ٣ ص ٣٤٠. وقد ذكر الشهيد سيدُ قطب في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٣١٢ ط. دار الشروق قريباً من كلام الطبري أعلاه.

المكرمة لأداء العمرة، وما رافق ذلك من أحداث وتطورات هامة وما انتهى إليه الأمر بتوقيع معاهدة الصلح مع قريش، وعودة الرسول ﷺ وأصحابه دون أن يتحقق لهم شيء مما أرادوا. وبينما كان المسلمون عائدين في طريقهم إلى المدينة المنورة، نزلَ وحيُ الله تبارك وتعالى حاملاً معه سورة الفتح إلى رسول الله ﷺ، لتُذيع الحقيقة في إبّانها، ولتعلن أن ما تم من أمر هذا الحدث العظيم من تاريخ الدعوة الإسلامية إنما هو فتحٌ عظيم، ورضى من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين الذين بايعوا نبيِّه الكريم تحت الشجرة.

لقد كان مطلعُ هذه السورة العظيمة بهذه الآيات الكريمات من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبيناً لِيغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقدَمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخرَ ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾[١].

بهذه الآيات الكريمات وبهذا التأييدُ العظيم، وبهذه البُشرى الرائعة جاء مطلع هذه السورة الكريمة موضحاً ومؤكداً جل وعلا أن هذا الحدث العظيم هو الفتح المُبين.

فقال ابن إسحاق من رواية الزهري: (فما فُتِحَ في الإسلام فتحٌ قبله كان أعظم منه)[٢].

وروى الإمام البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أُنزلَت عليَّ الليلة سورةٌ لهي أحبُ إليَّ مما طلُعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[٣].

والقرآنُ الكريم نزل منجماً على الأحداث كما هو معروف لدى المسلمين جميعاً.

---

(١) سورة الفتح الآيات: (١ ـ ٣).
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٧٢.
(٣) صحيح الإمام البخاري جـ ٥ ص ٦٧. كتاب المغازي. دار الفكر باب غزوة الحديبية.

يقول الشيخ الركابي: (ومن علوم القرآن الكريم، ما يُعرف بأسباب النزول. وإذاعة الحقيقة في إبّانها في الإعلام الإسلامي، تستمدُ من أسباب النزول معناها وعُمقِها. ففي الوقتِ المناسب كان القرآنُ يتنزَّلُ، فيتصلُ الآنَ بالحادث الذي تشكل اللحظة الراهنة وعاءهُ الزمني، فيُقرر الحقائق، ويعالجُ المشكلات ويجيب على الأسئلة)[1].

وقد أثنى اللهُ سبحانَه وتعالى في هذه السورة المباركة، على أصحابِ الشجرة الذين بايعوا النبيَ على الموت، وأعلن رضاءَه عنهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[2].

ثم أشادَ سبحانه وتعالى في هذه السورةِ الكريمة بعظمة عمل هؤلاء المؤمنين المبايعين لرسوله تحت الشجرة، معتبراً مبايعتَهم لرسوله ﷺ بمثابة المبايعة لله تعالى، وهذا يعتبرُ بالحقيقة أعلى مراتب التكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ إِنَمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ. يدُ اللهِ فوقَ أيديهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ، فإِنَمَا يَنْكُثُ علَىٰ نَفْسِهِ، وَمَنْ أوفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَليه اللَّهَ فَسَيُؤتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[3].

ثم ذكر جل وعلا في هذه السورة، أن من تخلَّف عن رسول الله ﷺ من الأعراب الذين كانوا يظنون بأن الرسول وأصحابه سوف لن يعودوا من هذه الرحلة سالمين، وقد تعذروا عن مرافقته بانشغالهم بأموالهم وأهليهم، فقد فضح الله نواياهم وكشفها لرسوله، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنَا أمْوالنا وأهلُونا فاسْتَغْفِرْ لَنَا، يَقُولُونَ بألسِنَتِهِمْ مَا ليسَ فِي قُلُوبِهِمْ، قُلْ فَمَنْ يَملِكُ لَكُمْ من الله شيئاً إن أرادَ بِكُمْ ضَراً، أو أرادَ بِكُم نَفعاً، بل كانَ اللهُ بما تَعملونَ خبيرا، بل ظَنَنْتُم أَن لَنْ يَنقَلِبَ

---

(1) الشيخ زين العابدين الركابي: المرجع السابق ص ٣٢٣.
(2) سورة الفتح الآية (١٨).
(3) سورة الفتح الآية (١٠).

الرسولُ والمُؤمِنُونَ إلى أَهليهِمْ أبداً وَزُيِنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُم، وَظَنَنْتُم ظَنَ السَوءِ وكُنْتُم قَوماً بوراً ﴾[1].

ثم أشار الله سبحانه وتعالى في هذه السورة إلى الحكمة الخفية التي غابت عن الكثيرين ممن كانوا معارضين لهذا الصلح، وهي أن هناك مسلمين من المستضعفين الذين كانوا يخفون إسلامهم عن المشركين في مكة، وإنه لو سلك النبي ﷺ طريقَ الحرب والتحم الجيشانِ لكان قد أُبيدَ الكثيرون من هؤلاء المسلمين المستضعفين على أيدي الجيش النبوي دونما علم منهم. قال تعالى: ﴿هُمُ الذينَ كَفروُا وَصَدُوكُم عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ والهَدْيَ مَعْكُوفاً أنْ يَبْلُغَ مَحِلَهُ وَلولاَ رِجالٌ مُؤمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤمِنَاتٍ لَمْ تعلَمُوهُمْ أَن تَطأُوهُم فَتُصِيبَكُم مِنْهُم مَعَرَةٌ بغَيرِ عِلْم، لِيُدخِلَ اللهُ فِي رَحمتِهِ مَن يَشَاءُ، لـو تَزَيَلُوا لَعَذَبْنَا الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم عَذاباً أليماً﴾[2].

كما أن الله سبحانه وتعالى قد أكد في هذه السورة للمسلمين، بأنهم لو قاتلوا المشركين من أهل مكة، لهزموهم ولتغلبوا عليهم، ولكن حكمة الله سبحانه وتعالى كانت تقتضي بأن لا يكون قتال، وقد بانت هذه الحكمة للمسلمين فيما بعد. فقال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الذينَ كَفَرُوا لَوَلَوْا الأدبَارَ، ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِياً ولا نَصِيراً، سُنَّةَ اللهِ التي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلُ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[3].

كما نَدّد القرآن في هذه السورة الكريمة بتعنُت قريش وتصلُف مندوبها في المفاوضة بروح جاهلية، عندما رفض كتابة اسم «الرحمن الرحيم» في افتتاحية وثيقة الصلح، وفي رفضِه كتابة «رسول الله»، بعد اسم النبي ﷺ، ثم أشاد القرآنُ في الوقت نفسه بحكمة النبي ﷺ، وصبره. وأثنى على المسلمين، لكبتهم لعواطفهم ولطاعتهم نبيهم الكريم، رغم

---

(١) سورة الفتح الآية (١).
(٢) سورة الفتح الآية (٢٥).
(٣) سورة الفتح الآيات: (٢٢ - ٢٣).

كُرههم لهذا الصلح، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الذِينَ كَفَـرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ، حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةَ، فَأَنزَلَه اللهُ سَكِينَتَهُ علىٰ رَسُولِهِ وَعلىٰ المُؤْمِنِينَ وألزَمَهُم كَلِمَةَ التَقْوَىٰ، وكانُوا أَحَقَّ بِهَا وأَهْلَهَـا، وَكَانَ اللهُ بِكُـلِ شَيءٍ عَلِيماً﴾[1] وكلمة التقوى: أي التوحيد: هي شهادة أن لا إلَه إلَّا الله وأن محمداً رسول الله[2].

ثم تأتي الإشارةُ إلى الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ في المـدينة المنورة، والتي جاء هو وأصحابهُ الكرامُ على أثرها من المدينة، مُحرمين لا يشكّون في دخول مكة. لتصديقهم لنبيهم الكريم في هذه الرؤيا المباركة، ولكنهم بعد توقيع الصلح، وتحللهم من الإحرام، وعودتهم إلى المدينة دون تحقيق ما جاءوا من أجله، فقد سألوا النبي ﷺ، عما أخبرَهم به من أمر هذه الرؤيا، وكيف أنهم عادوا دون تحقيقِها بدخول مكـة والطواف بالحرم، والتعريف، كما أخبرهم عليه الصلاة والسلام قبل مجيئهم من المدينة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُؤيَا بِالحَق لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إن شَـاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقصِرِينَ، لَا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعلَموا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[3] وبهذه البشارة العظيمة فقد تأكّد للمسلمين بأن ما تم عقده من أمرِ هذا الصلح إنما هو فتحٌ قد فتحه الله سبحانه على رسولـه الكريم وعلى الدعوة الإسـلامية بـالخير والفلاح.

---

(١) سورة الفتح الآية: (٢٦).

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٧١.

(٣) سورة الفتح الآية (٣٧).

الباب الثالث

النتائج والآثار الإعلامية لصلح الحديبية

الفصل الأول: الإعلام الشفهي.
الفصل الثاني: الإعلام التحريري.
الفصل الثالث: الأثر الإعلامي للغزوات والسرايا الحربية في نشر الدعوة وحمايتها.



الفصل الأوّل

الإعلام الشّفهي

عاد المسلمون إلى المدينة المنورة، بعد توقيع صلح الحديبية مع قريش ليستأنفوا مرحلةً من أعظم مراحل نشاطهم الإعلامي منذ عهد الرسالة، مستفيدين بذلك من فترة الاستقرار التي أتاحتها لهم هدنة الحديبية، حيث انتشر أفرادُ المجتمع المسلم يجوبون البلاد طولاً وعرضاً، وهم يحملون أمانة البلاغ المبين، مبتغين بذلك رضاء ربهم ومولاهم، في إيصال دعوة الحق والنور إلى الناس جميعاً، ما أمكنهم ذلك بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة. فازدهر بذلك النشاطُ الإعلاميّ الإسلامي، وتعددت مجالات الدعوة الإسلامية، واتسعت أفاقَها وأخذت هذه الدعوة النيرة تشقُ طريقها إلى الناس في البوادي والحضر، في المدن والقرى البعيدة والقريبة من مركز الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، وفي كل بقعة من الأرض وطئتها أقدامُهم، حتى أصبحت هذه الدعوةُ الإسلامية حديثَ الناس جميعاً، في كل مكان من أنحاء الجزيرة العربية إذ أنه يمكننا القول بأن المرحلة الناتجة عن صلح الحديبية تعتبر من أعظم المراحل التي حققت فيها الدعوةُ الإسلامية أضخمَ منجزاتها الإعلامية في مدة قصيرة من عمر هذه الدعوة في العهد النبوي الكريم، إذ كان من نتيجة ذلك النشاط الإعلامي الواسع، أن

تضاعف عدد المسلمين أضعافاً مضاعفةً عما كانوا عليه قبل هذا الصلح وانتشر الإسلامُ في كل بيت وفي كل بقعةٍ من بقاع الجزيرةِ العربيةِ بأكملها، شاملاً لجميع نواحي الحياة الخاصة والعامة للناس، ولعل هذه المكاسبَ الإعلامية الضخمة التي حققتها الدعوةُ الإسلامية من هذه الهدنة، قد جاءتَ من إتاحة الفرصة للمسلمين والمشركين في أن يتصلوا ببعضهم البعض، وأن يتحدثوا ويتناقشوا دون خوف ولا وجل، فكان من نتيجة هذا الاختلاط والاتصال، أن تمكن المسلمون من عرض تعاليمِ دينهم على الناس عن طريق المشافهة، والكلام المباشر والمناقشة وإسماعهم كلام الله والتحدث إليهم وجهاً لوجه، وهذا ما يتعارف عليه الإعلاميون اليوم بالاتصال الشفوي.

ولنستمع إلى ما يقوله ابن هشام وهو يتحدث عن أهمية صلح الحديبية موضحاً بذلك نتائجه التي أسفر عنها بزيادة عدد المسلمين ومن ثم فتح مكة المكرمة يقول ابن هشام من رواية الزهري: (فما فُتحَ في الإسلام فتحٌ قبله ـ يعني صلح الحديبية ـ كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس بعضَهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يُكَلَّمْ أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلاَّ دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثلُ من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر)[1]. وأضاف ابن هشام قائلاً: (والدليل على قول الزهري أن رسولَ الله ﷺ، خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج، بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف)[2].

والجدير بالذكر أنه لم يكن ابن هشام وحدَه هو الذي تحدث عن هذه الإنجازات الإعلامية الضخمة التي حققتها الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة، ولكن هناك الكثيرُ من المؤرخين وكتاب السير الذين تحدثوا عن هذا الموضوع، ولنستمع على سبيل المثال إلى ما يقوله ابن قيم الجوزية في هذا المجال، يقول ابن القيم: (إن هذه الهدنة كانت بين يدي الفتح

(١)(٢) ابن هشام السيرة النبوية ص ٣٧٢.

الأعظم، الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فكانت هذه الهدنة باباً له، ومفتاحاً ومؤذناً بين يديه، وهذه هي سنة الله في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً، بأن يوطيء لها بين يديه مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدل عليها، ومنها أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإن الناس أمن بعضهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار، وبادَؤوهم الدعوة وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الإسلام جَهرةً آمنين، وظهر من كان متخفياً بالإسلام، ودخل في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، لهذا أسماه الله فتحاً مبيناً، قال ابن قتيبة: قضينا قضاءً عظيماً. وقال مجاهدٌ هو ما قضى الله له بالحديبية)[1].

إن من يقرأ الروايتين السابقتين، رواية الزهري وابن القيم يجد بما لا يدع مجالاً للشك أن هذين الإمامين قد ربطا صلح الحديبية بفتح مكة المكرمة ربطاً وثيقاً بما يصعب معه الفصل أو لوقوف بينهما، حتى أنه يمكننا القول بأن القارىء وهو يقرأ في إحدى هاتين الروايتين أو كليهما، لا يشعر إلاَّ بأن حدثَ الحديبية وفتح مكة هما توأمان لا ينفصلان، لا في البداية ولا في النهاية وذلك مما دعاني إلى مراجعة هذا الموضوع بتعمُّق وإمعان وبكل جوانبه وفي معظم الكتب التي تعرضت للحديث عنه مبتدِئاً بالقرآن الكريم وكتبِ التفسير والحديث والسير والتراجم التي وقعت تحت يـدي.

وبعد هذه المراجعة الواسعة والدقيقة، اتضح لي، بما لا يقبلُ الشك والجدل، أن صلحَ الحديبية كان باباً لفتح مكة المكرمة، ومفتاحاً لـه، ومؤذِّناً بين يديه، والمنطلق الذي بدأ منه. وإذ هذين الحدثين مرتبطان ارتباطاً وثيقاً وأصيلاً بحيث لا يمكن الفصلُ بينهما، فإذا ما ذُكِر أحدُهما ذُكر الآخر، لأن أحدهما يعتبر مكملاً للآخر. و ن صلحَ الحديبية هو في

---

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد جـ ٢ ص ١٣٠ توزيع رياسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

الحقيقة المرآةُ التي ينظرُ منها المرء إلى فتح مكة وبالعكس، هذا بالإضافة إلى أن المرحلة بينهما تعتبر مرحلةً متصلة وغير منقطعة، الأمر الذي يصعب معه فصلها أو بترها بالوقوف عند صلح الحديبية.

وعلى هذا الأساس فإني أعتبر أن من واجب الأمانة العلمية عليَّ أن أوفي هذه الدرساة حقها حتى تتضح الصورة الحقيقية لهذا الحدث الهام من أحداث السيرة النبوية المطهرة، ذلك الحدثُ الذي لم يكتمل ولم تتضح معانيه إلا بنتائجه التابعة والمكملة له.

ورغبة مني في دعوة القارىء الكريم أن يشاركني، وأن يعيشَ معي جو هذه الدراسة، والخطوات التي سِرتُ بها، وما توصلت إليه من نتائج موثقة في إثبات هذه الحقيقة، فإني أبدأ باستعراض ما قرره القرآنُ الكريم حول هذه الحقيقة:

١ ـ لقد عبّر القرآن الكريم عن عملية ربطِ صلح الحديبية بفتح مكة المكرمة في الآيات الكريمةِ من سورة الفتح، تلك السورة التي نزلت على رسول الله ﷺ وهو في طريق عودته إلى المدينة المنورة بعد توقيع صلح الحديبية مع قريش، ولنستمع إلى قول الله سبحانَه وتعالى في افتتاحية هذه السورة الكريمة، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾[١]. يقول الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (إنها نزلت ليلاً بين مكة والمدينة في شأن الحديبية)[٢]. ويتحدثُ الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن موضحاً الصلة والترابط بين حدثي الحديبية وفتح مكة من خلال تفسيره لمعنى الفتح في هذه الآية الكريمة فيقول: (كان فتحاً من الله سبحانه وتعالى بالمغفرة الشاملة، وكان فتحاً في الدعوة من حيث ازدياد عدد المسلمين، وكان فتحاً

---

(١) سورة الفتح الآية (١) انظر تفسير هذه الآية في الباب الثاني، المبحث الثالث من هذا الكتاب تحت عنوان (سورة الفتح تذيع الحقيقية في وقتها) وقد جرى تفسير معظم آيات السورة.

(٢) انظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن جزء (١٦) ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ المكتبة العربية القاهرة ١٩٦٧ م.

في الأرض، إذ توجه المسلمون إلى تخليص الجزيرة العربية من بقايا الخطر اليهودي، وكان فتحاً في الموقف للمسلمين، فقد جاء هذا الفتح ليميز الشخصية للمسلمين، ويجعلهم في نظر العرب جميعاً نداً لقريش من حيث المكانة السياسية والعسكرية)[1].

ثم يتحدثُ صاحبُ الظلال بعد ذلك في تفسير آيات سورة الفتح الكريمة بقوله: (إن أقرب ما يناسب السياق في هذا المعنى أن يكونْ، هو فتح مكة بعد صلح الحديبية، وسبب هذا الصلح الذي لم يدم سوى عامين، ثم نقَضَه المشركون، ففتح الله مكة للمسلمين بلا قتال تقريباً، وهي التي استعصت عليهم من قبل وهاجمتهم في عقر دارهم وردتهم يوم الحديبية)[2].

هذا ويتحدثُ صاحبُ تفسير كلام المنان عن الآية الكريمة من مطلع سورة الفتح موضِحاً أن هذا الفتحُ هو صلح الحديبية وأن نتائجِ هذا الفتح جاءت باتساع دائرة الدعوة الإسلامية، ولنستمع إليه وهو يتحدثُ عن ذلك بقوله: (إن هذا الفتح هو صلح الحديبية وسبب ذلك، أنه لما أمنَّ الناسُ بعضهم بعضاً، اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجلٍ ودخل الناس في دين الله أفواجاً في تلك المدة، لذلك سماه الله فتحاً ووصفه بأنه فتح مبين، أي ظاهر جلي)[3].

ثم تأتي الآية القرآنية الكريمة من نفس السورة لتتحدث عن موضوع الحديبية بأكمله منذ بدايته بالرؤيا وحتى دخول المسلمين المسجد الحرام في عملية ربط متكاملة بين الأحداث من بدايتها وحتى نهايتها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

---

(١) الشهيد سيد قطب ـ ظلال القرآن جـ ٦ طبعة دار الشروق ١٣٩٧ هـ ص ٣٣١٦ نقلناها بتصرف.

(٢) الشهيد سيد قطب ـ المرجع السابق ص ٣٣٢٧.

(٣) عبد الرحيمن السعدي ـ تفسير كلام المنان جـ ٧ ص ٩١ ـ ٩٢ المؤسسة السعدية الرياض.

آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[1].

يقول الشهيدُ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: (إن هذه الرؤيا قد تحققت للمسلمين بعد عام من صلح الحديبية وهي إشارة إلى عمرة القضاء، ثم تحققت بصورة أكبر وأجلى بعد حوالي عامين من صلح الحديبية حينما تم للمسلمين فتح مكة المكرمة)[2].

وأعتقدُ أنّ القارىء الكريم يستطيع أن يرى بوضوح هذا الترابط بين أحداث صلح الحديبية وفتحِ مكة المكرمة الذي عبرت عنه هذه الآية الكريمة والآية التي سبقتها.

وبعد أن استعرضنا ما أكده القرآن الكريم لهذا الترابط الوثيق بين تلك الأحداث المتلاحقة والمتداخلة التي بدأت بصلح الحديبية وانتهت بفتح مكة المكرمة، فإننا نأتي الآن لنستعرضَ ما جاء في تأكيد هذه الصلة والترابط في حديث رسول الله ﷺ.

٢ ـ فقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه من رواية البراء بن عازب رضي الله عنه حول موضوع هذا الترابط بقوله: (تعدون أنتم الفتحَ فتح مكة وقد كان فتحُ مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعَة الرضوان يوم الحديبية)[3].

كذلك فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أَنس بن مالك رضي الله عنه قوله في تفسير الآية: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً قال: (الحديبية، فقال أصحابه هنيئاً مريئاً، فمالنا فأنزل الله: ﴿لِيُدْخِلَ المُؤمِنِينَ والمُؤمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحتِها الأنهارُ﴾[4].

---

(١) سورة الفتح الآية (٢٧).

(٢) الشهيد سيدُ قطب ـ المرجع السابق ص ٣٣٣٠.

(٣) صحيح البخاري جـ ٥ كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ص ٦٢ دار الفكر ـ دار الطباعة العامرة باستنبول.

(٤) المرجع السابق ص ٦٦.

هذا وقد ذكر الإمام مُسلم في صحيحه في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾، فقال: (وحدَّثنا نصرُ بن علي الجهضمي، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، أن أنس بن مالك حدثهم، قال: لما نزلت: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله إلى قوله: فوزاً عظيماً (٤٨/ الفتح/ الآيات ١ ـ ٥) مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر لهَدي بالحديبية. فقال: (لقد أنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً)[1].

وبهذه النصوص من أحاديث رسول الله ﷺ التي وردت في الصحيحين، يكون الترابطُ بين أحداث صلح الحديبية وفتح مكة المكرمة قد اتضح بصورة جلية في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله ﷺ.

وبعد أن استعرضنا ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من الصلة والترابط بين الحديبية وفتح مكة، نأتي الآن لنستعرضَ ما جاءَ حولَ هذا الموضوع في كتبِ السيرة النبوية المشرفة.

٣ ـ فبالإضافة إلى ما جاء في الروايتين السابقتين، الزهري وابن القيم[2] عن هذه الصلة وهذا الترابط تلك الروايتين اللتين جعلناهما أساساً لهذه الدراسة، فإنني أستعرضُ الآن ما ذكره الواقدي في كتاب المغازي عن هذا الموضوع.

يقول الواقدي: (فلما دخل رسولُ الله ﷺ عام القضية يعني عمرة القضاء بعد سنة من صلح الحديبية وحلَقَ رأسه قال: «هذا الذي وعدتكم». فلما كان يومُ الفتح أخذ المفتاح فقال: «ادُعوا لي عمر بن الخطاب! فقال: هذا الذي قلت لكم». قال: (أي رسول الله، ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية). وكان أبو بكر الصديق رضي الله

---

(١) صحيح مسلم مجلد ٣ كتاب الجهاد والسير حديث ٩٧ ص ١٤١٣: رئاسة إدارات البحوث العلمية.

(٢) انظر روايتي الزهري وابن القيم في الباب الثالث من هذا الكتاب ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

عنه يقول: «ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية»(١).

لا شك أن القارىء الكريم يستطيعُ أن يستنتجَ الصلة والترابط بين الأحداث في هذه الرواية أعلاه، فقد أشارت هذه الرواية إلى موقف المعارضين من المسلمين أثناء مفاوضات الصلح التي جرت بين النبي ﷺ وسهيل بن عمرو قبل توقيع صلح الحديبية، حينما وقفَ عمر بن الخطاب معارضاً ينظر إلى هذا الصلح بالعين البشرية المجردة القاصرة ويتساءل بقوله: علامَ نُعطي بالدنية في ديننا(٢)، فقد ذكّره النبي ﷺ بذلك الموقف، ولقد رأينا كيف أن هذه الرواية قد ربطت الأحداث قبل الصلح وفي عام القضية - أي عمرة القضاء - حتى فتح مكة المكرمة... فأي دليل أكبر من هذا الدليل على ترابط أحداث صلح الحديبية بفتح مكة المكرمة؟

ثم يتحدثُ الواقدي عن عظمة فتح الحديبية وكيف دخل في دين الإسلام أبطال قريش وصناديدُها في أثناء مدة الهدنة التي أعقبت الصلح، وحيث لا يتسع المجال إلى ذكر جميع هذه الروايات التي تؤكد الصلة والترابط بين هذه الأحداث، فإني أحيلُ القارىء الكريم إلى الكتب والمراجع التي ذكرت ذلك)(٣).

٤ - وهناك حادثة مهمة جداً لا يمكن اغفالُها أو تجاهلُها أو فصلُها، بأي حال من الأحوال، عن صلح الحديبية، وهذه الحادثةُ تتعلقُ بأحدِ بنود صلح الحديبية، ذلك البند الذي اشترطت فيه قريشٌ على المسلمين بعدم قبول من جاءَهم مسلماً دون إذن أهله وقد اعتبرت قريشاً ذلك البند أنه نصراً وكسباً سياسياً لها، في حين اعتبرهُ المسلمون ظلماً وجوراً وهزيمة سياسية لهم. وتأتي الأيام وتدور الأحداث، ويفر الصحابي المغوار أبو بصير

(١) محمد بن عمر الواقدي. المغازي، جـ٢ ص ٦٠٩ - ٦١٠. عالم الكتب بيروت.

(٢) انظر ص ١٨٣ من ها الكتاب تحت عنوان مرحلة المفاوضات - الباب الثاني.

(٣) أ - انظر مغازي الواقدي جـ٢ ص ٦٢٤ عالم الكتب بيروت.

ب - الروض الأنف للسهيلي جـ٦ ص ٤٦٨ دار الكتب الحديثة، شرح عبد الرحمن الوكيل.

جـ - تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٢ ص ٦٣٨ الطبعة الثانية دار المعارف - القاهرة.

من سجنه الرهيب بمكة المكرمة، ويلحقُ به عدد من الصحابة الفارين بدينهم من ظلم قريش وعدوانها ويتجمعوا في منطقة على ساحل البحر الأحمر تدعى (العيص) ويشكلوا من أنفسِهم فرقةً من المغاوير لينقضوا على قوافل قريش التجارية ويقُضّوا مضاجعها، وتأتي قريشُ المتغطرسة، ويقف زعماؤها أمام رسول الله ﷺ بذُلٍّ وصغار، يسألونه (الله وصلة الرحم) بأن يقبلَ بإلغاء ذلك الشرط ويحميها وتجارتِها من البلاء المبين الذي أنزله الصحابي الجليل أبو بصير وإخوانُه المؤمنين بها. وتأتي هذه الحادثة بعد زمن من صلح الحديبية لتربط الأحداث ولتبيّن للناس جميعاً أن صلح الحديبية بالذات من بين أحداث السيرة النبوية المطهرة، لم تظهر معانيه وغاياته في حينه... وكان لا بد من ذكر نتائجه المبينة والمميزة والمكملة له، لأن في فصلها وعدم بيانها بتراً للموضوع ونقصاً لا مبررَ له، وقد يصلُ إلى حد المخالفة الشرعية.

٥ ـ تحقيقُ الرؤيا: وتأتي حادثة الرؤيا المباركة التي أُخبرَ رسول الله ﷺ بواسطتها بأنه وأصحابه الكرام سيدخلون المسجد الحرام آمنين، وتبدأ بعد تلك الرؤيا فصول أحداث الحديبية حيث ذهب رسول الله ﷺ بأصحابه الكرام إلى مكة المكرمة لا يشُكُّون من أمر دخولهم المسجد الحرام شيئاً. وتجري الأحداثُ على ما رأينا ويتمُ توقيعُ صلح الحديبية دون أن يتحقق للمسلمين شيئاً مما أرادوا، ويستولي الغضبُ والحنقُ على الصحابة الكرام ويسألوا رسولهم ﷺ عن ذلك فيخبرهم بأنه سوف يتحقق لهم كل ما جاء في الرؤيا إن شاء الله. ويشتدُ الكرب على الصحابة، ويتثاقلوا في تنفيذ أوامر نبيهم صلوات الله وسلامه عليه للحلق والتحلل من الإحرام، ولأول مرة في تاريخهم على الإطلاق يتثاقلُ الصحابة الكرام عن تنفيذ أوامر نبيهم الكريم. ويدخلُ رسول الله ﷺ على زوجتِه رضوان الله عليه والكربُ بادٍ على وجهه الشريف، فيخبرها بما حصل، فتشير عليه بأن يبدأ بنفسِه وأن أصحابَه سيتبعوه عندئذ. وتذكُر الروايات[1] أنهم كادوا

(١) انظر مغازي الواقدي جزء ٢ ص ٦١٣ عالم الكتب بيروت.

يقتلـونَ أنفسهم أثناء حلق رؤوسهم من شدة ما أصابهم من كرب نتيجة لما حصل، ولقد رأينا كيف أن سيدِنَا عمر بن الخطاب كاد يفقدُ عقله من شدة ما أصابه وهو يأتي إلى رسول الله ﷺ تارة، وإلى أبي بكر تارة أخرى، متسـائلاً بقـوله: ألسنـا على الحق وهم على الباطـل؟ ألسنا بـالمؤمنين وهم بالكافرين؟ إلى أن انتهره سيدُنا أبو بكر صارخاً في وجهه: يا عُمَر إنه رسول الله... الزم غرزه[1]... فرجع الهدوء إلى نفسِ عمر وهو يقول: (وأنا أشهد كذلك بأنه رسول الله). إنه امتحان وأي امتحانَ من الله سبحانه إلى نفوس المؤمنين البشرية في ذلك الظرف العصيب، وكذلك فإنه عبرة وأي عبرة للأجيال المؤمنة وللنفس البشرية القاصرة.

ويأتي تحقيق هذه الرؤيا، كما أشارت إلى ذلك الآيةُ القرآنية في قول الله عز وجل: ﴿لقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقينَ رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾. وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في الصفحات السابقة.

ثم تأتي عمرة القضاء بعد عام كامل من توقيع صلح الحديبية ويتحققُ للمسلمين دخولُ المسجد الحرام وينادي رسول الله ﷺ قائلاً: أين عمرَ بن الخطاب، ويأتي بعدَ ذلك فتح مكة المكرمة ويكررُ رسول الله ﷺ نداءهُ وتذكيرَه لسيدنا عمر بن الخطاب كما جاء في الرؤيا من دخول المسجد الحرام. إن هذه الأحداث المتصلة والمتداخلة، لا يمكن قطعُها أو فصلُها عن بعضها لأن وضوحَ معانيها لا يظهرُ إلا بتكاملها وذكرها معاً في صورة كاملة. فهل بعد هذا دليلُ على ترابط الأحداث؟

٦ ـ وتمتدُ الأحداث المرتبطة بالحديبية حتى غزوة خيبر، تلك الغزوة التي جاءت بعد صلحِ الحديبية بحوالي شهرين، وهذه الغزوة، اقتصرت

---

(١) انظر الروض الأنف للسهيلي جـ ٦ ص ٤٩٠ والزم غرزه معناها: اعتلق به وامسكه، واتبع قوله وفعله ولا تخالفه، فاستعار له الغرز.

فقط على الصحابة من أهل الحديبية، إذ طلب الرسول ﷺ أن لا يشارك في هذه الغزوة إلا من شارك معه في الحديبية وأن هذا الأثر الحي قد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُم إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعكُم يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَبِعُونَا كَذَلِكُم قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[1].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (يعني مغانم خيبر، لأن الله عز وجل وعد أهل الحديبية فتح خيبر، وأنها لهم خاصة، من غاب منهم ومن حضر، ولم يغب منهم عنها غيرُ جابر بن عبدالله فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضر)[2].

٧ ـ نهاية صلح الحديبية بدايةٌ لفتح مكة المكرمة. لقد أجمع المؤرخون والمفسرون والمحدثون وكتاب السير، على أن السبب في فتح مكة المكرمة قد جاء في نقض معاهدة الحديبية من جانب قريش وحليفتها بكر، حينما اعتدتا على حَليفةِ المسلمين قبيلة خزاعة، ذلك مما أدى إلى وضع نهاية حقيقية لهذا الصلح الذي لم يدُمْ إلَّا إثنان وعشرين شهراً فقط وتم بعده فتحُ مكة المكرمة. وبهذا الفتح يكون قد انتهى صلحُ الحديبية نهائياً وقد انتهت معه مرحلة مليئة بالأحداث المتصلة والمتداخلة وبدأت مرحلة جديدة في حياة المسلمين بفتح مكة المكرمة.

وبعد أن تبين لنا الصلة الوثيقة والترابط الفعلي بين أحداث مرحلة الحديبية بكاملها، فإننا نأتي الآن لنلقي الضوء على الجوانب الإعلامية التي أشارت إليها كتب السيرة عن تلك الأحداث، وليكن مجال تحليلنا نفس الروايتين السابقتين رواية الزهري وابن القيم[3].

---

(١) سورة الفتح الآية (١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي جـ١٦ ص ٢٧٠ المكتبة العربية القاهرة ١٩٦٧.

(٣) انظر إلى نص الروايتين السابقتين في ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ من هذا الكتاب.

التحليل الإعلامي للروايتين:

بالنظر إلى أن هذه الرسالة تعتمد في منهجها الإعلامي أسلوب التحليل والاستنباط، وبما أن استنتاج الإعلام الإسلامي يأتي من تحليل الوقائع والأحداث التي أشارت إليها بعض الآيات القرآنية الكريمة، ووقائع السيرة النبوية المطهرة، فإننا من خلال تحليلنا للروايتين السابقتين، رواية الزهري وابن القيم، نستنتج أن مرحلة النشاط الإعلامي التي انبثقت عن صلح الحديبية قد امتازت بما يُعرفُ لدى الإعلاميين اليوم بالاتصال الشفوي. ويأتي هذا المفهوم من خلال أقوال العالمين الزهري وابن القيم في حديثهما عن اللقاء والمناقشة والتفاوض في الحديث... إلخ... ولنستمع إلى ما يقولانه حول هذا الموضوع. يقول ابن هشام من رواية الزهري (فما فتح في الإسلام فتح قبله ـ يعني صلح الحديبية ـ كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس. فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها، **وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام وأكثر**.

إننا نستنتج أن الحديث عن الإعلام يكمن في العبارات ذات اللون الأكثر سواداً حيث كل عبارة منها توحي إلى مفهوم إعلامي يندرج تحت نظام الاتصال الشفهي.

فالزهري يبدأ كلامه عن الإعلام بالحديث عن الأمان بقوله: (وأمن الناسُ بعضهم بعضاً). لا شك أن هذه البداية تعتبر ـ من وجهة النظر الإعلامية ـ ناجحة جداً، إذ لا بدّ من تحقيق الأمان أولاً، وإزالة الحواجز النفسية التي كانت قائمة بين الطرفين قبل صلح الحديبية لتمهيد السبيل وإيجاد الطمأنينة وتهيئة النفوس للدخول في عملية الاتصال التي تمثل الخطوة الطبيعية التالية للأمان.

ولو عُدنا إلى رواية ابن القيم فإننا نجده أيضاً قد بدأ الجانب الإعلامي منها بالحديث عن الأمان ولنستمع إلى ما يقوله في هذا الشأن

(فأمن الناس بعضهم بعضاً)، ثم يأتي بعد ذلك حديث الإمامين الزهري وابن القيم عن اللقاء، فالزهري يتحدث عن اللقاء بقوله: (والتقوا) وأما ابن القيم فيقول: (واختلط المسلمون بالكفر). لا شك أن هذا اللقاء وهذا الاختلاط يأتي من حيث هو خطوة طبيعية تعقب الأمان، وإن هذا اللقاء من شأنه أن يتيحَ الفرصةَ للمسلمين والكفار للدخول في عملية الكلام المباشر والمناقشة والأخذ والرد التي يسميها الإعلاميون اليوم بعملية الاتصال الشفهي الميدانية.

ثم تأتي الإشارة إلى هذا المفهوم في أقوال الإمامين عن هذا الموضوع، فالزهري يقول (فتفاوضوا في الحديث، والمنازعة) وكذلك ابن القيم يتحدث عن هذا الموضوع بنفس المفهوم، فيقول: (وبادِؤوهم الدعوة واسمعوهم القرآن، وناظِروهم على الإسلام جهرة آمنين).

لا شك أن هذا التفاوض في الحديث والمنازعة والأخذ والرد وإسماع القرآن، الذي كان يدور في المنطقة بشكل واسع ومكثف، يمثل حسب المفهوم الإعلامي، ذلك النشاط الفعلي والتطبيق العملي للاتصال الشفهي الميداني، الذي كانت تضجُّ فيه المنطقة في المرحلة التي أعقبت صلحَ الحديبية، والتي اعتُبِرت من أعظم وأخصب فترات النشاط الإعلامي في تاريخ الدعوة الإسلامية، ولنستمع إلى ما يقوله الإماميين الزهري وابن القيم في ختام عبارتيهما عن هذا الموضوع. يقول الزهري: (ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينِكَ السنتين مثلُ من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر). ثم يؤكدُ الزهري روايته هذه في عملية ربط واستدلال على عدد المسلمين أثناء صلحِ الحديبية وعددهم أثناء فتح مكة، فيقول: (إن رسول الله ﷺ خرج يوم الحديبية في ألفٍ وأربعمائة في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج بعد ذلك بسنتين بعشرة آلاف).

هذا ويتحدث ابن القيم بنفس الأسلوب والمفهوم عن المنجزات الإعلامية التي حققتها الدعوة الإسلامية من فتح الحديبية فيقول: (وظهر من كان مستخفياً بالإسلام، ودخل في مدة الهدنة من شاء الله له أن يدخل،

لهذا أسماه الله فتحاً مبيناً). ثم تكلم ابن القيم عن حقيقة هذا الفتح من الناحية اللغوية فقال: (حقيقة هذا الأمر: أن الفتح في اللغة، هو فتحُ المغلق، والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان بابُه مسدوداً مغلقاً، حتى فتحه الله سبحانه، وكان في الصورة الظاهرة ضيماً للمسلمين وفي الباطن عزاً ونصراً وفتحاً)[1].

لا شك أنه قد تبين لنا من خلال التحليل الإعلامي للروايتين التاريخيتين السابقتين رواية ابن القيم ورواية الزهري، أن النشاط الإعلامي الذي مارسه المسلمون في المرحلة التي أعقبت صلح الحديبية كان نشاطاً إعلامياً يندرج في تصنيفه الإعلامي تحت مفهوم الاتصال الشفوي، وذلك حسب التصنيف الحالي للقوانين الإعلامية.

وقبل أن أبدأ بدراسة الوسائل الإعلامية التي مارسَتْها الدعوةُ الإسلامية في تلك المرحلة، وما نتج عنها من مكاسب إعلامية ضخمة تمثلت بدخول الأعداد الكبيرة من الناس في دين الإسلام، وبالنظر للمكانة الهامة التي يتبوَّءها موضوع الاتصال في علم الإعلام، وبما أن هذه الرسالة هي رسالة إعلامية، فإني سأفرِدُ دراسة خاصة لموضوع الاتصال أبيّن من خلالها أهمية هذا الموضوع في معظم فروعه وجزئياته، وذلك لما لهذه الدراسة من علاقة مباشرة في موضوع بحثنا هذا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ا ـ تعريف الاتصال:

١ ـ المعنى اللغوي للاتصال: (الاتصال مشتقة من «وصل»: وصل يصل وصلا، أي وصل الشيء بالشيء وصلا وصله. ويقال وصل فلاناً وصلا، وصله: ضد هجره. بمعنى ضمه به، وأنهاه إليه، وأبلغه إياه. وفي التنزيل العزيز ﴿ إلاَّ الذِينَ يَصِلُونَ إلى قَوْمٍ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ ﴾[2][3].

---

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج ٢ ص ١٣٨. دار البحوث العلمية ـ الرياض.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٠.

(٣) المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٤٦ وما بعدها.

وفي قاموس محيط المحيط: (اتصل به اتصالاً: أي التأم ولم ينقطع، واتصل إليه: بلغ منتهاه)[1].

٢ ـ المعنى الاصطلاحي للاتصال: بالنظر لما للمعنى الاصطلاحي من تعاريف متعددة عند الإعلاميين، فإننا نورد أشهر هذه التعاريف على سبيل البحث والفائدة وبصورة مختصرة ما أمكن.

تعرف الدكتورة جيهان رشتي الاتصال فتقول: (إن كلمة الاتصال في أقدم معانيها تعني نقل الأفكار والمعلومات والاتجاهات من فرد لآخر، ولكن بعد ذلك أصبحت كلمة اتصال تعني أيضاً خطوط المواصلات أو قنوات تقوم بربط مكان بآخر)[2].

وفي تعريف آخر للدكتورة رشتي تتحدثُ فيه عن المعنى المشترك للاتصال في نقل المعلومات وتبادُل الآراء بين الأفراد، فتقول: (إن الاتصال هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي الرسالة «كائنات حية، أو بشر، أو آلات»، في مضامين اجتماعية معينة، وفي هذا التفاعل يتم نقلُ الأفكار والمعلومات «منبهات» بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى مجرد، أو واقع معين. فنحن حينما نتصل نحاول أن نُشرِكَ الآخرين ونشترك معهم في المعلومات والأفكار. فالاتصال إذن يقوم على مشاركة المعلومات والصور الذهنية والآراء)[3].

هذا ويتحدث الدكتور أحمد بدر، في تعريفه للاتصال من حيث المعنى الاصطلاحي فهو يرى، من وجهة نظره، أن الاتصال يكون مشتركاً بين المرسِل والمستقبل وبهذا فإنه يتفق مع الدكتورة رشتي في هذا المفهوم، فيقول: (إن كلمة اتصال معناها مشترك، فعندما نقوم بعملية اتصال، نحن نحاول أن نقيم رسالة مشتركة مع شخص أو جماعة أخرى. . .

---

(١) محيط المحيط ص ٩٧٢ طبعة مكتبة لبنان بيروت. بطرس البستاني.

(٢) د. جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق: ص ٥٣.

أي إننا نحاول أن نشترك سوياً في معلومات وأفكار، أو مواقف واحدة. وفي هذه اللحظة، أنا أحاول أن أنقل إليك فكرة معينة معناها أن الاتصال هو أن تجعل كلاً من المستقبل والمرسل يشتركان معاً في رسالة واحدة)[1].

أما الدكتور إبراهيم إمام، فإنه يختلف مع الدكتورة رشتي والدكتور أحمد بدر في تعريفه للمعنى الاصطلاحي للاتصال، فهو يرى أن الاتصال يكون من جانب واحد، ولنستمع إليه وهو يتحدث عن ذلك بقوله: (إن الاتصال بالجماهير يمكن تعريفه بأنه بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس، يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وينتشرون في مناطق متنوعة، ويقصد بالرسائل الواقعية بأنها مجموعة الأخبار والمعلومات والتعليمات التي تدور حول الأحداث، أما الرسائل الخيالية فهي القصص والتمثيليات والروايات وغيرها)[2].

ومن خلال تعريف الدكتور إمام هذا، للاتصال، نجد أنه يختلف مع الدكتورة رشتي، والدكتور بدر اللذين يذهبان إلى أن الاتصال هو الاشتراك والتفاعل بين المرسل والمستقبل في عملية واحدة مشتركة بينهما، أما الدكتور إمام فإنه كما رأينا من كلامه، يرى أن الاتصال يكون من جانب واحد، في بث رسائل على الناس، وبهذا فإن الدكتور إمام يكون قد حصر مفهوم الاتصال في معنى ضيق. فالاتصال حقيقة يشتمل على جميع العمليات التي يتم بمقتضاها نقلُ الأفكار وتبادُلُ الآراء بين الأفراد فيما بينهم في عمليات اتصالية مشتركة، وكذلك عن طريق الوسائل الإعلامية الأخرى، كالصحف والمجلات والراديو والتلفزيون إلى غير ذلك من الوسائل الأخرى، التي يكون فيها الاتصال من جانب واحد فقط.

هذا ويتحدث الدكتور أحمد الشايب، عن معنى الاتصال، من وجهة

---

(١) الدكتور أحمد بدر: كتاب الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ٥١. دار القلم.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ٢٨.

نظر النقد الأدبي والمعنى الاجتماعي موضحاً أن عملية الاتصال تكون مشتركة بحيث يتفاعل في إتمامها وإنجاحها كل من المرسِل والمستقبل، ضمن إطار العملية الإعلامية المشتركة فلنستمع إليه وهو يقول: (إن الاتصال، هو حقيقة أساسية للوجود الإنساني والعملية الاجتماعية، بل إن الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية، وهو الذي يجعل التفاعل بين الجنس البشري ممكناً. ويمكن الناس من أن يصبحوا كائنات اجتماعية. وفي عملية الاتصال تهدف إلى أحداث تجاوب مع الشخص المتصل به، وبعبارة أخرى نحاول أن نشاركه في استيعاب المعلومات، أو في نقل فكرة أو اتجاه)[1].

وهكذا نرى أن تعريف الدكتور أحمد الشايب جاء أيضاً مؤيداً ومعززاً لرأي الدكتور أحمد بدر والدكتوره جيهان رشتي، في تعريفهما للاتصال بأنه يقوم على عملية مشتركة بين المرسل والمستقبل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإعلام الإسلامي قد أخذ باعتباره، جميع هذه الأفكار التي تحدث عنها علماء الإعلام وذلك ضمن النشاطات التي قام بها أثناء عملياته الاتصالية الميدانية، بطريقة موضوعية وفعالة الأمر الذي أدى إلى نتائج إيجابية ممتازة في كافة الميادين. وسنبيّن ذلك إن شاء الله حينما نتحدث عن وسائل الاتصال الميدانية التي استخدمها الإسلام لنشر دعوته في فترة ما بعد الحديبية.

أساليب الاتصال:

بما أن اتصال الناس بعضهم ببعض من العوامل الأساسية والضرورية لاستقامة الحياة واستمرارها على وجه الأرض، وبالنظر إلى أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فإن عملية الاتصال تبدأ مع هذا الإنسان منذ ولادته، بالأسلوب المناسب الذي يتمكن من أدائه، إذ لا يستطيع هذا الإنسان الحياة دون أن يتصل بمن حوله من الناس.

---

(١) الدكتور أحمد الشايب: كتاب أصول النقد الأدبي (ط ٢) ص ٣٨.

والجدير بالذكر أن هناك أساليب عديدة ومتنوعة للاتصال، قد يصعب التفريق بينها أحياناً لتشابهها ولتقارب وظائفها.

وقد تطرق الدكتور محي الدين عبد الحليم، بالحديث عن هذا الموضوع، موضحاً هذه الأساليب بقوله: (لقد أصبح من الصعوبة وضع حدود واضحة تميز مختلف أساليب الاتصال نظراً للتداخل بين منهج عمل كل منها. أي أن الفروق بين هذه الأساليب ليست فروقاً عملية واضحة، ولكنها فروق فلسفية في أغلب الأحيان، فإذا قيل أن الإعلام عقلي في منهجه، والدعاية إنفعالية في أسلوبها، نجد أن الداعية يستخدم أحياناً أسلوب الفكر المنطقي، كما أن كثيراً من الأخبار والمعلومات التي تُعتَبر عناصر إعلامية يعزوها التفكير العقلي والتسلسل المنطقي، ويطغي عليها أحياناً أسلوب التهويل والضخامة المفتعلة)[1].

والجدير بالذكر أن الإعلام الإسلامي عمد منذ فجر الدعوة الإسلامية إلى استخدام كافة أساليب الاتصال التي تتفقُ مع مبادئه للتعبير عن أرائه وأهدافه، وبلوغ الغاية التي جاء من أجلها، وهي نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى الناس كافةً. ومن أهم هذه الأساليب أسلوب الاتصال الشفهي، بكافة أنواعه، وأشكاله. وقد استحدث الإسلام صوراً جديدةً أخرى للاتصال، وهذا حديث الدكتور عبد اللطيف حمزة يوضح لنا هذه الصور التي أوجدها الإسلام في مجال الاتصال الشفهي. يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (جاء الإسلام فاستحدث صوراً جديدة في مجال الإعلام والاتصال بالناس، ومن أوضح هذه الصور، القرآن الكريم الذي هو أكبر وسائل الإعلام في الإسلام، ثم الحديث الشريف. وقد اعتمدَتْ عليه جميعُ العصور الإسلامية من الناحية الدعائية، وكانت القدوة الحسنة من جانب الرسول ﷺ وكبار الصحابة، من أكبر العوامل في نشر الدين الجديد،

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم: كتاب الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ٨٩. مكتبة الخانجي بمصر.

وقد اعتمد الرسولُ ﷺ إلى جانب ذلك على وسيلة معروفة في علم الاتصال، وهي وسيلة الاتصال بنوعيه الشخصي و لجمعي)[1]. وهذا النوعُ من الاتصال يعرف في جملته بالاتصال الشفهي كذلك.

والجديرُ بالذكر أن الاتصالَ الشخصي والجمعي يقومان في مفهوميهما الأساسيين على عملية الاتصال الشفهي الذي يشكل العمودَ الفقري للوسيلة الإعلامية التي مارسها الإعلام الإسلامي لتبليغ الدعوة الإسلامية وتعليم الناس أمور دينهم. تقول الدكتورة جيهان رشتي: (ونحن حينما نتحدث عن الاتصال في الإطار الشخصي، نتحدث إلى حدّ ما عن الطريقة التي يتم بها تعليم الناس. فإذا أخذنا في الاعتبار أن التعليم (عملية)، يصبحُ في إمكاننا أن نحللَ أجزاءها ونتحدثَ عن عناصرها أو مكوناتها، وعن العلاقات بين تلك المكونات أو العناصر)[2].

وبالنظر إلى أن الدكتورة رشتي تتكلمُ عن عملية التعليم هذه من وجهة نظرها هي، وبما أن هناك أكثر من أسلوبٍ وأكثر من طريقة في وجهات النظر المختلفة التي ناقشها علماء اللغة وعلم النفس عن عملية التعليم وفروعها، وملحقاتها، فإننا والحالة هذه نتجنب الخوضَ في مثل هذه المواضيع، وبخاصةً فإن هذا البحث لا يتطلب بالضرورة استعراض ومناقشة هذه العمليات على نطاق واسع، وإنما نكتفي بالإشارة ضمنياً إلى أن الإسلام له نظريته الخاصة في التعليم، وأن مفهومَ هذه النظرية يتضحُ من خلال الدراسة التي طبقها الإسلام في مجال الاتصال الشفهي بنوعيه الشخصي والجمعي، ومن خلال مهمة المسجد في هذا الخصوص، مما سيأتي الحديثُ عنها ضمن إطار الاتصال الشفهي.

الاتصال الشفهي:

الاتصال الشفهي يعني الكلام المباشر بين شخص آخر أو بين

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ٣٤.

(٢) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ١٥٤.

شخص وعدة أشخاص، ويتضمن هذا الاتصال الحديث وجهاً لوجه عن طريق الكلمة المنطوقة بين المرسل والمستقبل، ويعتبرُ هذا النوعُ من أنواع الاتصال، من أقدم أوجه النشاط الإعلامي الإنساني وأنجحه أيضاً، في بلوغ الهدف عن طريق المواجهة بالكلمة المنطوقة والتأثير الشخصي المواجهي.

وتوضح هذا الموضوع، الدكتورة جيهان رشتي بقولها: (كان الاتصال الشفهي هو الرابطة مع الماضي، وكانت المعاني ذات المستويات المتعددة هي الطابع العام، وهي معاني كانت قريبة جداً من الواقع، فالكلمات لا تشير إلى الأشياء، بل هي أشياء، وكلمة الإنسان ملزمة، وذاكرة الإنسان قويةٌ جداً، والصور الذهنية التي تصاحبُ أفكاره سمعية، فهو يستخدِمُ كلَ حواسَه، ولكن في حدوث الصوت ونظراً لأن الناس في ظل هذا النظام كانوا يحصلون على معلوماتهم أساساً عن طريق الاستماع إليها من أناس آخرين، فقد اقترب الناسُ من بعضهم البعض، في شكل قبلي وقد فرض عليهم أسلوب حصولهم على المعلومات أن يؤمنوا بما يقوله الآخرون لهم بشكلٍ عام)[1].

وعلى هذا الأساس فإن الاتصال الشفوي المواجهي، هو أول ما عرف من أنواع الاتصال لدى الإنسان، وقد كان، وما زال هذا النوع من الاتصال ذا أثر بالغ وفعالية كبيرة في حياة الناس على مدى العصور، الأمر الذي مكنّه من التفوق على أي وسيلة اتصال أخرى من حيث النتائج الإيجابية، يقول الدكتور محي الدين عبد الحميد: (يعتبر الاتصال المواجهي أو الاتصال وجهاً لوجه بين المرسِل والمستقبل، هو الشكلُ الأول من أشكال الاتصال الإنساني، وظل هذا الشكلُ من أشكال الاتصال، أكثر الوسائل المستخدمة شيوعاً على مر التاريخ. بل لقد ظلت هذه الوسيلة هي الوسيلة الأساسية لاستمرار الحياة الإنسانية بوجه عام. وقد كان الإعلام بهذه الوسائل ذا فعالية كبيرة لإعطاء التعليمات والحث على العمل، كما

(١) دكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٣٧٥.

كان أكثرَ تأثيراً لأحداث التغيير في المواقف، وبقيت وسائلُ الاتصال الشفوي حتى بعد اختراع الكتابة والمطبعة، هي الوسائل التي ظل تفوقها ليس محل شك)[1].

أقسام الاتصال الشفهي

١ ـ الاتصال الشخصي:

الاتصالُ الشخصي هو الاتصال الذي يكون مباشراً بين الناس، وتكون طرق تأثيره من أقوى طرق التأثير الذاتي عند حدوث عملية الاتصال. وتوضّحُ لنا هذا المفهوم الدكتورة جيهان رشتي بقولها: (والاتصال بين فردين أو الاتصال الشخصي، هو العمليةُ التي تحدث يومياً، حينما نعطي ونتلقى أوامر، أو ندخل في مناقشة أو نتبادل التحيات)[2].

والجدير بالذكر أن تأثير الاتصال الشخصي المباشر في العمليات الإعلامية يكون أكثرُ فاعلية، وأشدُ قوة من وسائل الاتصال الأخرى التي تقوم على الاتصال من جانب واحد، كالصحافة والإذاعة والكتاب، أو التلفزيون. وهذا ما يؤكدهُ الدكتور عبد اللطيف حمزة بقوله: (إن وسيلة الاتصال الشخصي أو الاتصال المباشر تعتمد عليها الدعاية في كل شكل من أشكالها. والسبب في ذلك أن الناس يتأثرون عادةً بطريق الاتصال الشخصي أكثر مما يتأثرون بطريق الصحف أو الإذاعة أو التلفزيون، ذلك أنهم مع الشخص مضطرون إلى الاستماع لمن يحدثهم في موضوعات غير معلومة ولا محدودة لهم من قبل، ثم إنه في حالة الاتصال الشخصي يسهل على المتحدث أن يقدر ردّ الفعل المباشر على من يحدثهم، كما يسهل عليه أيضاً أن يكيف نفسه، وحديثه تبعاً لذلك، وهذا ما لا يتيسر بالطبع للصحيفة أو الراديو. ويضافُ إلى ذلك أنه من اليسير علينا دائماً أن نقتنع بوجهة نظر أناس بيننا وبينهم صلات، في حين. أنه ليس من السهل أن

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحميد: المرجع السابق ص ٥٦.

(٢) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ١٢١.

نقتنع بوجهة نظر الكتاب والمذيعين الذين قلّ أن نعـرفهم، كما نعـرف أصدقاءنا)[1].

هذا وتتحدث الدكتورة جيهان رشتي في استعراض طويل لها عن وسائل الاتصال بشكل عام، وعلى أن لكل من هذه الوسائل مقدرة خاصة على الإقناع تقل أو تكثر عن غيرها من الوسائل الأخرى. ومن ثم تنتهي إلى القول إلى أن نتائج الأبحاث المعمليـة والميدانية قد أفادت بأن وسيلة الاتصال المواجهي هي أكثر مقدرةً على الإقناع فتقول في هذا الموضوع: (تدُلُّ نسبةٌ كبيرة من الأبحاث الإعلامية على أن لكل وسيلة اتصال قدراً معيناً من الإقناع تزيدُ أو تقلُ عن غيرها من الوسائل الأخرى، كذلك تشيرُ غالبيةُ الأبحاث إلى أن الإمكانيات النسبية لمختلف الـوسائـل الإعلاميـة تختلف بشكل واضح من مهمة إقناعية إلى أُخرى - أي حسب الموضوع - ووفقاً للجمهور الذي توجه إليه. وقد أظهرت التجارب المعمليـة والميدانية أن الاتصال المواجهي أكثر مقدرة على الإقناع من الراديـو وإن الراديـو «المذياع» أكثر فاعليـة من المطبـوع، وأنه كلمـا زاد الطابـع الشخصي للوسيلة، زادت قدرتها على الإقناع)[2].

والجديرُ بالذكر أن الرسول الله ﷺ، قد حققَ فائدة عظيمة من خلال ممارسته لوسيلة الاتصال الشخصي في نشر الدعوة الإسلامية، وفي مجال التربية الإسلامية والتوجيه الديني، إذ أن الاتصال الشخصي يعتبرُ ذا فعالية كبرى في هذا المجال، ويتحدثُ الدكتور زيدان عبد الباقي موضحاً هذا الموضوع بقوله: (كان الاتصال الشخصي هو الأسلوبُ الذي سـار عليه الرسول ﷺ، وكـان الهدفُ من هـذا الاتصالُ هـو قلبُ وعقل الشخص «المرسل إليه» فإذا اكتسبهُ تمت مهمته، ثم يبدأ بعد ذلك عمله كمرب لا كملقن، والتربية الدينية تشمل كل جوانب الفرد)[3].

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص (١١٠).

(٢) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص (٣٦١).

(٣) الدكتور زيدان عبد الباقي: وسائل وأساليب الاتصال (ط) ١٩٧٩ ص ٢٧٦.

ولا شك أن اعتمادَ رسول الله ﷺ في نشر دعوته اعتماداً كبيراً على وسيلة الاتصال الشخصي المباشر، يأتي من كوز هذا النوع من أنواع الاتصال يعتبرُ من أقوى الوسائل الإعلامية تأثيراً وفعالية في مجال الاتصال بالناس في مواجهتهم بالحق وإظهار الحُجة وإقامة الدليل بالمنطق والبرهان، ولم يزلْ هذا النوع من أنواع الاتصال يؤدي دور، بنجاح وإيجابية طوال فترات الدعوة جميعها.

ولنستمع إلى الدكتور عبد اللطيف حمزة وهو يتحدث عن هذه الحقيقة بقوله: (كان الاتصالُ المباشر أولُ خطوة من خطوات العمل الإعلامي الكبير الذي قام به الرسول ﷺ، بل كاد من أخطر هذه الصور الإعلامية على الإطلاق. وقد التزم الرسول ﷺ بهذه الوسيلة الخطرة منذُ بدأ الدعوةَ إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى. ثم يتابع الدكتور عبد اللطيف حمزة حديثه عن موضوع الاتصال الشخصي وكيف أن الإسلام أعطى هذه الوسيلة أهمية كبرى في نشر دعوته، فيقول: (والحق أن اعتماد الرسول ﷺ على هذه الوسيطة من وسائط الإعلام - وهي وسيطة الاتصال الشخصي - اعتماداً كبيراً، يدل على حسن سياسته وعلى عظم حكمته في معالجة المواقف الحرجة، التي كانت تمر به في حياته)[1].

٢ ـ الاتصال الجمعي:

الاتصالُ الجمعي يقصد به الاتصال بالناس بشكل جماعي، وهذا النوع من أنواع الاتصال، أظهر ما يكون في الخطبة، وكذلك في الندوة، أو المحاضرة، حينما يجتمع الخطيبُ أو المتحدث إلى عدد من الناس يوجه كلامه إليهم.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (الاتصال الجمعي، هو المقصود به الخطابة والمؤتمرات والندوات والأماكن التي يجتمع فيها الناسُ يستمعون إلى محدث واحد أو عدد من المحدثين، وإن كانت الخُطبة أبرز ظواهر

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص ٧٨ ـ ٧٩.

الاتصال الجمعي بلا نزاع، وعليها، أي على الخطبة، اعتمد الرسول ﷺ اعتماداً كبيراً في نشر الدعوة، وفي شرح تعاليم الدين الإسلامي)[١].

وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع القولَ أن من أبرز النشاطات الإعلامية في مجال الاتصال الجمعي التي مارسها الإسلامُ في فترة ما بعد الحديبية، كانت الخطبة وبصورة خاصة الخطب النبوية.

ولا شك أن الخطبة تعتبر منذ أقدم العصور، من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس بشكل جماعي، لغرض التأثير في مشاعرهم وحملهم وإقناعهم بالأخذ بأفكار جديدة يقصدُها الخطيب ولتوجيه الناس من ناحية إلى أخرى، لترك أفكار قديمة، يقول الدكتور محي الدين: (تعتبرُ الخطابةَ هي إحدى الوسائل الإعلامية القديمة التي ازدهرت بين كثير من الأمم والحضارات القديمة، وكانت هذه الوسيلة تلعب دورَها المؤثر في حقل الإعلام بين عرب الجاهلية، وقد برز بين هؤلاء خطباء مبدعون، مثل قس بن ساعدة الأيادي الذي اشتهر بخطبه التي كانت تدعو إلى التأمل في الطبيعة، وإدراك الذات الإلٓهية من واقع الأمور الكونية، وقد سمعه الرسول ﷺ وأُعجِبَ به)[٢].

ومما يذكر أن الرسول ﷺ قد أدرك أهمية هذه الوسيلة الإعلامية النافعة والمؤثرة في مجال الاتصال الجمعي، ومدى قدرتها العظيمة في التأثير بالناس، فطوعها لخدمة الدعوة الإسلامية واستثمرها استثماراً عظيماً كي تلعب دوراً رائداً وفعالاً في نشر الإسلام والدفاع عنه، عن طريق تلك الوسيلة الإعلامية الهامة التي كان لها شأن كبير عند العرب قبل وبعد ظهور الإسلام.

الفرق بين الاتصال الشخصي والجمعي:

بالنظر إلى أن أساليب الاتصال الشخصي والجمعي يقومان على

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص ١٧٦.
(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم: المرجع السابق ص ١٤٩.

المشافهة أثناء عملية الاتصال، وبما أن عملية الاتصال يمكن أن تتم بين شخص وآخر، أو بين شخص وعدة أشخاص، فإنه من الصعوبة، كما يبدو لأول وهلة إيجادُ الفرق، بين هذين الأسلوبين.

ولكن هناك فرقاً جوهرياً واضحاً أشار إليه علماء الإعلام في هذا المجال، وهذا الفرق يكمنُ في عملية تبادلِ الأفكار والآراء بين المتحدثين، وهو ما يسميه الإعلاميون بعملية رجع الصدى.

ولا شك أن عملية الاتصال الجمعي تفقُدُ هذه الميزة، وذلك لأن الخطيب أو المحاضر يتحدث إلى جموع كبيرة من لناس.

ولنستمع إلى الدكتور أحمد بدر وهو يتحدث موضحاً هذه الفروق بقوله: (يختلف الاتصالُ الجماهيري في خصائص كثيرة عن عملية الاتصال الشخصي. وأهم هذه الخصائص هو أن الاتصال الشخصي يمتازُ بإمكانية تعديل الوسائل المتبادلة على ضوء رجع الصدى من المستقبل إلى المرسل. بينما تفقدُ عملية الاتصال الجماهيري هذه الميزة الكبيرة)[1].

وبعد هذا الاستعراض لموضوع الاتصال فإننا نأتي الآن لدراسة وسائل الاتصال الشفوي التي مارسها الإسلام في ميدان الدعوة إلى الله عزّ وجلّ وذلك من أجل معرفة هذه الوسائل التي استطاع بها الإسلام تحقيق تلك المنجزات الإعلامية الضخمة التي أحرزها في أعقاب صلح الحديبية، والتي تحدث عنها المؤرخون وكتّاب السِيَر في كثير من الإعجاب، كما مرّ معنا في روايتي الزهري وابن القيم السابقتين وغيرهما من الكتب الأخرى التي تحدثت عن هذا الموضوع.

وسائل الاتصال الشفوي الميدانية التي مارسها الإسلام في أعقاب صلح الحديبية (القرآن الكريم):

١ ـ القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قَد جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهدِي بِهِ اللهُ مَنْ

(١) الدكتور أحمد بدر: المرجع السابق ص ٥٢.

اتبَعَ رِضْوانَهَ سُبُلَ السلامِ ويُخرِجُهُم مِنَ الظُلُماتِ إلى النُورِ بإذنِهِ وَيَهدِيهم إلىٰ صِراطٍ مُستقيمٍ ﴾[1].

لقد حمل الإسلامُ منذ البداية طابع الدين الذي يقوم على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والسعي لجذب قلوب الناس وتحويلهم إليه، وحثهم على الدخول فيه. كل ذلك كان بطبيعة الحال بفعل القرآن الكريم الذي وضع الأساس المتين للمجتمع الإسلامي الجديد، ودعا إلى التآخي والتعاون بين كافة أفراد المجتمع المسلم.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن المسلمين في فترة ما بعد الحديبية كانوا قد تفرغوا للدعوة إلى الله، وأعدوا أنفسهم لحمل هذا الدين إلى الناس كافةً، بصورته الأصلية. لذا فإن الفرد المسلم كان في عطائه المستمر يحتاج أيضاً إلى تلقي مزيد من دفعات النور تقتبس وضاءه ساطعة من الينبوع الأصيل الزاخر الذي يبدد الظلمات التي أورثتها قرون الجاهلية الطويلة على نفوس الناس والتي صنعها مردة البشر وجنود الشيطان بتحريفهم للديانات السابقة. وقد جاء هذا الدين العظيم ممثلاً بكتاب الله القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي سنة النبيِ الكريم ﷺ ليفيض على الإنسانية من أنوار هدايته الربانية دعوة خيرةً، ومثلا عالية، وحضارة زاهرة، وأَمَدّ الحياة بروح جديدة قوامها التوحيد، ومبناها الإخلاص، وشعارها عقيدة والتزام، فالتأم الشمل المشتت، وتطهر الضمير الملوث، واكتشف الإنسان بوحي من هذه الدعوة وهَدْي من هذه الروح - جوهره النبيل، ومعدنه الأصيل، وفطرته السليمة - وأدرك أن له في هذا الوجود مهمة عظيمة، ورسالة جليلة، عليه أن يدأب لتحقيقها ويسعى بصبر وثبات لأدائها، ويعدَ نفسه إعداداً ملائماً للقيام بمهامها، وتلك هي الدعوة إلى الله، وإبلاغ رسالة الإسلام في الأرض، لإرشاد من ضل وغوى، وإنقاذ من انحرف وهوى، وتحرير من استعبدته الأهواء واستبدت به طواغيت الأرض، فشوهوا فطرته، وأفسدوا عقيدته، وأذلّوا كرامته.

---

(١) سورة المائدة: الآيات: (١٥ - ١٦).

والقرآن الكريم هو الذي يضيء الطريقَ أمام المؤمنين، ليستمدوا منه قوتهم وطاقتهم بالدعوة إلى الله سبحانه.

يقول محمد كمال الدين إمام: (لا شك أن الوقفة المتأنية أمام القرآن الكريم تجعل الإعلامي المسلم يستوعب الأسس النظرية لهذا الإعلام، وخاصة أن مهمة الرسل هي مهمة إعلامية. وكان هدفهم واحداً وإن تعددت رسائلهم وفقاً لنوع مجتمعاتهم وطبيعة رسالاتهم. وظروف زمانهم، ولكن نوحاً ولوطاً وإبراهيم وشعيبا وهودا وكافة الرسل حتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ، كانوا يدعون الناس كي يعبدوا الله ما لهم من إله غيره)[1].

والجدير بالذكر أن آيات الدعوة والإعلام والإبلاغ والاتصال، كثيرة في القرآن الكريم، بل أن لغته وأساليبه في التعبير تدل على أن اللغة القرآنية، هي اللغة النموذج في الإعلام، وتصبح دراسة القرآن الكريم فهماً واستيعاباً إحدى المهام الرئيسية للإعلام الإسلامي، وهي أمر أساسي لتكوين رجل الإعلام في المجتمع الإسلامي.

ثم يتحدث الأستاذ إمام في معرض كلامه في هذا الموضوع عن واجب الإعلام الإسلامي إزاء اللغة العربية، وما ينبغي عمله للمحافظة عليها وإعطائها حقها بالكلام، كما جاء بها القرآن الكريم، وهو الالتزام بالفصحى والابتعاد عن اللهجات العامية، لأن ذلك من شأنه أن يشوه لغة القرآن التي ينبغي أن تكون هي اللغة الحقيقية للإعلام الإسلامي، فيقول: (إن واجب الإعلام الإسلامي إزاء اللغة ينحصر في أمرين:

أ ـ استيحاءُ هذه اللغة والعلم بخصائص اللغة الإعلامية المؤثرة، كما تكشف عنها الدراسة اللغوية العميقة للنص القرآني.

ب ـ الدفاع عن اللغة العربية، وذلك بصد الهجمات، والالتزام بها في كل أجهزة الإعلام، لأن استخدام اللهجات المحلية في الإعلام

---

(١) محمد كمال الدين إمام: النظرة الإسلامية للإعلام ص ١١٤ ـ ١١٥. دار البحوث العلمية.

الإسلامي تضعف الصلة بين المسلمين ولغتهم من جهة، وبينهم وبين القرآن من جهة أخرى، كما أنها تقطع خطوط التواصل النفسي والحضاري بين المجتمعات الإسلامية)[1].

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم، قد حدّد معالم ومواصفات رجل الإعلام المسلم باعتباره حامل الرسالة الإسلامية، وهو الذي يصلُ بها إلى الناس، وتنعكس بها شخصيته عليهم، وهذه الميزات هي باختصار: الصدق، والصبر وحسن الخلق والسلوك والأمانة والمحافظة على الوقت والحكمة والتروي والاستقامة.

أساليب القرآن الإعلامية:

لقد استخدم القرآن الكريم أساليب إعلامية متعددة لإقناع المستقبلين للرسالة الإسلامية وتصديقها ودعوة الناس للعمل بمضمونها، ومن بين ما استخدمه القرآن الكريم من الأساليب للوصول بها إلى هذه الغايات:

١ ـ القصة: القصة في القرآن الكريم فن مستقل في ذاته، ويتميز هذا الفن القرآني بالواقعية المجردة، والمضمون المعبر، والنتيجة الهادفة في طريقة التوصيل، وأسلوب الأداء. وقد استخدمت القصة القرآنية في أهداف إعلامية كثيرة منها:

أ ـ الأخبار: كقصة آدم التي تتحدث عن نشأة الخلق وموضوع آدم النبي، واعتبار آدم من بين الكائنات، حيث أشار القرآن الكريم أن الله جعلهُ خليفةً في الأرض.

وهناك قصص إخبارية أخرى جاء بها القرآن الكريم، كقصة موسى وأخيه هارون وأمرهما مع فرعون، وقصة أهل الكهف، والمدة التي لبثوها، وقصة أصحاب الأخدود، والذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، إلى غير ذلك من القصص الإخبارية الأخرى.

---

(١) محمد كمال إمام: المرجع السابق ص ١١٥.

ب ـ **التربية**: لقد استخدم القرآن الكريم القصة لتربية النفوس وحملها على الالتزام بشرع الله القويم ويتضح ذلك من قصة يوسف عليه السلام مع إخواته، ومع امرأة العزيز.

جـ ـ **تثبيت المؤمنين**: وهي من أهم القصص التي تعرَّض لها القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين، وتسرية ما بهم من أحزان تجشموها في سبيل الدعوة إلى الله. قال تعالى في سورة هود: ﴿ وكُلًّا نَقُصُ عَليكَ مِن أنباءِ الرُسُلِ ما نُثَّبتُ بِهِ فُؤَادَكَ، وَجَاءَكَ فِي هَذِه الحَقُ وَموعِظَةٌ وَذِكْرىٰ لِلمُؤمِنينَ ﴾[1].

د ـ **التعليم**: كثيراً ما كانت القصة في القرآن الكريم تأتي كوسيلة لتعليم الناس أصولِ دينهم، وآداب الاستعانة بالله وآداب مخاطبة الرسول ﷺ. ويتضح ذلك في قصة ابني آدم، قابيل وهابيل، وقصة موسى مع ابنتي شُعَيب، وكيف أن إحداهما جاءته وهي تمشي على استيحاء، فمضى أمامها وهي من خلفه. وقصص القرآن كلها تعلّم الإنسان قواعد الدعوة والسلوك، وأصول الأخلاق وكيفية التعامل مع الناس.

٢ ـ **الأسلوب الإعلامي في الحوار**: لقد أورد القرآن الكريم أسلوبَ الحوارِ ليؤدّي وظائف إعلامية في أكثر من موضع، وأكثر من سورة.

ويتجلّى ذلك الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام، والنمرود، حول إثبات ربوبية الله جلَّ وعلا، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلم تَرَ إلىٰ الذِي حَاجَّ إبراهِيمَ في رَبِهِ، أَنْ أتَاهُ اللهُ المُلْكَ، إذ قَالَ إبراهِيمُ رَبيَّ الذي يُحيِي وَيُميتُ، قَالَ أنا أُحيِي وَأُميتُ، قَالَ إبراهِيمُ فإنَّ الَّلهَ يأتي بالشَمس مِنَ المَشْرِقِ فَأتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظَالِمينَ ﴾[2].

وكذلك الحوار الذي دار بين موسى وقومه، عندما قالوا له بأنهم لا

---

(١) سورة هود الآية (١٢٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

يستطيعون أن يدخلوا الأرض المقدسة ما دام فيها أجدادُ الفلسطينيين.

٣ ـ أسلوب التكرار لتثبيت المعنى: وهو أسلوب يستخدمه الإعلام كوسيلة في الإلحاح لعرض وجهة نظر معينة حتى يقنع المتلقي بها عن طريق سياسة كثرة الطرق.

يقول الدكتور زيدان عبد الباقي: (ولعل من أهم وظائف الإعلام، وظيفة تثبيت القِيم والمبادىء والاتجاهات والمحافظة عليها، وكلما كانت أنماط السلوك متفقة مع محتويات النسق القيمي، كان التوافق الاجتماعي سمةً من سِمات هذا المجتمع، وتعمل أجهزة الإعلام على تثبيت النسق القيمي في المجتمع على تناول هذه القيم بمختلف الوسائل الإعلامية... وهذا التكرار الإعلامي يُعرفُ في علم النفس بالتعزيز أو التدعيم أو التثبيت)[1].

والقصة في القرآن الكريم تحددُ معنى رسالة الإعلام على أنها وظيفة اجتماعية تدعو الناس كلهم إلى الخير والاستقامة، والابتعاد عن العادات الباطلة. يقول دكتور إبراهيم إمام: (القصة في القرآن الكريم هي أول قصة في لغتنا العربية عرفت الالتزام وحدَّدت رسالة الإعلام بمعناه الإنساني الذي يفهمُ من الإعلام الإسلامي، على أساس وظيفته الاجتماعية التي تدعوا الناس كلهم إلى الخير، وتبعدهم عمّا ألفوه من خلق وعادات وعقائد باطلة)[2].

ومما لا شك فيه أن التأثير الكبير الذي أحدثه القرآن الكريم في نفوس المؤمنين وخاصةً عندما أصبح كلام الله عزّ وجلّ يمتزج بأرواح المؤمنين ونفوسهم ودمائهم وعقولهم، لا يمكن أن يهملَ الحديث عنه أو إخفاء دوره الرائد في الدعوة إلى الله، وذلك عندما أخذت آيات الله

---

(١) الدكتور زيدان عبد الباقي وسائل وأساليب الاتصال، نقلناه ببعض التصرف ص ٣١٣ ـ ٣١٤. ط ١٩٧٩.

(٢) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١٣١.

الكريمة تتداول على ألسنة الناس، يتعبدون بتلاوتها، ويستفيدون منها في حياتهم اليومية، ولقد كان من نتيجة هذا التداول كتاب الله الكريم حفظاً وتفسيراً، وقصصاً تَحكي ما دار بين الأنبياء السابقين مع أقوامهم، أن انتشرت هذه المعاني العظيمة بين الناس في المدينة المنورة، حيث مركز الدعوة الإسلامية، وقد انتقلت بعد ذلك إلى خارج المدينة المنورة بوسائط كثيرة، منها القادمون والعائدون من وإلى المدينة المنورة كالتجار والمسافرين، والعيون التي كانت تبثها الأعداء لرصد حركات المسلمين، والبدو المنتقلين وغير ذلك من الوسائط الأخرى التي ساعدت على نقل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى الناس. هذا بالإضافة إلى الدعاة المسلمين الذين كانوا يتنقلون بين البوادي والقرى يحملون هذا الدين إلى الناس، وكذلك القرّاء الذين كان يرسلهم رسول الله ﷺ إلى القبائل التي تأتي إلى المدينة لتعلن إسلامها أمام رسول الله ﷺ. فقد كان النبي ﷺ يرسل معهم من يعلّمهم كتاب الله وسُنة نبيّه الكريم.

وبهذه الوسائل الإعلامية الشفوية جميعها وصل القرآن الكريم إلى الكثير من الناس وانتقلت أحكامُه ومعانيه وتلاوته إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية وخارجها من البلاد الأخرى.

والجدير بالذكر أن حركة الاتصالات الإعلامية في تلك الفترة التي تفرغ فيها الدعاة المسلمون للدعوة إلى الله سبحانه كانت حركة تتميز بالنشاط وتعتمد في مضمونها على الاتصال الشفهي، حيث كانت تجري الاتصالات بين مركز الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة وبقية المناطق الأخرى في مختلف أنحاء الجزيرة العربية وخارجها، تلك المناطق التي انتشر فيها الدعاةُ إلى الله، وذلك لتزويد هؤلاء الدعاة بالتعاليم القرآنية الجديدة التي كان يتنزل بها الوحي على رسول الله ﷺ تباعاً، وذلك كالآيات التشريعية، والآيات التي تفصل الأحكام، والآيات التي تنظم العلاقات بين المسلمين فيما بينهم من جهة، كالزواج والطلاق والميراث، والآيات التي تنظم علاقات المسلمين بالكفار من جهة أخرى. وكذلك

الآيات التي تتابعت في تحريم بعض العادات التي دأب على فعلِها الناس كالآيات التي نزلت في تحريم الخمر والربا، إلى غير ذلك من الأمور الأخرى.

والجدير بالذكر أن معظم آيات القرآن الكريم نزلت حسب المواقف والأحداث التي مرّت بها الدعوة الإسلامية، وذلك للاسترشاد بها على كل حادثة من هذه الحوادث وعلى كل موقف من هذه المواقف. وكانت بعض هذه الآيات القرآنية الكريمة تحملُ إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين بعض الأمور الغيبية، كالجنة والنار أو ما سيحدث لهم في المستقبل، وكذلك الآيات التي تقف على أخبار المشركين واليهود والمنافقين، وما كان يدور بينهم جميعاً من مؤامرات ضدّ النبي ﷺ والمسلمين.

ويجدُر بنا ونحن نتحدث عن هذا الجانب الإعلامي من كتاب الله عزّ وجلّ أن نتذكر بأن القرآن الكريم عندما ينفردُ بهذه الطريقة الخاصة في عرض الوقائع وتقرير الأحداث وتوضيح أحكام الله في التعليم والتوجيه والوعظ، فهو ليس كتاباً في التاريخ، وإن كان فيه من التاريخ مادة شديدة الخصوبة، كذلك فهو ليس كتاباً في الاجتماع أو الاقتصاد أو علم النفس أو التربية على الصورة التي نعرفُها لهذه العلوم وغيرها، وإن كانت فيه إشارات وتلميحات يمكن أن نستبين من خلالها وجهة النظر القرآنية في الكثير من القضايا التي تواجه المجتمع الإسلامي في جميع العصور من إعلام وغيره.

وعلى هذا الأساس فإن القرآن الكريم كتاب نزل بالحق لتحقيق هدف شامل هو الدعوة إلى الله، وتثبيت عقيدة التوحيد في الأرض، ووضع التشريعات التي تنتظم بها شؤون الدنيا والآخرة، سالكاً بذلك جملة من الوسائل منها الحوار المنطقي والقصة والموعظة الحسنة ومناقشة المواقف والقضايا التي تعرض للناس. قال تعالى: ﴿كِتابٌ أَنزَلَنـاهُ إليكَ مُبـارَكٌ لِيَدَّبَّروا آيَاتِهِ ولِيَتَذَكَّرَ أُولُـوا الألبابِ﴾[1]. وعلى هـذا يمكن القول بـأن

(١) سورة ص : الآية (٢٩).

الإعلام القرآني قد بدأ واضحَ الملامح والخطوط ابتداءً من الدعوة النبويّة الكريمة التي كلف الله بها نوحاً عليه السلام، وانتهت بمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (وجدير بالتنوية أن نقول أن القرآن نفسه كان ضرباً رائعاً من ضروب الإعلام على لسان رسول الإسلام محمد ﷺ، وإذا ذهبنا نسأل عن كلمة «قرآن» في اللغة وجدناها تحمل معنى «الإعلان» أو «التعريف والإعلام» برسالة السماء ونحو ذلك)[1] وأخيراً فإن هذه المعجزة العُظمى ستبقى تؤدي دورها كما أراد سبحانه لها ما بقيت السموات والأرض إن شاء الله.

٣ ـ الحديث الشريف:

يأتي حديث رسول الله ﷺ بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الأهمية الإعلامية في نشر الدعوة الإسلامية، وخاصة في فترة ما بعد الحديبية.

وتأتي هذه الأهمية من كون الرسول ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين جميعاً. وإن رسالته هي خاتمة لجميع الرسالات السماوية. لذا فهو المعلم الأول لهذه الأمة وهو الداعية الأول لهذا الدين الذي دخلت فيه هذه الأمة. وبديهي ـ على هذا الاعتبار ـ أن تكون لأحاديث النبي ﷺ الأثر الأكبر في التعليم والإرشاد والهداية والتبشير بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في مجالات الإعلام المختلفة وفوق ذلك كله فإن حديث رسول الله ﷺ، المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي في مجال العبادات والمعاملات. قال ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[2].

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق ص ٤٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه. كتاب السنة الباب في لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠٠ دار الفكربتعليق محي الدين عبد الحميد. والحديث من رواية المقدام بن معد يكرب وأخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٣١ والترمذي والدرامي وابن ماجة بنحوه وقال الشيخ ناصر الألباني بأنه صحيح.

وبهذا يعتبر حديث رسول الله ﷺ مكملاً للقرآن الكريم، مفسِّراً لآياته، ومفصِّلاً لأحكامه، ومن ذلك على سبيل المثال، ما جاء في كتاب الله الكريم في أمر الصلاة والزكاة. فقد قال سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم: ﴿ وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ﴾، دون تفصيل لكيفية إقامة الصلاة ولا لمقادير هذه الزكاة. لذا فقد كان النبي ﷺ يُعلِّم المسلمين، بالطريقة العملية، كيفية الصلاة بركوعها وسجودها وأركانها وشروطها وأعدادِها وكذلك مقادير الزكاة وكيفية الوضوء إلى غير ذلك من أمور الدين التي تحتاج إلى تفصيل.

والجديرُ بالذِكر أن المسلمين لم يكونوا ليتركوا مجالسة نبيّهم الكريم والاستماع إلى أحاديثه الشريفة. فقد كان الذي يذهب منهم إلى عمله، يأتي بعد أن ينتهي من عمله ليسأل الصحابة الذين رافقوا الرسول ﷺ عما قاله أو أقرّه أو فعله عليه الصلاة والسلام في الفترة التي كان غائباً فيها. وبهذه الطريقة كان ينتقل حديث رسول الله ﷺ إلى الناس، ويأخذ بالتداول داخل وخارج المدينة المنورة إلى الأماكن التي يسكنها المسلمون ليقفوا على ما نزل من التشريعات الجديدة التي نزل بها الوحي، وهذه الطريقة الإعلامية يُطلقُ عليها رجالُ الإعلام بطريقة الاتصال الشخصي المباشر ويعتبرونها أكثر الطرق فعالية وتأثيراً ومقدرة على نقل المعلومات وتداول الأخبار بين الناس، كما أشرنا إلى ذلك أثناء دراستنا لموضوع الاتصال الشخصي(١).

ولا شك أن مهمة الرسل الإعلامية هي مهمة ذات شقين:

أولهما: إبلاغ دعوة الله إلى الناس بطريقة الحكمة والموعظة الحسنة.

ثانيهما: بيان كلمات الله وتوضيحُها بالأسلوب الإسلامي الذي يقوم على الحكمة أيضاً.

---

(١) انظر ص ٢١٧ من هذا البحث.

والأول يرتبط عضوياً بالثاني، فعملية الاتصال بين الرسول ﷺ والناس لا تحققُ التأثيرَ المطلوبَ بمجرد الإبلاغ، وإنما ببيانه وإيضاحه حتى يتمكن المستقبل من فهم الرسالة الإعلامية.

ولقد كان المسجدُ النبويُّ الكريم وبيتُ النبوة، المركزين الرئيسيين للالتقاء المسلمين من داخل وخارج المدينة المنورة وذلك للتزود بالمعلومات والاستفسارات عن أمور الدين التي يبيّنها ويوضحها لهم رسول الله ﷺ. ومن هنا، فقد اكتسبت الأحاديثُ النبويةُ أهميةً بالغة بالنسبة للمسلمين جميعاً، الأمر الذي جعل قسماً من الصحابة الكرام يحفظونها عن ظهر قلب، وكان بعضهم يكتبها، ومن ثم يتداولونها بينهم، ويسترشدون بها في تفسير بعض الآيات القرآنية، وفي تفصيل المسائل الفقهية، وهناك أحاديث تعرف بالأحاديث القدسية، وهذه الأحاديث هي من عند الله عزّ وجلّ في معناها، ولكنها في ألفاظها من كلام النبي ﷺ، وتختلف عن القرآن الكريم بأنها لا يصحُ التعبدُ بتلاوتها.

ومن المعلوم أن مجموعة أحاديث رسول الله ﷺ يطلق عليها اصطلاح: «السنة النبوية المطهرة».

يقول الدكتور زيدان عبد الباقي: (إن لسنة هي ترجمة لدور الرسول ﷺ الإعلامي، فكل رسول مكلف بأن يوصل كلمات الله إلى البشر. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1]. والنبوة ـ كما قيل ـ سفارة بين الله عزّ وجلّ وبين ذوي العقول من خلقه لهدايتهم وتقويم سلوكهم وتوجيههم إلى ما فيه الخير والمصلحة لهم، وهي في نفس الوقت عمل إعلامي[2].

والحقيقة أن النشاطات الإعلامية الإسلامية في زمن النبي ﷺ لم تقتصر على التداول بالحديث الشريف وطرق انتقاله وسماعه ودراسته،

---

(١) سورة القصص آية ٥١.

(٢) د. زيدان عبد الباقي المرجع السابق ص ٢٧١ ط ١٩٧٩.

ولكن كانت هناك طرق إعلامية أخرى لا تنفصل بمدلولها العام عن الحديث النبوي الشريف، وهي طريقة الحوار المواجهي الذي كان يدور بين النبي ﷺ، وبين المشركين وغيرهم من المعاندين، والذي كان يدور على شكل مناظرات عامة أمام الناس، مما ساعد كثيراً في تنشيط الإعلام الإسلامي وأدى إلى نشر الدعوة الإسلامية بين الناس، ذلك الحوارُ الذي كان يبيّن فيه النبي ﷺ، المزايا العظيمة التي ينفرد بها الدين الإسلامي في شموله وسموه، وغاياته عن بقية الأديان التي حرَّفها أعداء الله، الأمر الذي ساعد كثيراً في توضيح الحقائق للناس ومن ثم دخولهم في الإسلام.

يقول كامل الكيلاني: (كان الرسول ﷺ يحاور المشركين، ويجيب على أسئلة أهل الكتاب، ويستخدم معهم كل وسائل فن الإقناع لدعوتهم إلى الإسلام، وتفيض كتب السيرة بأخبار هذا الحوار وهذه المناظرات. وظل هذا الأسلوب مستخدماً كوسيلة إعلامية في عصور الحضارة الإسلامية المختلفة)[1].

وعلى ضوء ما تقدم، فإننا نستطيع القول، بأن حديث رسول الله ﷺ قد ساهم بطرق كثيرة ومتعددة ـ مساهمة فعالة ـ في تنشيط حركة الدعوة الإسلامية وتوسيع مجالات العمل الإعلامي الإسلامي، وخاصةً في الفترة التي أعقبت هدنة الحديبية، مما كان له أكبر الأثر في زيادة عدد المسلمين وإنعاش الدعوة الإسلامية.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (إننا يجب أن نقول في هذا الفصل أن الأحاديث النبوية كانت تتمشى مع الدعوة الإسلامية ومع القرآن الكريم، وذلك في عهد الرسول ﷺ وفي عهود الخلفاء الراشدين، وإنها كانت قوةً هائلةً في نشر الدين الإسلامي، والعمل بالقرآن، وذلك على الوجه الذي لا نظير له في أية فترة أخرى من فترات الإسلام. ذلك أن الرسول ﷺ كان في جميع أحواله، وفي كل ما ينطق به من أقوال وأحاديث

(١) كامل الكيلاني: صور جديدة من الأدب العربي ص ١٨ ـ ١٣٦ ط ١٩٣٩.

يمثل القرآن الذي نزل عليه، وصدقت السيدة عائشة أُم المؤمنين حين سُئلت عن خلق الرسول، فقالت: كان خُلقُه القرآن)[1].

والجدير بالذكر أن بعض الأخبار التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بصورة مجملة والقصص الأخرى التي أخبر بها رسول الله ﷺ، كقصة الرجل الذي أدخله الله الجنة عندما سقى الكلب، هذه القصص التي كان رسول الله ﷺ يحدث أصحابه بها، كانت تتداول بين الناس بشكل مكثف مما ساعد على ظهور القصاص، الأمر الذي نعش الإعلام الإسلامي، والاتصالات الفردية والجماعية عن طريق تداول حديث رسول الله ﷺ بطريقة الاتصال الشفوي. ولا شك أن الحديث النبوي لا زال حتى الآن يشكل أوسع مادة للإعلام بين المسلمين. يقول أحمد أمين: (وبعد فقد كان للحديث سواء صحيحاً أو موضوعاً، أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي، فقد أقبل عليه الناس يتدارسونه، إقبالاً عظيماً، وكانت الحركة العلمية في الأمصار تكاد تدور عليه)[2].

وبذلك فإنه يمكن القول أن حديث رسول الله ﷺ كان له أكبر الأثر في تنشيط الإعلام والثقافة الإسلامية والتعليم، بعد القرآن الكريم، حيث أصبحت أخبار المسلمين في تلك الفترة القصيرة تغطي كافة أنحاء الجزيرة العربية، فهي الحديث اليومي للناس في نواديهم ومنتدياتهم وفي الأسواق والبيوت، يحصلون عليها ويتداولونها بينهم، فهي حديث الساعة للناس جميعاً في شكل إعلام يومي لهم، وهذا النوع من الإعلام يُعِّرفه الدكتور حمزة بقوله: (أما الإعلام اليومي فهو الإعلام الذي يحصل عليه كل مواطن في وطنه، أما عن طريق بيته أو عمله، أو في أثناء سيره في الطرقات الهامة، أو جلوسه في المنتديات والمجتمعات واختلاطه بالناس والأشياء

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٢) الأستاذ أحمد أمين فجر الإسلام ص ٢٧٦.

بطريق الوسائل الإعلامية الطبيعية التي تمثل البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها)[1].

٤ ـ القدوة الحسنة:

إن القدوة الحسنة في حدّ ذاتها تعتبر من أهم الوسائل الإعلامية التي تقوم على غريزة التقليد والمحاكاة في الإنسان، وهذه الوسيلة تلعب دوراً هاماً في الاستغناء عن بذل الجهود الإعلامية الكبيرة بهدف غرس فكرة ما أو الاقتناع برأي أو تعديل سلوك معين لدى الناس. قال تعالى: ﴿ لَقد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2].

ولقد كان الداعي الأول للإسلام محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، مضرب الأمثال في هذا الصدد، وإنه ليس من قبيل المبالغة القول بأن قوة تأثير شخصية الرسول محمد ﷺ على سلوك المسلمين وتصرفاتهم في جميع المواقف، هي عبارة عن شعور تلقائي طبيعي له بالغ الأهمية والأثر في التطلع نحو قدوة المسلمين الحسنة، محمد عليه الصلاة والسلام، سواء كان ذلك في عهد الرسول أو من بعده، ذلك أن علاقة الحب والإعجاب التي غرسها النبي ﷺ في قلوب أصحابه الكرام، انبعث أثرها ومداها في قلوب الأجيال الإسلامية المتتابعة عبر القرون.

ولقد كان عليه الصلاة والسلام به من الصفات النبيلة ما تفيض به كتب السيرة، فهو القدوة الحسنة للمسلمين جميعاً، وهو الصادق الأمين بين قومه قبل نزول الوحي، وهو الشجاع المقدام في الحروب والمعارك، وهو القدوة الحسنة في النبل والصبر والتسامح والعفو عند المقدرة، وفي الكرم وصلة الرحم والتقوى ومخافة الله، والوقوف عند حدوده قال تعالى وهو يصف نبيّه الكريم: ﴿ وإنَكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]. والحقيقة إننا لسنا هنا

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٣١. دار الفكر العربي.
(٢) سورة الأحزاب: الآية (٢١).
(٣) سورة القلم: الآية (٤).

في مجال تعداد صفات الخير التي كان يتمتع بها رسول الإنسانية جميعاً محمد ﷺ، ولكننا ننظر إلى القدوة الحسنة من خلال هذه الصفات التي كانت سبباً مباشراً في دخول الكثيرين في دين الإسلام، وبأنها وسيلة إعلامية ذات أثر فعّال. يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (إن رجال الإعلام الذين يقومون بتزويد الناس بالحقائق السليمة والمعلومات الصحيحة، ينظرون إلى القدوة الحسنة على أنها وسيلة من وسائل الإعلام تغني في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها، أو فكرة يدعون إليها أو عقيدة، أو سياسة جديدة ينشرونها ونحو ذلك وسنرى في تاريخ الإعلام في صور الإسلام أن الرسول ﷺ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم، كان من أنجح أساليبهم في نشر الدعوة الإسلامية أسلوب القدوة الحسنة)[1].

نهج أصحاب رسول الله ﷺ منهجه القويم، فكانوا القدوة الحسنة، التي نجم عنها توسيع نطاق الدعوة، وكثرة المعتنقين للإسلام إيماناً منهم بصدق هؤلاء الأصحاب، الذين يتمتعون بالأمانة والإخلاص ونقاء السرائر ورجاحة العقول. وقد نجح هؤلاء الأبرار الذين نهلوا من معين النبوة أشد النجاح في ممارسة الأساليب الإعلامية الإسلامية والتأثير في الناس. فكانوا بذلك الترجمة الحية المتحركة للمبادىء والمثل التي جاءت بها العقيدة الإسلامية، لأنهم آمنوا بها وفهموها ووعوا أبعادها الكبرى في الحياة، فلم يقفوا عند حدود معرفتها وتعلمها والتعمق في معناها، بل خطوا بها أشواطاً بعيدة في مضمار التبليغ والتطبيق والإعلام، فكانوا مشاعل الهداية التي أضاءت للبشر سبيل الرشاد، حيث حملوا دعوة الله سبحانه عبر الصحارى والقفار، ونشروا رايتها على كل أرض وطأتها أقدامهم، ودخل الناس بفضل من الله ثم بجهادهم وصدق دعوتهم، في دين الله أفواجاً، كل ذلك كان بفضل من الله وتوفيق منه عزّ وجلّ، وبفضل القيادة النبويّة الكريمة، تلك القدوة الحسنة التي صاغت أبناء هذه العقيدة الإسلامية صياغة فريدة،

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص ٦٥.

وربتهم تربية متكاملة، فكانوا صورة دعوتهم الحقة النيرة في فكرهم وسلوكهم وعملهم وجهادهم وإيجابيتهم.

وكانوا بهذه الصفات النبيلة يصدرون عن المدرسة النبويّة سمو الغاية ونبلِ الوسيلة، وقد توافرت فيهم شروط القدوة الحسنة التي أهلتهم تأهيلاً عالياً لحمل الرسالة ونشرها في آفاق المعمورة، وتحقَقَ بفضل الله عزّ وجلّ وبصدق إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله ذلك المدّ الإسلامي الكبير، الذي يعد بحق معجزة التاريخ الكبرى، لأن غايتهم في ذلك كانت إعلاءَ كلمة الله سبحانه في آفاق المعمورة، وإقامة شرعه في الأرض، وإنفاذ أحكامه. ووسيلتهم في ذلك هي تربية النفوس على طاعة الله عزّ وجلّ، وتزكيتها بالعمل الصالح، وأخذها الدائب بالإعداد والاستعداد، ثم العمل المتواصل والكفاح المستمر لإزالة العوائق والعقبات والموانع التي تعيق حركة الإعلام الإسلامي بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

والجدير بالذكر أن الارتفاع إلى مستوى الرسالة والإخلاص في العمل ووضوح الغاية وسلامة القصد يزوِّدُ المؤمن بطاقة عظيمة تحركهُ للقيام بالواجب، وتهوِّن عليه ما يلقى من المصاعب والمتاعب وقدوة المسلم في ذلك هو رسوله الكريم محمد ﷺ، فقد قام عليه الصلاة والسلام بأمر الله سبحانه بتبليغ دعوة الحق والصدع بها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ أحكام الله بصدق وأمانة وإخلاص على أكمل الوجوه وأتمها، لم يصرفه عن ذلك ما لقي من التحدي والمقاومة والأعراض، ولم توهن السيوف التي سُلّت في وجهه ووجوه أصحابه الكرام من صدق عزيمته وقوة إرادته. وكان ملاذه الدائم طاعة الله سبحانه وتعالى والعمل على ما يرضي الله عزّ وجلّ وإن سخط عليه الناس أو نالوه بسوء أو أذى.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (ثم هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون بالرسول ﷺ في جميع أقوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، فكتب الله لهم النجاح في إقامة هذا الدين ثم صيانته وتثبيته بكل ما في وسعهم من عزم وإيمان وقوة ثم أتمّوا نشره بعد ذلك بطريقتين

هما القدوة الحسنة من جهة والسلاح من جهة أخرى، ويضيف الدكتور حمزة قائلاً: لقد قلنا غير مرة أن محمداً عليه الصلاة والسلام، نشر الدعوة وحارب من أجلها بسلاح الأخلاق قبل سلاح الجند والرماح، ولولا حسن الأخلاق لما حظي النبيُّ ﷺ بكل هذا التقدير حتى من أعدائه، وكثيراً ما سمعنا عن بعض اليهود والنصارى أنهم دخلوا الإسلام لمجرد اقتناعهم بسمو أخلاقه وحسن معاملته وجميل معاشرته وبلوغه في كل ذلك الدرجة العليا من درجات القدوة الحسنة. . . . ثم يضيف الدكتور حمزة قائلاً: (إن القدوة الحسنة هي من أنجح الأساليب والوسائل للاتصال بالناس. ومن ثم وجب على كل زعيم أو حاكم، أو قائد أن يكون قدوة طيبة لغيره متى أراد لنفسه النجاح في الفكرة أو العمل الذي جاء يدعو به)[1].

وبهذا فإن القدوة الحسنة تعتبر من أهم الوسائل الإعلامية التي ساعدت في نشر الدعوة الإسلامية في فترة ما بعد الحديبية.

٥ ـ الكلمة الطيبة:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كلمةً طَيبَةً كَشَجَرَةٍ طَيبَةٍ أَصْلُهَا ثَابتٌ وَفَرْعُها فِي السَماءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِهَا، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمثَالَ لِلْناسِ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2].

إنه حين يكون الإعلام هو التعريف بالشيء وتوسيع نطاق الإحاطة به، ونشر الرأي أو الخبر باستخدام أساليب الإقناع والمنطق من أجل فكرة ما لترويجها واستعمال الكلام كوسيلة للإقناع، فإن لسان المرء يكون بعد فكره هو وسيلته الإعلامية، وهذا ما كان المسلمون يتعاملون به لتنشيط إعلامهم وإيصال الحقيقة إلى الناس.

والجدير بالذكر أن الإعلام الإسلامي يعتمد في إيصال الحقيقة إلى

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص ٧٣ ـ ٧٤.
(٢) سورة إبراهيم الآيات: (٢٤ ـ ٢٥).

الناس، على القول الصادق والعمل الصالح دون كذب ولا خداع، لهذا فإن تأثير الكلمة الطيبة هو الذي ينيرُ إلى الناس طريقَهم، ويهديهم إلى الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سبحانه بأتباعه في إيصال الدعوة إلى الناس بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن، فقال جلّ شأنه: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُمْ بالتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1]، ولقد أمر الله سبحانه المؤمنين بالقول السديد ووعدهم بأن هذا القول السديد يكفر عنهم سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم، فقال عزّ وجلّ: ﴿ يا أَيُها الذِينَ آمَنُوا اتَقُوا الَّلهَ وقُولُوا قَولاً سَدِيداً يَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم وَيُكَفِرَ عَنكُم سَيِئَآتِكُم وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوزاً عَظِيماً ﴾[2].

وكما أمرنا الله سبحانه بالقول السديد فإنه حذّرنا أيضاً من القول الهدر الذي لا يرافقه عمل، فقال جلّ وعلا: ﴿ يا أَيُها الذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الَّلهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3].

ويبدو واضحاً من خلال هذه الآيات الكريمات أن الإسلام قد وضع الأسس والقواعد الثابتة لسلامة العملية الإعلامية التي تعتمد الكلمة الطيبة أساساً لها.

والجدير بالذكر أن الإعلام بشكل عام له صلةٌ وثيقةٌ بعلم دلالات الألفاظ، وبدراسة دور الكلمة في التعبير يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (إن الكلمة وهي أداة المعنى تعتبر أصغر وحدة من وحدات المعنى، ومنها تتألف الوحدات الأخرى كالجملة والفقرة، وإن من الكلمات ما قد اندثر ولم يعد له أثر ومن الكلمات ما استحدثت وأصبحت لها دلالة واضحة خاصة في أذهان القراء. فما هو تأثير الكلمة والكلام في تفكير الإنسان؟ وما مدى كفاية الكلمات باعتبارها وسيلة من وسائل الإعلام؟ وما أسباب

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٥).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٧٠).

(٣) سورة الصف الآيات: (٢ - ٣).

التغيير الذي يطرأ أحياناً على معنى الكلمة الواحدة؟. إن لذلك أسباباً لغوية، وأخرى اجتماعية وتاريخية، وكل هذه الأبحاث مما يؤلف قسماً كبيراً من أقسام هذا العلم الذي هو علم الإعلام)[1].

ولا شك أن القوة الهائلة التي تتمتع بها الكلمة الإسلامية تعتبر أقوى سلاح في نشر الدعوة الإسلامية واستقطاب الناس إليها منذ فجر الدعوة الإسلامية، وقد تنبهت قريش إلى هذه الخطوة فحاولت بكل ما تستطيع من قوة وقدرة إعلامية تشكيل أكبر جهاز للتشويش على كلام رسول الله ﷺ، وذلك بإطلاق الشائعات الكاذبة بين الناس في مكة والبادية، وأثناء مواسم الحج ضد النبي ﷺ والقول بأنه ساحر ويفرق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿ وقالَ الذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْتَمِعُوا لِهَذَا القرآنِ، وألغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُم تَغْلِبُوانَ ﴾[2]، وهذه الآية الكريمة تصف تشويش قريش على النبي ﷺ. ولكن الكلمة الإسلامية بقيت تؤدي دورها بنجاح تام في الدعوة إلى الله سبحانه، فقد ذكر ابن كثير، وهو يتحدث عن قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي قال: (وكان سيداً مطاعاً في قومه وكان قد قدم مكة، فاجتمع به أشرافُ قريش وحذروه من الرسول ﷺ حتى لا يجتمع به، أو يسمع كلامه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت أذنيَّ حين غدوت إلى المسجد كرسفاً[3]، فرقاً من أن يبلُغَني شيءُ من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا برسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلاَّ أن يسمعني بعض قوله، قال فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكلَ أمي إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٢٧.

(٢) سورة فصلت الآية (٢٦).

(٣) الكرسف: القطن.

بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد إن قومَك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، قال: فوالله ما برحوا بي يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلاَّ أن يسمعني قولك فسمعت قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك، قال فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فوالله ما سمعتُ قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه)[1].

ولا شك أن الكلمة الطيبة هي التي تكون كالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لأنها تبغي رضى الله وطاعته.

من هذه القصة نرى كيف أن الدور الذي لعبته الكلمة الطيبة المؤمنة الصادقة في الدعوة إلى الله، وفي نقل المعاني العظيمة والمدلولات النافعة بنجاح تام في ميدان العمل الإعلامي الإسلامي.

قال رسول الله ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»[2]، ولا شك أن توصيل الإعلام والدعوة بها يتم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

يقول محمد كمال الدين إمام: (فالكلمة في الإعلام الإسلامي ينبغي أن تكون قادرة على التوصيل الصحيح، فلا تنوءُ في حمل معانيها وأن يكون اختيارها مُراعى فيه الأسلوب الإسلامي في الدعوة والإعلام وهو أسلوب ينأى عن الكلمة النابية واللفظة الرخيصة واللغة الحادة أو المبتذلة المنافية للذوق السليم)[3].

ولا شك أن اللسان وهو الجهاز الإعلامي المركزي لدى الإنسان فإن الإسلام يضبط حدوده لدى هذا الإنسان ويعوِّده على الالتزام بالجد وقول

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٧٢ ـ ٧٣ (دار الفكر).

(٢) البخاري باب الأدب ج ٧ ص ٧٩ دار الفكر، ومسلم باب الزكاة من حديث أبي هريرة م ٤ ج ٧ ص ٩٥ شرح النووي (دار الفكر).

(٣) محمد كمال الدين إمام: المرجع السابق ص ١٣٠.

الحق والابتعاد عن الفحش بالكلام، وهذه الضوابط هي بدون شك ضوابط الجهاز الإعلامي التي حددها الإسلام.

يقول الإمام عليٌّ رضي الله عنه: (إياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها، واجعلوا اللسان واحداً، وليخزن الرجل لسانه، فإن هذا اللسان جموح بصاحبه والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه. وإن لسان المؤمن من وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه. وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه)[1].

والإعلام بالكلمة المنطوقة أسلوبٌ من أنجح أساليب الاتصال الشخصي الشفهي بدون شك في مجال الإعلام، إذا ما توفرت له المقومات المطلوبة، وصاحَبتْه الانفعالات المعبرة الصادقة. وبهذا فإنَّنا نستطيعُ القول أن الكلمة المنطوقة تحمل من الحرارة والعاطفة ما يجعلها من أكثر الأساليب الإعلامية نجاحاً. تقول د. جيهان رشتي (لقد أثر أسلوب الاتصال على الناس وجعلهم عاطفيين أكثر، ذلك لأن الكلمة المنطوقة عاطفية أكثر من الكلمة المكتوبة. فهي تحمل عاطفةً بالإضافة إلى المعنى. فكانت طريقة تنغيم الكلمات تنقل الغضب أو الأسى أو الموافقة أو الرعب أو السرور أو التهكم، إلخ.. وكان ردّ فعل الرجل القبلي ـ الذي يعتمد على حاسة الاستماع ـ على المعلومات يتسمُ بقدرٍ أكبر من العاطفة)[2].

وكما كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، فإنه كان أيضاً أحسنهم كلاماً وحديثاً فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلِّم أصحابه الكرام أسلوب الكلام الطيب، وقلما كان أحدٌ من الناس يجلس في مجلسه إلا ويؤمن برسالته

---

(١) انظر نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٣ ـ ١١٤. هذا الكتاب منسوب للإمام علي رضي الله عنه.

(٢) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٣٧٥.

قبل أن ينصرف عنه، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «أوتيتُ جوامع الكلم»[1]، وفي لفظ آخر «أوتيتُ جوامع الكلم وخواتمه».

ولقد كان نجاح الكلمة الإسلامية ذات الأسلوب المؤثر في نشر العقيدة الإسلامية وبناء دولة الإسلام وفي تحقيق الرؤية الفكرية المتكاملة التي استوعبت الاختلافات الطبقية والعرقية، وحققت الأخوة الإسلامية من فوق كل الحدود والاعتبارات القديمة، لمثلاً جديراً، بالدراسة والبحث والأقتداء به في كل زمان ومكان.

وعلى هذا الأساس فإننا من الحق أن نقول أن الكلمة الطيبة هي من أقوى وأفضل الوسائل الإعلامية وأنجحها في فن الإقناع والاتصال الشفهي بالناس وإنها التعبير الموضوعي لعقلية الجماعة ولروحها وكيانها واتجاهاتها جميعاً، وذلك في إضاءة القلوب الضالة، وإنارة العقول الحائرة التي غشيتها الجهالة، وإنه وكما عني رسول الله ﷺ في بناء رجل الإعلام المسلم، فإنه قام أيضاً ببناء القاعدة الإعلامية المثلى في مخاطبة الناس إذ قال في الحديث الشريف: «أمرت أن أنزل الناس منازلهم وأن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[2]. وهذا يعني أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة التي تُميز الكلمة الإسلامية التي كانت تقوم مقام جميع وسائل الإعلام المتنوعة في ذلك الزمن. وقد نجحت هذه الكلمة في استخدام الوسائل والأساليب الإعلامية جميعاً، كوسيلة الاتصال الشفوي الشخصي والجمعي، لأن هذه الوسائل وغيرها من الوسائل الإعلامية الأخرى كالشعر والخطبة والمناداة والقصص والمحاضرة والندوة تقوم في بنائها الأساسي على الكلمة ودورها الإيجابي الفعال. ولقد ميّز الإسلام الكلمة بالصدق وجعل لها الضابط الأخلاقي كي تتلمس سبيلها إلى قلوب الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالحُسنى.

---

(١) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة وقال هو حديث مرسل ص١٣٢ ـ ١٣٣ دار الكتب العلمية.

(٢) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، وقال هو من حديث ابن عباس وسنده ضعيف جداً ص ٩٢ ـ ٩٣ ـ المرجع السابق.

والجديرُ بالذكر أن علماء الإعلام يقسمون الكلمة إلى ثلاثة أقسام هي: الكلمة المنطوقة والكلمة المسموعة، والكلمة المكتوبة. وهذه الأوجه الثلاثة للكلمة الإسلامية قد استخدمها رسول الله ﷺ في نشر دعوته، وقد حقق هذا الدورُ نجاحاً هائلاً في جميع مراحل الدعوة الإسلامية وبخاصة في الفترة الإعلامية التي أعقبت صلح الحديبية، تلك الفترة التي تميزت بالنشاط الإعلامي الشفهي.

٦ ـ الشعر:

لقد كان **الشعرُ** واحداً من أبرز وسائل الاتصال بين العرب قبل الإسلام، وكانت القصيدة الشعرية تلعب دوراً هاماً في مجال الإعلام بين القبائل العربية، أشبه ما يكون بالصحف السيارة في عصرنا الحاضر. ولكن هذه الوسيلة الإعلامية كانت تتميز بأنها تنطوي تحت عاداتِ وأخلاقِ الجاهلية، التي كانت تهتم بالحسب والنسب والعصبية والتفاخر بهذه العادات والمجون، وغير ذلك من أغراض الشعر المختلفة التي كانت معروفة في الجاهلية قبل الإسلام. يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (الحق أن الشعر في العصر الجاهلي كادَ يكون هو الوسيلة الوحيدة من وسائل الإعلام والدعاية، والحق أنه لم توجد إلى جانب هذه الوسيلة غير وسيلة الخطابة، ولكن المنزلة الأولى في الجاهلية كانت للشعر دائماً، وفي بيئة لا تعرف القراءة والكتابة، إلا قليلون يكادون يعدون على الأصابع، كان لا بدّ للشعر أولاً، ثم للخطابة، أن يقوما بوظيفة الإعلام ووظيفة الدعاية للقبيلة. ولعل أكبر دليل على أهمية القصيدة الشعرية واهتمام العرب بها هو ما رواه المؤرخون عن العرب، من أنهم كانوا يختارون أجود القصائد يكتبونها على القماش بماء الذهب، وكانوا يعلقونها على أستار الكعبة أو في بيوت الملوك. ومن أشهر هذه القصائد ما سمي بالمعلقات السبع أو العشر)[1].

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ٢٤ ـ ٢٥.

هذا وبالنظر إلى أهمية هذه الوسيلة الإعلامية في ميدان الإعلام والاتصال بالناس، وبما لها من قدرة عظيمة في التأثير في النفوس ونقل الأفكار وتحويل الكوامن الداخلية في النفس عن طريق تفاعل بعض الأبيات والقصائد الشعرية الجميلة ذات الإيقاع البالغ، التي اعتاد العرب على سماعها وترديدها، لذا فلم يجد الإسلام بداً من الاستفادة من هذه الوسيلة الإعلامية الهامة وتسخيرها لخدمة هذا الدين، وذلك بأن جعل منها وسيلة إعلامية نافعة لخدمة أغراض الدعوة الإسلامية، ناطقة بالحق ومدافعة عنه عن طريق الأغراض الشعرية المشروعة في الإسلام، كالأشعار الحماسية التي تقال قبل الدخول في المعركة للتأثير على نفسية العدو ولرفع معنويات المسلمين، وإثارة النخوة في نفوسهم ومناشدتهم بالصبر والثبات عند لقاء العدو وتذكيرهم بالجنة ونعيمها، وكذلك أشعار الرثاء التي كان يقولها الشعراء في رثاء موتاهم وموتى المسلمين. أو أشعار المديح لدين الإسلام ولنبي الإسلام. وكذلك في الدفاع عن هذا الدين العظيم وتمجيده بنفس هذه الوسيلة الإعلامية التي كانت تعد من أنجح وسائل الإعلام والاتصال الشفهي في العصر الجاهلي. ولما كانت هذه الوسيلة الإعلامية قد استخدمت في مهاجمة الإسلام ونبي الإسلام والنيل من المسلمين والتشهير بهم، فكان لا بدّ من استخدام القصيدة الشعرية للاستفادة منها في خدمة أهداف الإعلام الإسلامي بالطرق التي شرعها الإسلام.

يقول الدكتور محي الدين عبد الحميد: (وحين جاء الإسلام استفاد من القدرات الإعلامية للقصيدة الشعرية، ولم يلفظ الإسلام هذه الوسيلة الإعلامية الهامة، ولكن الداعية الأول لهذا الدين محمد بن عبدالله ﷺ، أدرك أهمية هذه الوسيلة التي يستخدمها أعداؤه، ويوجهون به من خلالها الاتهامات والدعاوى الباطلة، فما كان منه إلا أن جعل القصيدة الشعرية، واحدة من الوسائل الفعالة لحمل رسالة الإسلام)[1].

وبالنظر إلى أن نبي الإسلام ﷺ لم يردْ عنه أنه قال بيتاً واحداً من

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحميد: المرجع السابق ص ١٤٨.

الشعر طوال حياته، قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمنَاهُ الشِعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾[1]، ولكنه أي النبي ﷺ لم يهمل الشعر كوسيلةٍ مشروعة من وسائل الدعوة الإسلامية، مع الأخذ بالاعتبار أن الإسلام لم يعط لهذه الوسيلة الإعلامية زخماً كبيراً كما كان عليه الحال قبل الإسلام، بل قام بتحديد أغراضها وأهدافها. وكذلك فإن النبي ﷺ لم يمنع الشعراء، وهو يعلم جيداً أن لهؤلاء الشعراء مكانة كبيرة في نفوس العرب منذ الجاهلية. يؤكد هذه الحقيقة الدكتور عبد اللطيف حمزة بقوله: (وعند ظهور الإسلام كان لا بدّ من أن يصبح للإعلام صوراً جديدةً لم يعرفها العرب من قبل، وصوراً قديمةً احتفظ بها الإسلام، وكانت معروفة عند العرب من قبل، فأما الصور القديمة التي احتفظ بها الإسلام فهي القصيدة الشعرية، وإن لم يصبح لها في الإسلام شأن كبير كما كان لها هذا الشأن في الجاهلية)[2].

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد تطرق بالحديث عن الشعراء، في سورة الشعراء ووصفهم بالغاوين الذين هم في كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، ولكنه عزّ وجلّ قد استثنى منهم الشعراء المؤمنين، الذين يقولون الحق والصدق، ويدافعون عن الخير والفضيلة، وبهذا يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ والشُعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ، وأَنَهُم يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُون، إلَّا الذِينَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَات وذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[3].

ولقد كان للإسلام عدد من الشعراء الأفذاذ برز منهم حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وغيرهم ممن كانوا يدافعون عن دعوة الحق وعن نبي الإسلام ﷺ، عن طريق الكلام الطيب الموزون والمقفى، في الإيقاع

---

(١) سورة يس الآية (٦٩).

(٢) د. عبد اللطيف حمزة الإعلام في صدر الإسلام ص ٣٨.

(٣) سورة الشعراء الآيات: (٢٢٤ ـ ٢٢٧).

المؤثر في النفوس، ولكن أغراض الشعر في الإسلام لم تتعد الثلاث أغراض:

١ ـ الشعر الحماسي.

٢ ـ شعر الرثاء.

٣ ـ شعر المديح للرسول ﷺ، وللدعوة الإسلامية. أو الدفاع عن الإسلام. ولا بأس من أن نذكر نماذج لبعض هذه الأشعار في هذا البحث:

١ ـ نموذج الشعر الحماسي الإسلامي، الذي يقال عادةً قبل الدخول في المبارزة للتأثير على نفسية الخصم. فقد ذكر ابن كثير في سيرته أن رسول الله ﷺ عندما دعا علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وأعطاه الراية وأمره بأن يأتي خيبر قال: (فأتى علي بن أبي طالب مدينة خيبر وخرج مرحبا صاحب الحصن وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه هو يرتجز ويقول:

قد عَلِمت خيبرُ أني مرحبُ   شاكٍ سلاحي بَطلٌ مجربُ
إذا الليوث أقبلت تلهبُ   وأحجَمت من صولةِ المغلب

فقال علي رضي الله عنه:

أنا الذي سَمتّني أُمي حيدَرَهْ   كليثِ غاباتٍ شديدِ القسورهْ
أكيلُكُم بالصاعِ كيلَ السَندَرةْ

قال فاختلفا في ضربتين، فبدَرَهُ عليٌّ بضربة فقَدَّ الحجَر والمغفرَ ورأسَهُ ووقَعَ في الأضراس[١].

هذا ونقل ابن كثير في سيرته عن ابن إسحاق، قال: (حدثني يحي بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد، قال: حدثني أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤته قال: والله لكأني أنظر إلى

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧، ٤٨٥ ـ ٤٨٦. المجلد الثالث.

جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القَومَ حتى قُتِل وهو يقول:

يـا حبـذا الجَنَّـةَ واقتـرابُهـا   طَـيِـبَـةُ وبَـارِدُ شَـرابُـهـا
والرُومُ رومٌ قَدْ دَنَـا عَذَابُهـا   (كَـافِـرَةٌ بَعيـدَةٌ أنْسَـابُهَـا
عليَّ إنْ لاقيتُها ضِرابُها).

٢ ـ وهذا نموذجٌ من الشعر الذي كان يدور على ألسنة الناس وهو في مدح رسول الله ﷺ، عندما خـرج يودع الجيشَ الـذي ذهب إلى مؤته، للشاعر المسلم عبدالله بن رواحة، قال ابن إسحاق: (ثم إن القومَ تهيأوا للخروج، فأتى عبدالله بن رواحة رسـول الله ﷺ فودَّعه ثم قال:

فثبتَ اللهُ ما آتاك من حسن   تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصروا
إني تفرستُ فيكَ الخيرَ نافلةَ   الله يعلمُ أني ثـابتُ البصَـر
أنت الرسـولُ فمن يحرِم نوافِلَهُ   والوجهُ منه فقد أزرى به القدرُ[1]

٣ ـ وهذا نموذج من شعر الرثاء الذي كان يتداولَهُ الناسُ أيضاً: قال حسان بن ثابت يرثي بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد جاء ذكره في كتاب السيرة النبويّة لابن كثير أيضاً:

(ولقد بكيتُ وعز مهلك جعفرٍ   حِبِّ النبيِ على البرية كلِها
ولقد جزعتُ وقلت حين نُعيت لي   من للجِلاد لدى العُقاب وظلِها
بـالبيضِ سُلّ من أغمـادِهـا   ضرباً وأنهـال الرمـاح وعلَّها
بعد ابنَ فاطمة المبارك جعفر   خيرُ البرية كلِها وأجلهـا)[2]

ومن هنا فإننا نستطيعُ القولَ بأن القصيدة الشعرية الإسـلامية قـد ساهمت بقدر طيب بعملية الاتصال، ونقل الأفكار الإسلامية، والدفاع عن الإسلام، وبتوجيه اهتمامات الناس نحو هذا الدِينّ العظيم، وذلك بوضع

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) ابن كثير السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٦١.

المعاني الجميلة في وعاء جميل وتقديمها إلى الناس بصـورتها الـزاهية الجميلة، وهذا يعتبر من أساليب الحكمة والموعظة الحسنة التي أمرَنا اللهُ سبحانه بالدعوة إليه بها.

٧ ـ حركة الهمس:

لقد نشطت حركة الهمس ـ وهو الحديث الخفيّ ـ بين الناس في الجزيرة العربية، وخاصةً في أعقاب صلح الحديبية، ذلك الصلح الذي وضع حداً لعهد طويل ومرير من الصراع الدامي بين المسلمين من جهة وبين أعظم قوة في الجزيرة العربية وهي قريش من جهة أخرى، ومما يُذكرُ أن أخبار هذا الصراع كانت تشغلُ المنطقـة بأكملهـا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية والأقطار المجاورة لهـا، والتي يرتبط معهـا سكان هـذه الجزيرة العربية بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية كاليمن والشام والحبشة.

وإنه من الطبيعي والحالة هذه أن يظهَرَ صدى تلك الفترة ـ التي سكتت فيها السيوف وحل محلها الألسُن ـ على شكل حركة تهامس بين الناس عما جرى ويجري من أحداث في هذه المنطقة، وبخاصة فيما يدور الحديث عنه بين الناس من أحـداث الدين الجديد الذي اتخذ من المدينة المنورة مقراً له ومركزاً لنشاطاته المختلفة، مما شكل عاملاً قوياً في انتشار الإسلام عن طريق حركة الهمس هذه في فترة ما بعد الحديبية.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (يُعتبر التهامس بين الناس في كل عصر من العصور عاملاً قوياً من العوامل التي تؤثر في «الرأي العام» ولذلك لم يغفل عنه حاكمٌ من الحكام في الأزمنة القديمة والحديثة على السواء، ومما لا شك فيه أن سيرةَ الرسول ﷺ وعظمته الخلقية، وكمال النفس وغير ذلك من الصفات التي امتاز بها عن سائر البشر والتي عبَّرَ عنها القرآنُ الكريمُ بقوله: ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١] لا شك أن هذه السيرة النبوية العطرة، كانت مثارَ دهشة كبيرة من جميع العرب في مكة والمدينة

---

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

المنورة وفي غيرها من أرجاء شبه الجزيرة العربية. وكان حديثُ الناس هذا عن الصفات التي اكتملت للنبي ﷺ يدورُ إما جِهاراً أو عن طريق الهمس، وكان هذا التحدث أو التهامس في ذاته عامـلاً قويـاً من عوامـل انتشار الإسلام، وقد وجدنا مصداقَ ذلك في حادثتين بنوعٍ خاص هما: ١ ـ حادثة الهجرة. ٢ ـ صلح الحديبية الذي أعطى فرصة أخرى لهذا التهامس الذي كان له أبعدُ الأثر في نشر العقيدة الإسلامية)[1].

والجديرُ بالذكر أن المجتمعات القديمة كانت تمارسُ الإعلام بأساليبه البدائية والبسيطة بطريقة الفطرة، وذلك بتبادل الأخبار ونقلها بطريقة الهمس أو الكلام العادي الشفوي الذي يتأثر به الإنسان حول ما يدور في محيطه من أحداث. يقول الدكتور حمزة: (الإعلام الفطري، هو الذي تتميز به الجماعات البدائية كالعربي في الصحراء يعرف أخبار القبائل القريبة من قبيلته، وعادات وتقاليد هذه القبائل ونوع هذه العلاقات التي بينها وبين القبائل الأخرى بمعلوماته التي حصل عليها بطريقة الفطرة)[2].

ولما كان من البديهي أن حياة الإنسان لا يمكن أن تستقيم دون أن يتصل بغيره من الناس، لذلك فقد قيلَ عن الإنسان أنه اجتماعي بالطبع، فهو يندمج بعملية الاتصال هذه منذ ولادته، وهذا الاتصالُ هو عنصر هام للحياة الاجتماعية، وبما أن الاتصال له عدة أساليب، فإن حركة الهمس هذه تعتبر أحد هذه الأساليب للاتصال الشفهي في تشكيل الرأي العام. يقول الدكتور إبراهيم إمام: (لقد رأينا أن الاتصال بالجماهير قوةٌ تنظيمية كبيرة تدل على تعبئة الجماعات وحشدها حول أفكار معينة، حتى ولو كانت هذه الجماهير متباعدة يفصلها مسافات طويلة وحواضـر متعددة، ويلعب الاتصال دوراً خطيراً في تشكيل الرأي العام، سواء عن طريق الإعلام، أو عن طـريق الاتصال الشخصي المبـاشر أو عن طـريق حمـلات الهمس والشائعات)[3].

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ١٥٩ ـ ١٦٠.
(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٣١.
(٣) الدكتور إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١٥٨.

والجدير بالذكر أن الصلة الروحية القوية التي كانت تربط المسلمين الذين يعيشون في مكة المكرمة تحت القسر القرشي، بإخوانهم المسلمين في المدينة المنورة، ومحاولة معرفة أحوالهم وأخبارهم وظروفهم، وما يتنزل به الوحي من تشريعات جديدة من جهة، وما يرتبط به المسلمون في المدينة المنورة كذلك بمحارمهم وأقربائهم في قريش من جهة أخرى، قد نتج عنها نشاطٌ إعلاميٌ عن طريق حركة الهمس بين الناس، بين مكة والمدينة الأمر الذي أدّى إلى تناقل الأخبار بين الطرفين بصورة دائمة ومستمرة. وهذا ما يسميه الإعلاميون بالقُربِ الزماني والنفسي للخبر. يقول الدكتور إبراهيم إمام: (يستخدم العربي القُرب الزماني والمكاني والنفسي في قياس خصائص معينة للخبر، ولكن بعد أن يعترفَ بقيمة الخبر فعلاً، وذلك لتقرير هل يروجُ ذلك الخبر أو لا يروّج، وهل يستحق الخبرُ عناءً نقص أطرافه أم لا. والقربُ النفسي يحتلُ أهميةً كبيرةً، فيما يحدث لطلابنا في الخارج، فهو قريبٌ إلى نفوسنا ولذلك يظفرُ بالنشر والاهتمام مهما بعدت المسافات)(١).

وتأسيساً على هذا الفهم، فإن هذا القرب الزماني والنفسي للخبر قد ساعد في إيجاد استراتيجية هامة جداً لحركة الهمس أن تنتعش في تلك الفترة، وذلك بتبادل الأخبار بين مكة والمدينة، وما مجموعة المحاربين المسلمين الذين فروا من سجن قريش الرهيب، وتجمعوا في منطقة العيص(٢) على ساحل البحر الأحمر، بقيادة البطل المسلم أبو بصير، إلاَّ نتيجة للعبارة الهامة التي قالها رسول الله ﷺ في المدينة بحق أبي بصير، وهي: «ويل أمة مسعر حرب لو كان معه رجال»(٣). هذه العبارة التي

(١) الدكتور إبراهيم إمام: دراسات في الفن الصحفي ص ١١٧.
(٢) العيص هي منطقة على ساحل البحر الأحمر بين مكة والمدينة. ابن هشام ج ٣ ص ٣٧٣ والواقدي ص ٣٦.
(٣) ذكر ابن كثير في السيرة قوله: (مسعر حرب لو كان معه رجال) ج ٣ ص ٣٣٥. وجاء في السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٧٣ قوله: ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال. وكذا عند الواقدي ج ٢ ص ٦٢٧. المغازي.

حملتها الأفواه وتناقلتها الألسن من شخصٍ لآخر إلى أن استقرت في مسامع المسلمين المستضعفين في مكة المكرمة، مما أدى إلى هروبهم من مكة واحداً بعد الآخر والتحاقهم بأبي بصير قال الواقدي: (وبلغ المسلمين الذين حبسوا بمكة قولُ النبي ﷺ لأبي بصير «ويل أمة محش حرب لو كان معه رجال» فجعلوا يتسللون إلى أبي بصير)[٤].

وكان النبي ﷺ قد قال هذه العبارة بحق أبي بصير عندما فرّ من سجنه الرهيب بمكة المكرمة والتحق بإخوانه المسلمين في المدينة المنورة، فأرسلت قريش في طلبه برجلين قدما إلى المدينة المنورة، فما كان من رسول الله ﷺ إلّا أن سلّم أبا بصير إلى الرجلين، وذلك وفاءً من رسول الله ﷺ بالعهد وتنفيذاً لأحد بنود صلح الحديبية. هذا وبعد أن اقتاد الرجلان أبا بصير في طريقهما إلى مكة، تمكن أبو بصير من قتلِ أحدِ الرجلين واللحاق بالآخر الذي عاد إلى مسجد رسول الله ﷺ وهو في حالة فزع شديد خوفاً من أن يفتك به البطل المسلم أبو بصير، كما فتك بزميله. وما أن وقع عليه بصر رسول الله ﷺ حتى استشف واقعه النفسي، فقال: (إن هذا الرجل قد رأى فزعاً)، وانتهى إلى مجلس النبي ﷺ من المسجد وهو يلهث، فسأله النبي بقوله: ويحك، ما لك! قال: قتلَ صاحِبُكم صاحبي ثم جعل يشرح قوله في كلمات ممزقة. قال: لقد انتهينا إلى ذي الحليفة وجلسنا نستريحُ في ظل أحد الجدران نظر أبو بصير إلى سيف صاحبي فقال: أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بني عامر؟، فقال نعم. قال: أرني انظر إليه فأذن له، فإذا هو يستله ويخطف به رأسه

وفي هذه الأثناء أطل أبو بصير[١] من مدخل المسجد متوشحاً بذلك

---

(١) الواقدي المغازي ج ٢ ص ٦٢٧.

(٢) قال ابن الأثير في أسد الغابة ج ٣ ص ٥٣٦٠ نشر المكتبة الإسلامية: هو عتبة بن أسيد ابن جارية بن أسيد بن عبدالله بن سلمة بن المغيرة بن ثقيف الثقفي وكنيته أبو بصير وهو مشهور بكنيته وهو الذي هرب من الكفار في هدنة الحديبية فطلبه قريش ليرده رسول الله ﷺ مع رجلين من الكفار فقتل أبو بصير أحدهُما وهرب بالآخر وأخيراً استقر أبو بصير في منطقة =

السيف، حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله.. وفت ذمتك.. وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم، وقد امتنعت بديني أن أُفتَن فيه أو يُعبَث بي...).

واستحوذت الفرحة على نفوس المؤمنين، ولم يكن رسول الله ﷺ أيسرهم إعجاباً بعمل أبي بصير، بيد أنه لا يملك إلا أن يستمر في إيفائه بالعهد، كيف لا وهو سيدُ الأوفياء في البشر جميعاً، ولكنه اكتفى من الكلام بهذه العبارة العميقة الموحية:

(ويل أمه... محش حرب... لو كان معه رجال)(١).

ومرة أخرى خضع أبو بصير لقرار رسوله الكريم فغادر المدينة المنورة واتجه إلى ساحل البحر الأحمر حيث اتخذ مقرَّه في العيص، وهي منطقة بعيدة عن المدينة المنورة وعن قريش أيضاً. وكانت عبارة رسول الله ﷺ في وصف شجاعته قد أخذت سبيلها على الألسنة حتى انتهت إلى إسماع المسلمين المحتبسين في قلب مكة، فلم تلبث أن حركت عزائمهم، ووجهت أفكارهم وتربصوا يراقبون الغفلات، فكلما أتيحت لأحدهم فرصة، تسلل باتجاه ذي المروة ليلحق بالبطل الرائد أبي بصير. وهكذا لم تمضِ سوى فترة يسيرة حتى تجمع ما يقارب من سبعين رجلاً على رأسهم أسير يوم الحديبية أبو جندل بن سهيل بن عروة خطيب قريش ورئيس وفد مفاوضيها في هدنة الحديبية.

وتمكنت العصابة المؤمنة من السيطرة على طريق قريش الذي تمر به قوافلها ومسافروها في تجاراتهم بين الشام ومكة فكانوا لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ولا تمر بهم قافلة إلا هاجموها واستولوا عليها، وقد أثار هذا الأمر أهل مكة الذين يعتمدون على التجارة اعتماداً كلياً، في الوقت الذي

= سيف البحر واجتمع إليه الفارون بدينهم من قريش. وتوفي أبو بصير في الوقت الذي أمر النبي ﷺ العصبة المؤمنة من هؤلاء الثوار بالعودة إلى المدينة. أخرجه الثلاثة.

(١) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٢٦، وابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٣.

لم يكن باستطاعتهم القضاء على هؤلاء الثوار الذين يعتمدون في حربهم على الغارات التي أشبه ما تكون بحرب العصابات. وقد اتخذت هذه العصابات من الجبال والأحراش مقراً لها في هجماتها القوية والمفاجئة التي تضرب وتهرب ولا تستقر في مكان أو زمان معينين، فهي تظهر من هنا حيناً، ومن هناك حيناً آخر فلا تدري القوافلُ التجارية كيف تتجنب المغيرين عليها ولا يعلم المسافرون من أين ينقضُّ عليهم البلاء المبين.

لقد عجزت قوة قريش وعنجهيتها عن درء هذا الخطر المحدق بها، وكان لا بدّ لقادتها من البحث عن مخرج من هذه الورطة، فلم يجدْ زعماء قريش بداً من أن يلجأوا إلى رسول الله ﷺ يسألون: اللهُ وصِلةُ الرحمِ بأن يقبل بإلغاء الشرط الذي يقضي بعدم قبول المسلمين الفارين بدينهم، من إتفاقية الحديبية، ذلك الشرط الذي اعتبرته قريش في بداية الأمر نصراً ساحقاً لها، وقد اعتبرهُ جماعة من المسلمين أيضاً إجحافاً بحقهم قال تعالى: ﴿ وَسَيعلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[1].

ويصل موفد قريش إلى المدينة المنورة ويقفُ أمام رسول الله ﷺ، وهو يحملُ معهُ استعطافَ قريش الذي يعتبر بمثابة اعتراف كاملٍ بذِلَّةِ الشِركِ والمشركين أمام عزة الله ورسوله، وبضعف قريش أمام قوة الإسلام رافعين الرجاء وسائلين الرَحم بأن يلغي ذلك الشرط الجائر، وأن يؤوي إليه أولئكَ الثائرينَ الأبطال ويكُفُ عنها أذاهم. وما كانَ من رسول الله ﷺ - الذي بعثه الله هادياً إلى الخير وواصلاً للرحم باراً رحيماً عفواً عند المقدرة - إلَّا أن يقبل استعطاف قريش، فبعث إلى العصبة المؤمنة بأن توقف عملياتها الحربية ضد قريش وأن يلتحقوا بإخوانهم المسلمين في المدينة المنورة. قال تعالى: ﴿ إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا في الحَيَاةِ الدُنيَا وَيوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[2].

ومنذ ذلك الوقت أدرك المشركونَ، أن رسول الله ﷺ لم يبعثْهُ الله

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٢٢٧).

(٢) سورة غافر الآية: (٥١).

لكي يقطع صلة الرحم، ولا ليثير الشقاق والعداوة والبغضاء بين الناس، وإنما بعثه الله هادياً إلى الخير باراً رحيماً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾[1].

وبهذه النتيجة المظفَّرة فإنه يمكننا القول بأن حركة الهمس التي بلغت ذروة نشاطها الإعلامي، في فترة ما بعد الحديبية، قد ساهمت في إنعاش حركة الاتصال الشفهي مما أدّى إلى زيادة عدد المسلمين، وبالتالي زيادة قوتهم كما شاهدنا في حادثة أبي بصير، الأمرُ الذي ساعد في فتح مكة فيما بعد. يقول الدكتور حمزة: (تناقلَ الناس في مكة وفي القبائل المجاورة كل هذه الأحاديث، وتهامسوا فيها فيما بينهم حول عظمة الرسول ﷺ، وخطورة الرسالة الإسلامية الإلّهية التي بعث بها هذا الرسول، وكان لهذا التهامس الهادىء الجميل أثره الواضح الجلي في نجاح الدعوة الإسلامية، وزيادة عدد المسلمين، حتى خرج إلى مكة بعد عام ونصف «عام الفتح» مع رسول الله ﷺ ما يقرب من عشرة أمثال العدد الذي كان معه في صلح الحديبية، وهذا كله ما عبَّرت عنه الآية القرآنية ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾[2])[3].

٨ ـ وسائل الاتصال الجمعي الميدانية: الأذان:

يعتبر الأذانُ إحدى الوسائل الإعلامية الشفوية التي ساهمت في عملية تبليغ الدعوة الإسلامية في فترة ما بعد الحديبية، ليس فقط في المدينة المنورة، وإنما في المناطق التي انتقل إليها الإسلام خارج المدينة المنورة كالقُرى والبوادي والأرياف.

والأذان معناهُ اللغويُّ الإعلام ورفع الصوت بالمناداة. ولقد ورد ذكره في القرآن الكريم بهذا المعنى، قال تعالى مخاطباً سيدنا إبراهيم: ﴿ وَأَذِنْ

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠٧).
(٢) سورة الفتح الآية: (١).
(٣) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ١٦٣.

فِي النَاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍ عَميقٍ ﴾(١). وقال جلّ شأنه: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ، جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِنٌ أَيتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾(٢).

أما المعنى الاصطلاحي للأذان فهو النداءُ للصلاة. وقد جاء ذكْرُهُ في القرآن الكريم أيضاً بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿ يا أَيُها الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلْصَلاَةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوا إلىٰ ذِكْرِ الَّلهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

فالأذانُ إذن هو إعلام شفهي يقومُ على المناداة للصلاة، ويبدأ بالتكبير ثم الشهادتين، ثم النداء بحيٍّ على الصلاة والترغيب بها وينتهي هذا الآذان بكلمة لا إله إلا الله.

والجديرُ بالذكر أن الآذان يعتمد على عنصر التكرار في تثبيته لهذه المعاني العظيمة، وفي هذا التكرار تأكيدٌ لما يحمله الأذانُ من مضامين معينة إلى عقول وقلوب السامعين، وأهم هذه المعني هما الشهادتان، وهما الركنُ الأول من أركان هذا الدين، وكذلك لفتُ النظر وجلب الانتباه لأهمية التوحيد الذي يتميز به هذا الدين وتقوم عليه دعائمه، فإذا كانت هذه المعاني التعليمية العظيمة تتكرر عدة مرات في الأذان الواحد، فإن الآذانَ نفسَه يتكررُ خمس مرات في اليوم والليلة، الأمر الذي يجعل هذا التكرار مألوفاً ومقبولاً في نفوس السامعين. تقول الدكتورة جيهان رشتي: (يؤمن عدد كبير من علماء الاتصال بأن تكرار الرسالة الإعلامية من العوامل التي تساعد على الاقتناع، وينعكسُ هذا الأمرُ في الحملات الإعلامية التي تعتمدُ على تكرار الرسالة الإعلانية)(٤).

(١) سورة الحج الآية: (٢٧).
(٢) سورة يوسف الآية: (٧٠).
(٣) سورة الجمعة الآية: (٩).
(٤) الدكتورة جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٥٠١.

ويؤكدُ هذا المفهوم أيضاً الدكتور أحمد بدر فيقول: (إن مجردَ تكرار فقرات أو جمل معينة يؤدي إلى تصديقها)[1].

والجديرُ بالذكر أن مستحبات الآذان، أن يرفع المؤذن صوته إلى أقصى ما يستطيع حتى يسمعه أكبر عدد ممكن من الناس، كما ويندب لمن يستمع إلى الأذان أن يردد ما يقوله المؤذن، ولا شك أن ترديد المسلمين خلف المؤذن، يؤكد مبدأ التزام بالإعلام عند الإسلام بصورة جماعية مكررة ومؤثرة. وهكذا فإن التكرار يعطيه علامة بارزة وصفة إعلامية بحيثُ يصبحُ وسيلة من وسائل الاتصال الجمعي في مجال التربية والإعلام في المجتمع الإسلامي.

يقول الدكتور محي الدين عبد الحليم: (الأذانُ هو إحدى الوسائل التي ينفرد بها الإعلام الديني الإسلامي للإعلان عن أوقات الصلاة، ويتميزُ الأذان بالخصائص الإعلامية التي تجعله عاملاً رئيسياً من عوامل الدعوة للدين الإسلامي، فهو أولاً يعتبر شكلاً من أشكال الاتصال الجماهيري، ثانياً فإنه يعتمد على عنصر التكرار لتثبيت المعنى)[2].

ومما يذكرُ أنَ معظم الذين كتبوا في الإعلام الإسلامي لم يُهملوا الأذان من حسابهم كوسيلة إعلامية من وسائل الإعلان عن هذا الدين، ومبادئه العظيمة التي لها أثرها وتأثيرها في نشر الدعوة الإسلامية، ولا بأس أن ننهي هذا الموضوع بما يقوله الدكتور عبد اللطيف حمزة: (وهكـذا أصبح الأذانُ وإقامة الصلاة أكبر إعلان للإسلام، وإذا كان فن الإعلان في ذاته قائماً قبلَ كلِ شيءٍ على «التكرار» فما بالُك بهذا الإعلام الإسلامي الذي يذكر الناس بهذا الدين خمسَ مرات في اليوم والليلة، وفي كل مرة يسمعُ بها المسلمون ويسمعُ غيرهم هذا النداء العظيم، وهو إعلانٌ كبيرٌ

---

(١) الدكتور أحمد بدر: المرجع السابق ص ١٧٥.

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم: المرجع السابق ص ١٥٥.

للإسلام لفت إليه أنظارَ الناس جميعاً في المدينة المنورة ومنها انتشرَ في بقية أجزاء شبه الجزيرة)[1].

الخطب النبوية:

لقد لعبت الخطبُ النبويّةُ دوراً بارزاً وإيجابياً في مجال الاتصال بالناس، منذ فجر الدعوة الإسلامية، حينما صعد النبي ﷺ على الصفاة ونادى قومَه لِيُعلِمَهم بالإسلام، وبما جاءه من عند ربه عزّ وجلّ، امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[2].

وهكذا، فقد استمرت الخطبُ النبوية الكريمة تباشر مهامَها الفعالة بنجاح منقطع النظير في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الحق وأهله، وطمس الباطلِ وأعوانه، وبخاصة في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها، وهي فترة النشاط الإعلامي الواسع التي تلت صلح الحديبية، تلك الفترة التي كانت فيها مدينة الرسول ﷺ، وهي مركز الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، تعُجُّ بالنشاط الإعلامي الإسلامي المتنوع.

والجدير بالذكر أن الخطبَ النبوية هذه قد اتخذت أنواعاً متعددة ضمن إطار النشاط الإعلامي الإسلامي والاتصال بالناس، وذلك بما يمثل ويتفق مع أهداف الإسلام الذي كما أشرنا من قبل، أنه كان ولا زال مبدعاً في مختلف الفنون النافعة، وبأنه لم يحصر نفسه بالوسائل الإعلامية التقليدية القديمة، وإنما قام بتطوير هذه الوسائل وتوجيهها وجهة الحق والاستفادة منها خيرُ ما تكون الاستفادة لخدمة دعوة الحق والخير، كذلك، فقد أوجدَ الإسلامُ لنفسه وسائل إعلامية أخرى، وبخاصة في مجال الخطابة والاتصال بالناس، انفردت فيها رسالته، ولا تكاد تنافسه فيها أية رسالة إعلامية أخرى، ومن هذه الوسائل خطبة الجمعة الأسبوعية، تلك الخطبة التي تعتبرُ من أقوى الوسائل الإعلامية الدينية المنتظمة للاتصال الجمعي،

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) سورة الشعراء الآية: (٢١٤).

ولا زالت، ولسنا بصدد الحديث عن أهميتها الإعلامية ولكننا نذكرها على أساس المثال فقط. وعلى هذا الأساس فإن الخطابة، وإن كانت بصورة عامة، تتميزُ بأن لها دورها المؤثر والفعال في مجال الاتصال بالناس بشكل جماعي فإن الخطب الدينيـة الإسلاميـة وبصورة خـاصة خـطبة الجمعـة الأسبوعية، لتعتبر من أقوى وأعظم هذه الخطب في أثرها وتأثيرها في خدمة الإعلام الإسلامي، وذلك لما تتميز به بصورة خاصة بارتباطها بالصلاة، وبما تتركه في أذهان الناس من مشاعر مشتركة، وبما تختص به كذلك في معالجة لمشاكل المسلمين عموماً من خلال منهج الإسلام الذي ينطوي تحت تعاليم القرآن الكلايم والأحاديث الشريفة.

ومن هنا فإن خطبة الجمعة هذه تعتبرُ واحدة من أبرز وأنجح الوسائل الإعلامية التي جاء بها الإسلامُ في مجال الاتصال الجمعي والتي كانت ولا زالت لها أحسن النتائج الإيجابية في خدمة الدعـوة الإسلاميـة على مرّ العصور.

يقول الدكتور محي الدين: (وليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرنا أن خطبة الجمعة هذه هي من أهم وسائل نجاح العمل الإعلامي الديني، الذي مارس دوره على مر العصور، منذ انبثاق نور الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، فلم تستطع ولن تستطيع عواملُ الـزمن وتعاقب الدول والحكومات أن تنال من قدرتها الإعلامية، وترجع أهمية خطبة الجمعة إلى أنها مرتبطة بفريضة صلاة الجمعة ذاتها، بل إن خطبة الجمعة هي التي تميز صلاة الجمعة عن بقية الصلوات الخمس الدينية اليومية على مدار الأسبوع، فأصبح لزاماً على كل مسلم أن يشهد هذه الخطبة، انطلاقاً من قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿ يا أيها الذين آمِنوا إذَا نُودِيَّ لِلْصَلاَةِ مِنْ يَوْم الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خيرٌ لكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[1]﴾[2].

---

(١) سورة الجمعة الآية: (٩).

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحبيم: المرجع السابق ص ١٥٢.

والجديرُ بالذكر أن للخطيب وللخطبة ـ وبصورة خاصة خطبة الجمعة ـ ميزات خاصة يتوقفُ عليها نجاحُها، منها: لباقة الخطيب، وتمكنُه من اللغة العربية، ومقدرتُه على استمرارية شد المستمعين له بطريقة فنية، وإيجادُ التفاعلِ بين الخطيب وجمهور المصلين، وحسن اختيار الموضوع الذي يهم المصلين والناس إلى حد ما، كذلك تجنب السجع ما أمكن، والابتعاد قدر الإمكان عن التطويل بالخطبة مما يسبب الملل لدى المصلين، لأن الخطب الطويلة منهيٌ عنها في صلاة الجمعة، ولا بدّ أن يدعم الخطيبُ كلامه، وحججه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تتلاءم وموضوع الخطبة. وإن من أهم مميزات الخطبة الناجحة، البساطة والوضوح وتنوع الأساليب المعبرة وتقريبُ الناس من ربهم وتجديدُ أملهم برحمة الله. والخطيبُ الجيِّدُ هو الذي يعرف كيف يعطي خطبته قوةً وتأثيراً بالِغَيْنْ، يصل بهما إلى قلوب المصلين والمستمعين.

والجديرُ بالذكر أن العرب كانوا، حينما ظهر الإسلام وصدع النبي ﷺ بالرسالة، في أسنَى مدارج الفصاحة وأعلى طبقات البلاغة، يتنافسون في إنشاد الأشعار وإلقاء الخطب، وكان رسول الله ﷺ، هو سيد الفصحاء وإمام البلغاء. فكان عليه الصلاة والسلام أفصحهم لساناً، وأعذبهم منطقاً، وأحسنهم لفظاً، وأبينهم لهجةً وأقومَهُم حجةً، وأعرفَهُم بأساليب الخطابة، وأهداهم إلى طريق الصواب، تأييداً إلّهياً، وعناية ربانية ورعايةً روحانيةً.

فكان كلامُه سهلاً عذباً يفهمه كل من له أدنى إلمامٍ بلغة العرب، وهذا من أنواع بلاغته عليه الصلاة والسلام.

وهذا نموذج من كلامه وخطبه المألوفة: (إن أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدى هدى محمد ﷺ، وإنَّ شرَ الأمورِ محدثاتُها، وإن كلَ محدثة بدعةٌ، وكلَ بدعة ضلالة، وفي رواية أخرى: وإن أوثقَ العُرى كلمة التقوى، وخيرُ الملل ملة إبراهيم وخير السُنَن سُنّة محمد، وأشرفُ الحديث ذكر الله، وأحسن القصص القرآن)(١).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٣. والعقد الفريد ج ٢ ص ١٥٢.

والجديرُ بالذكر أن برنامج الخطابة الديني الذي استحدثه الإسلام لم يقتصر على خطبة الجمعة فقط، بل كان هناك العديدُ من المناسباتِ التي تؤدي فيها الخطب الدينية دورُها الإعلامي بنجاح تام، ومن هذه المناسبات الخطب التي كانت تُلقى على جموعِ الناس عند نزول الوحي بالآيات القرآنية الكريمة على رسول الله ﷺ، فقَد كان عليه الصلاة والسلام عندما ينزِلُ عليه الوحي بالآيات القرآنية الكريمة، يدعو الناس ليجتمعوا إليه في المسجد، ثم يصعد المنبر ويتلو عليهم ما أنزل الله عليه من الآيات البيّنات على شكل خطابي.

كذلك كانت هناك خطبتي عيد الفطر وعيد الأضحى، هاتان الخطبتان اللتان يتحدث فيهما الخطيب إلى جموع المسلمين في شؤون دينهم ودنياهم، ويبيّن لهم بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بتلك المناسبات الدينية الهامة في مثل هذه اللقاءات الجماعية، وكذلك خطبة الحج في موسم الحج الأكبر. وبهذا فإنه يمكننا القولُ بأن وسيلة الخطابة كان لها دورُها الإعلاميُّ الفعالُ في مجال الاتصال الجمعي، بما ساعدَ بنجاح تام على فتح السبل الكثيرة والفعالة في نشر الدعوة الإسلامية وبخاصة في الفترة الإعلامية التي أعقبت هدنة الحديبية.

الفصل الثاني

الإعلام التحريري

١ ـ الإعلام الدولي التحريري:

بدأ الإسلام مهمته الإعلامية الدولية منذ أن مُهدَتْ الجزيرة العربية لسريان الدعوة الإسلامية، وذلك بعد صلح الحديبية في نهاية سنة ست، وبداية سنة سبع للهجرة، ذلك الصلحُ الذي وضع حداً لفترة طويلة من الصراع الدامي بين المسلمين من جهة وبين قريش من جهة أخرى، حيث تفرغ الرسول ﷺ لنشر الدعوة الإسلامية في أطراف الجزيرة العربية وخارج حدودها على مرمى الآفاق في ملك الله الواسع، بعد أن ظل عليه الصلاة والسلام في جهادٍ متواصلٍ عبر مراحل تاريخ دعوته الخاتمة، منذ أن أمره الله سبحانه بأن ينذرَ عشيرته الأقربين، لتثبيت أركان الدعوة الإسلامية وتوسيع انتشارها بين الناس داخل الجزيرة، إذ لم يتمكن عليه الصلاة والسلام من إيجاد الفرصة المناسبة التي يستطيعُ بواسطتها نقلُ هذه الدعوة المباركة خارج الجزيرة العربية، إلا بعد معاهدة الحديبية.

وقد بدأت حركةُ الاتصال الإعلامي الخارجي بالملوك والرؤساء، وكل ذي شأن في قومه، دينياً كان أم دنيوياً لتبليغهم دعوة الله سبحانه وذلك

لتكمل رحمة الله على الإنسانية كلها وليتم بها الحجة على الناس.

فقد كَتَبَ عليه الصلاة والسلام إلى ملوكِ العالم ورؤساء الدول والقبائل من العرب والعجم، وإلى الأساقفة والمرازبة والولاة وغيرهم يدعوهم بدعوة الله سبحانه وتعالى إلى الإسلام، وأرسل لهم الرسل النابهين الذين رباهم في المدرسة المحمدية الشريفة فكان كلُ واحدٍ من هؤلاء الرسل يتكلمُ بلغة القوم الذينَ أرسل إليهم، ولقد كان في طليعة هؤلاء الرسل ستةُ رجالٍ من الصحابة الكرام خرجوا جميعاً في يوم واحدٍ يحملُ كلُ واحد منهم رسالةً من النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام إلى ملك أو زعيم، مختومةً بختم محمد رسول الله ولنستمع إلى صاحب الطبقات الكبرى وهو يتحدث عن الإعلام التحريري الدولي ومرحلة بدايته ومن ثم إلى رواية الإمام البخاري يقول ابن سعد: (لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست للهجرة أرسلَ الرسلَ إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتباً، فقيل: يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذٍ خاتماً من فضة، فصه منه نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله. وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كلُ رجلٍ منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم)[1].

ومن هنا فإننا نستطيع أن ندركَ بأن الإسلام إنما جاء نقلةً عظمى في حياة العرب والبشرية جميعاً، وأنه أيضاً المعجزة الكبرى الباقية عبر القرون وإلى يوم القيامة.

والجديرُ بالذكر أن معاهدة الحديبية هذه قد أعطت الفرصة للرسول ﷺ لنقل الدعوة الإسلامية إلى أرجاء العالم، وبهذه المرحلة من تاريخ الدعوة الإسلامية بدأ الإسلامُ مهمته الإعلامية الدولية عن طريق الاتصال الشخصي التدويني وعلى نطاق واسع.

(١) ابن سعد. الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨. وصحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٥ كتاب الجهاد والسير.

يقول الدكتور إبراهيم إمام: (عندما قام الرسولُ عليه الصلاة والسلام بحركته الإعلامية الدولية الواسعة، وأرسل كتباً إلى الملوك والحكام في السنة السادسة من الهجرة، استقر رأيهُ على أن يبعث لكل واحدٍ من هؤلاء رسالةً يحملها رسولٌ يستطيع أن يدعو إلى عبادة الله وحده، وإلى الإيمان بدين الإسلام، وبذلك اقترنَ الإعلام التدويني بالإعلام الشفهي الشخصي. ولم يكن نص الرسالة كافيا لإتمام الاتصال وتحقيق الدعوة إلى الإسلام، وإنما كان لا بدّ من تكاملِ الرسالة الخطيّة مع الحوار المقنع)[١].

ومما يذكر أن طلائع الرسل الذين انطلقوا من المدينة المنورة متوجهين نحو ما أمرهم نبيّهم الكريمُ عبر قارات العالم المختلفة، وهم يحملون رسائل النبي ﷺ إلى ملوك وزعماء العالم كانوا كما ذكرهم الطبري[٢]، وابن سعد وغيرهما هم على التوالي:

١ - عبد الله بن حذافة السهمي[٣]: مرسلاً إلى كسرى أبرويز ملك الفرس.

٢ - حاطب بن أبي بلتعة[٤]: إلى المقوقس زعيم القبط بالإسكندرية في مصر.

---

(١) د. إبراهيم إمام: الإعلام الإسلامي ص ٥٣ الأنجلو مصرية.

(٢) انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٢ ص ٦٤٤ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٣) ذكره العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة (ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧). هو عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أبو حذافة أو أبو حذيفة، يقال شهد بدراً وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال نزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ في عبدالله بن حذافة السهمي، بعثه النبي ﷺ في سرية، وقال ابن يونس شهد فتح مصر، وقال أبو نعيم توفي في مصر في خلافة عثمان.

(٤) هو حاطب بن أبي بلتعة بن عمر بن عمير بن سلمة بن جعب بن سهيل اللخمي. حليف بني أسد بن عبد العزى، اتفقوا على شهوده بدراً. وثبت ذلك في الصحيحين من حديث عليٍّ في قصة حاطب عندما أرسل كتابه إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ﷺ إليهم، فنزلت: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ سورة الممتحنة. وجد له ثلاثة أحاديث أحدها أخرجه ابن شاهين عن طريق يحي بن عبد الرحمن =

٣ ـ دحية بن خليفة الكلبي[1]: إلى هرقل إمبراطور الروم في الشام.

٤ ـ عمرو بن أمية الضمري[2]: إلى النجاشي الأول ملك الحبشة.

٥ ـ شجاع بن أبي وهب الأسدي[3]: إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.

٦ ـ سليط بن عمرو العامري[4]: إلى هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة.

= قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية فجئته بكتاب رسول الله ﷺ)، الحديث. . . . (الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني. ج ١ ص ٣٠٠).

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس الكلبي ـ صحابي مشهور، أول مشاهدة الخندق، وقيل أحد ولم يشهد بدراً، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته، وهو رسول النبي ﷺ إلى قيصر بحمص أول سنة سبع وآخر سنة ست للهجرة، وقد نزل دمشق وسكن المزة، وعاش إلى خلافة معاوية (الإصابة ج ١ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤).

(٢) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبدالله بن أياس بن كعب بن ضمرة الضمري أبو أمية. صحابي مشهور له أحاديث روى عنه أولاده جعفر وعبدالله والفضل وغيرهم، قال ابن سعد حين انصرف المشركون من أحد وكان شجاعاً، وكان أول مشاهده بئر معونة فأسره عمر بن الطفيل وجز ناصيته وأحلقه وبعثه النبي ﷺ للنجاشي في زواج أم حبيبة إلى مكة فحمل خبيباً من خشبته. وله ذكر في عدة مواطن، وكان من رجال العرب جرأة وعاش إلى خلافة معاوية، ومات بالمدينة (الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥٢٤. مكتبة المثنى لبنان الطبعة الأولى).

(٣) هو شجاع بن وهب ويقال ابن أبي وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كثير الأسدي. ذكره ابن إسحاق في السابقين الأولين وهو ممن هاجر إلى الحبشة وممن شهد بدراً وكذا ذكره موسى بن عقبة وابن الكلبي وعروة وقال ابن أبي حاتم شجاع بن وهب أخو عقبة من المهاجرين الأولين، قال المسور بن حزمة روى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة قال بعث النبي ﷺ شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحرث بن أبي شمر الغساني، وذكر ابن سعد عن الواقدي بأنه عليه الصلاة والسلام بعثه إلى الحرث بن أبي شمر الغساني استشهد باليمامة (الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٣٨).

(٤) هو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري. أسلم سليط قديماً قبل عمر وقد ذكره ابن إسحاق في مهاجرة الحبشة وذكره ابن إسحاق في تسمية الرسل إلى الملوك فقال سليط بن عمرو أرسله رسول الله ﷺ إلى هوذة بن علي رئيس اليمامة (الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٧١ ـ ٧٢ للعسقلاني).

هؤلاء الستة المختارون هم الرعيل الأول المبارك من رسل النبي ﷺ. وكل منهم ذو قدم ثابتة في الإسلام، وقد تربّى على هدى الوحي بين يدي الرسول الأمين محمد ﷺ، وكانوا حقاً في أمانتهم وتصرفاتهم وإجاباتهم على الأسئلة يمثلون القدوة الحسنة لرجل الإعلام المسلم، الذي يحمل مهمة التحرير الإعلامي.

والجديرُ بالذكر أن مضمون هذه المهمة الإعلامية الدولية الكبرى التي قام بها الرسول ﷺ يطلق عليها الإعلام في عصرنا الحاضر بـ(العملية الإعلامية).

وهذه العملية الإعلامية ينطوي تحتها تحليلُ الرسالة الإعلامية - من خلال المرسل والمستقبل، وموضوع الرسالة وحاملها ونتائجها - تحليلاً دقيقاً، ولنستمع إلى الدكتور محي الدين عبد الحليم وهو يتحدث عن أجزاء هذه العملية الإعلامية بقوله: (لا يكاد يختلفُ الباحثون أن العملية الإعلامية تشتملُ على العناصر الخمسة وهي:

١ - المرسل للرسالة الإعلامية.

٢ - الرسالة الإعلامية.

٣ - الوسيلة التي تقومُ بنقل الرسالة الإعلامية.

٤ - المستقبل للرسالة الإعلامية.

٥ - الاستجابةُ للرسالة الإعلامية)[1].

ومما يذكر أن هذه التقسيمات التي أوردها الدكتور محي الدين للرسالة الإعلامية تختلف في عددها ومسمياتها في نظر غيره من رجال الإعلام الآخرين. فمثلاً يرى الشيخ زينُ العابدين الركابي أن الرسالة الإعلامية تتكون فقط من أربعة عناصر هي:

١ - جهة الإرسال.

---

(١) د. محي الدين عبد الحليم: المرجع السابق ص١٨٦.

٢ ـ جهة الاستقبال.

٣ ـ موضوع الرسالة.

٤ ـ حامل الرسالة[1].

بينما يرى الدكتور عبد اللطيف حمزة من وجهة نظره أن العلمية الإعلامية تتكون من ثلاثة عناصر فقط، فيقول: (والإعلام في ذاته عملية خطيرة، وإذا نحن أردنا أن نحلل هذه العملية وجدناها تقومُ على ثلاثة عناصر هي:

١ ـ عنصر المرسِل (بكسر السين).

٢ ـ عنصر المستقبِل (بكسر الباء).

٣ ـ عنصر الأداء أو الرسالة[2].

وتأسيساً على هذه التقسيمات التي وضعها رجالُ الإعـلام للعملية الإعلامية، فإنه يمكننا القول بأن الرسائل التي أرسلها النبيُ ﷺ إلى ملوك وزعماء العالم آنذاك تمثلُ من وجهة النظر الإعلامية هذه، العملية الإعلامية المتكاملة.

وعلى هذا الاعتبار فإن المرسل لهذه الرسائل الإعلامية هو رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى ليكونَ خاتم الأنبياء والمرسلين جميعاً، وأن رسالته العظيمة هي خاتمة الرسالات السماوية جميعاً، هو غني عن التعريف، بل هو أعظم من أن يعرف.

أما حاملُ الرسالة الإعلامية، أو القائم بالاتصال، فهو أحد الصحابة الكرام الذين تربوا في المدرسة النبوية على يد رسول الله ﷺ، وتميزوا بميزات خاصة وضع أسسها صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام ورجل

---

(١) انظر كتاب الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٢٩٩.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٢٥.

الإعلام الأول، وهذه الميزات هي الصدقُ والحنكة والقدرةُ على المناقشة والأخذِ والردِ والفصاحة، وكذلك معرفة لغة القومِ الذين أُرسِلَ إليهم.

ولا بدّ لنا ونحن نتحدثَ عن الميزات التي يتميز بها رجلِ الإعلام الإسلامي عن غيره من رجال الإعلام الآخرين، أن نقارنَ رجلَ الإعلام الإسلامي بغيره من رجال الإعلام الآخرين مبينين ميزة كلٍ منهما.

١ ـ إن رجلَ الإعلام الإسلامي يختلف عن غيره من رجال الإعلام الآخرين، فهو رجل إعلام، وفي نفس الوقت فهو داعية إلى الله عزّ وجلّ.

٢ ـ إن رجلِ الإعلام الإسلامي، يعتبر نفسه معنياً مباشرة فيما يحملِ إلى الناس من مبادىء الدين الحنيف، بينما رجلُ الإعلام الآخر ليس له همٌّ إلا حمل الأخبار إلى غيره سواء قبلها الناس أم رفضوها، لذلك فهو يعتبرُ نفسه موظفاً ليس إلا.

٣ ـ إن رجلَ الإعلام الإسلامي يُعتَبرُ ممثِلاً لرسول الله ﷺ، فيما يحمل من مهمة إعلامية، لذلك فهو يناقشُ في الأمور ويرد على الأسئلة الموجهة إليه ويبت في المواضيع المطروحة. أما رجلُ الإعلام الآخر فلا يملك شيئاً من هذه المميزات.

٤ ـ إن رجل الإعلام الإسلامي يحملِ إلى الناس دعوة الله سبحانه وتعالى، لذلك فهو يعتبرُ نفسه مأجوراً ومُثاباً من الله سبحانه على تحقيق غايته التي خرج من أجلها، وإن الله سبحانه وتعالى سيجزيه على ذلك خيراً أما رجلُ الإعلام الآخر فإنه يعتبر الأجر المادي أساساً للتعامل في مهمته الإعلامية لذلك فهو لا يبذُل في مهمته إلَّا الجهد اليسير.

وأما فيما يتعلق بالنقطة الثالثة من أجزاء هذه العملية الإعلامية التي هي موضوع حديثنا هنا فهي:

الوسيلةُ التي تقوم بنقلِ الرسالة الإعلامية:

ومما يذكرُ أن الرسول ﷺ كان قد أعطى هذه الناحية اهتماماً كبيراً، فقد استخدم رسول الله ﷺ أرقى وأسرع الوسائل الإعلامية في زمنه لهذا

الغرض، وذلـك باستعمال الخيل أو ركوب البحر أو كليهما معاً، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة عندما وصل إلى المقوقس في الإسكندرية.

أما موضوع الرسالة الإسلامية: فهو دعوة الناس إلى الله سبحانه وتعالى من خلال دعوة التوحيد، فكان هذا الموضوع هو المحورُ الذي تدور عليه جميعُ الرسائل النبوية الكريمة.

وبهذا فإنَ جميعَ النقاط التي تتعلق بموضوع الرسالة الإعلامية والتي أطلق عليها رجالُ الإعلام، بالعملية الإعلاميـة، كان رسـول الله ﷺ قد أخذها باعتباره، ووضعها موضعَ التنفيذ كما شاهدنا من خلال هذا العرض لرسائل النبي ﷺ.

٢ ـ نماذج من الرسائل النبويّة:

إن ممـا تجدُرُ الإشـارةُ إليه أن الـرسائـل الإعلاميـة التي أرسلهـا رسول الله ﷺ إلى ملوك وزعماءِ العالم آنذاك، كانت تندرج تحت نموذجين اثنين هما:

١ ـ رسائل إلى أهل الكتاب.

٢ ـ رسائل إلى الوثنيين.

أما رسائل أهل الكتاب، فقد كانت موجهة إلى المقوقس عظيم القبط في مصـر وإلى هرقـل امبراطـور الروم في الشـام وإلى النجاشي ملك الحبشة.

وأما الرسائل التي كانت موجهة إلى الوثنيين فكانت إلى كسرى ملك الفرس وإلى الحارث بن أبي شمـر الغساني، وإلى هـوذة الحنفي ملك اليمامة.

والجدير بالذكر أن الرسـائلَ الإعـلامية التي أرسلهـا رسول الله ﷺ لإبلاغ دعوة التوحيد إلى الناس من أمراء وقضاة وزعماء كانت كثيرة جداً

وتتجاوز هذا العدد بأضعاف مضاعفة(1)، ولكننا أردنا أن نقتصرَ في دراستنا في هذا الفصل فقط على الرسائلِ الست الأولى وذلك للأسباب التالية:

١ - إن هذه الرسائل كانت بداية صورة جديدة من صور الإعلام الإسلامي الدولي التحريري.

٢ - إن هذه الرسائل قد جاءت نتيجة مباشرة لمعاهدة الحديبية، تلك المعاهدة التي تفرغ رسول الله ﷺ بعدها لنقل دعوته إلى العالم خارج نطاق هذه الجزيرة العربية.

٣ - إن هذه الرسائل الست تعتبر نموذجاً لرسائل النبويّة جميعها بصورة عامة. ولا بأس من أن نأخذ نموذجاً واحداً لكل من رسائل أهل الكتاب ورسائل الوثنيين في هذا البحث وذلك لنتمكن من دراسة النقاط المشتركة والنقاط المتميزة لهذه الرسائل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى للاستفادة من الأسلوب الإعلامي المعبر والمختصر الذي خطه رسول الله ﷺ لِكُلٍ من أهل الكتاب والوثنيين في هذه المهمة الإعلامية التحريرية الهامة.

نماذج لرسائل النبي ﷺ

نموذج الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى أهل الكتّاب:

وهي رسالة موجهة من رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام إلى هرقل إمبراطور الروم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمدِ بن عبدالله ورسوله - إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوكَ بدعاية الإسلام، أسلم تسلَم، وأسلم يؤتِك اللهُ أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم

(1) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ص ٢٥٨ - ٢٩١ والوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ومكاتيب الرسول ﷺ لعلي بن حسين علي الأحمدي دار المهاجر بيروت.

الأريسيين. و«يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[1].

نموذج من الرسائل التي أرسلها رسول الله ﷺ إلى الوثنيين:

وهي رسالة موجهة من رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس.

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهدَ أن لا إلّه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوكَ بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس[2].

وهكذا ومن خلال هاتين الرسالتين تتضح رسائل النبي ﷺ إلى أهل الكتاب والوثنيين، وذلك ضمن الحملة الإعلامية الدولية في مجال الإعلام التحريري.

وبالنظر لأهمية هذه الرسائل الإعلامية في مجال الإعلام التحريري، فإننا سوف نحاول تحليل النقاط الهامة المشتركة وغير المشتركة في هذه الرسائل.

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٦، باب بدء الوحي. وكذلك في كتاب الجهاد والسير ج ٢ ص ٢٣٤ نفس المرجع. وصحيح مسلم المجلد الثالث ـ باب الجهاد والسير ص ١٣٩٦، دار البحوث العلمية. ومسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢٦٣ وتاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١٤٠ وكنز العمال ج ١ ص ٢٧٥ والمواهب اللدنية للقسطلاني ج ٣ ص ٣٨٤. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧٥. المطبعة التجارية.

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٥ باب الآحاد. ابن جرير الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٦٥٤ ـ ٦٥٥، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٥، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢٦٩، ومسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٧٥، والمواهب اللدنية للقسطلاني في شرح الزرقاني ج ٢ ص ٣٨٩ وصحيح الإمام مسلم ج ٣ ص ١٣٩٧ باب الجهاد والسير دار البحوث العلمية.

التحليل الإعلامي للرسائل النبويّة

١ ـ الافتتاحية بالبسملة:

من الملاحظ أن جميع كتب النبي ﷺ تُفتتحُ بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهذه دلالة إعلامية إسلامية بارزة، لم تقتصر كتابتها على كتب أهل الكتاب فحسب، وإنما استعملت كافتتاحية عامة في كتب المسلمين، وأهل الكتاب والوثنيين على حدّ سواء. وقد أصبحت هذه الافتتاحية سُنّة عامة لجميع المسلمين يستنون بها في بداية كلامهم وفي صدور رسائلهم. والجدير بالذكر أن هذه الآية الكريمة جاء ذكرُها في القرآن الكريم في قصة سليمان والهدهد، عندما حمل الهدهد رسالة سليمان الإعلامية إلى ملكة سبأ لإعلامها وقومِها بدين الله ووحيه، وذلك بعد أن أخبرَ الهدهدُ سليمانَ بأنّه وجدها وقومُها يسجدون للشمس من دون الله، وفي هذا الكتاب كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[١].

ولا شك أن هذه الصورة من صور الإعلام الإسلامي الدولي، قد جاء بها القرآن الكريم ليبين للناس أن أنبياء الله سبحانه، ورسله الكرام كانوا يستخدمون الإعلام الدولي التحريري للدعوة إلى الله.

٢ ـ نلاحظُ أن الصفة المميزة لرسائل أهل الكتاب جميعها هي الآية القرآنية التالية:

﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً. وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٢].

٣ ـ كلمة الدعاية:

نلاحظ كذلك أن كلمة **دعاية** تتكرر في عدد من الرسائل التي أرسلها

(١) سورة النمل الآيات: (٣٠ ـ ٣١).
(٢) سورة آل عمران الآية: (٦٤).

النبي ﷺ سواء إلى أهل الكتّاب أو إلى غيرهم من الوثنيين.

وقد جاء ذكر كلمة (الدعاية) في كتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر، وكذلك في الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس[1]، وهي مذكورة أيضاً في الكتاب الذي أرله رسول الله ﷺ إلى كسرى.

والدعايةُ في المفهوم الإسلامي يأتي معناها من الدعوة[2] إلى الله سبحانه وتعالى ولكن مع مرور الأيام واختلاط المفاهيم وكثرة الاصطلاحات، فقد انقلب معنى هذه الكلمة رأساً على عقب، حيث أصبح معناها عند عامة الناس الآن يختلفُ عمّا كان عليه في زمن النبي ﷺ. فقد ذكر صاحبُ كتاب مكاتيب الرسول ﷺ نقلاً عن ابن الأثير قوله: (وفي كتابه ﷺ إلى هرقل يقول «أدعوك بدعاية الإسلام»، أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعو إليها المللَ الكافرة وفي رواية بدعاية الإسلام، وهي مصدر بمعنى الدعوة كالعافية... انتهى. ودعاية الله، بمعنى دعوة الله، ودعاية الله بمعنى التوحيد)[3].

غير أن كلمة الدعاية هذه قد تغير مفهومَها في القرون المتأخرة، وأصبح الناس يفهمونها على غير حقيقتها الطيبة التي جاء بها الإسلام، كما ورد ذلك في رسائل النبي ﷺ.

هذا ويتحدثُ الدكتور إبراهيم إمام موضحاً معنى الدعاية في مفهوم الإسلام فيقول: (ينطوي تحت ظاهرة الاتصال العديد من المصطلحات الدارجة وأهمها: الإعلام والدعاية والدعوة والتعليم وغيرها، ولعل كلمة الدعاية من أقدم هذه المصطلحات جميعاً، وقد عرفناها في تراثنا الإسلامي

---

(١) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله (دار الإرشاد ص ١٠٥). كذلك كتاب مكاتيب الرسول لعلي بن حسين علي الأحمدي.

(٢) جاء في صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب ٢٦ حديث ٧٤ المجلد الثالث قوله بدعاية أي بدعوته وهي كلمة التوحيد، ومعناها الكلمة الداعية إلى الإسلام ص ١٣٩٦.

(٣) انظر كتاب مكاتيب الرسول ﷺ لعلي بن حسين علي الأحمدي ص ١٠٦.

منذ نزول القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[1] وجاء في رسالة النبي ﷺ التي وجهها إلى كسرى وإلى المقوقس كلمة: «أدعوك بدعاية الله عزّ وجلّ، وأدعوك بدعاية الإسلام»، ثم يضيف الدكتور إمام قائلاً: وهكذا نجدُ أن كلمة (دعاية) تتكرر في رسائل النبي ﷺ، في حملته الإعلامية الكبرى الموجهة إلى العالم منذ السنة السادسة للهجرة، ثم يتابع الدكتور إمام حديثه عن كلمة الدعاية فيقول: وكلمة دعاية هي من الكلمات الطيبة التي تعبر عن المعاني السامية للعقيدة الإسلامية حتى ظهور التعاليم البروتستانتية المتأثرة بالإسلام من حيث التوحيد ورفض التثليث، وعدم الإيمان بتحول النبيذ والخبز إلى دم المسيح وجسده. ونبذ الصور والتماثيل التي كانت توضع في الكنائس. وعدم الاعتراف بأن البابا - وهو بشر - يمكن أن يكون معصوماً من الخطأ فضلاً عن التعريض بصكوك الغفران فوجدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها في مأزق حرج، وراحت تنشد الخلاص من هذه التعاليم الجديدة التي اعتبرتها كفراً وخروجاً على المسيحية، ثم يضيف الدكتور إمام قوله: ثم تدهور مفهوم الدعاية في عالم السياسة والاقتصاد، وخاصةً بعد ظهور المبادىء الشيوعية والفاشية والنازية. فالدعاية (أصبحت في معناها الحالي) ركناً أساسياً لتلقين المذهب الشيوعي، وهي تأتي بعد مرحلة التشكيك والإثارة. كما أنشئت في ألمانيا النازية وزارة للثقافة العامة والدعاية في ٣٠ يونية سنة ١٩٣٣م، بعد أن تولى هتلر الحكم في يناير من نفس السنة وعين غوبلز وزيراً لها، وجاء في قرار إنشاء الوزارة أنها تشرف على جميع وسائل التأثير الذهني والأدبي، كما تقوم بالدعاية لصالح الدولة وثقافتها واقتصادها القومي. وأنشأ موسليني في إيطاليا وزارة للصحافة والدعاية التي تحولت إلى وزارة الثقافة الشعبية في أول يونية سنة ١٩٣٧، ومهمتها الإشراف على الصحف والمطبوعات والمسرح والسينما والأدب والدعاية والفنون والإذاعة والسياحة. ثم يستطرد الدكتور

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: (٤٥ - ٤٦).

إمام في حديثه عن استعمالات كلمة الدعاية ومفهومها فيقول: وتستخدم الدعاية للترويج للسلع والمنتجات ورفع المبيعات، وتؤثر هذه الدعاية بالإعلان، متوجهةً بذلك إلى الغرائز والانفعالات وخاصةً الغريزة الجنسية، فتربط السلع بصور النساء العاريات، حتى ولو كانت السلع لا تتصل بذلك، كالمياه الغازية وشفرات الحلاقة وإعلان السيارة التقليدي الذي يصور امرأة ورجلاً استغلالاً للغرائز والأحاسيس لنفس الغرض وهو خلق رغبات جديدة للشراء. . .)[1].

هذا ويتحدث الدكتور محي الدين عبد الحليم عن معنى الدعاية في الإسلام فيقرر بأن الدعاية والدعوة أصلهما اللغوي واحد، وإنهما لا يختلفان في مفهومها الإعلامي في الإسلام فيقول: (والدعوة في المفهوم الإسلامي تختلف عن الدعاية بمعناها الحديث بالرغم من أن الأصل اللغوي لكل منهما واحد. ذلك أن الدعاية تخاطب العواطف وتستند إلى الخيال وتعملُ على تشويه الحقائق، وقد اكتسبت الدعايةُ هذه المعاني والأوصاف السيئة بعد الحرب العالمية الثانية حين شوّه هتلر معناها الأصيل في حربه الدعائية ضدّ الحلفاء على يد وزير دعايته دكتور جوبلز، وبدأت الدعاية بالتالي تأخذ مساراً آخر مختلفاً تماماً عن المعاني الأصلية لها)[2].

٤ ـ بدء الرسائل النبوية الكريمة باسمه عليه الصلاة والسلام قبل اسم الشخص الذي أرسلت الرسالة النبوية الكريمة إليه، وذلك إجلالاً وإعظاماً لرسالة النبوة وأداءً لحقها.

وكان الذين كتبوا إليه رسائل جوابية من الملوك والزعماء وغيرهم، قد بدأوا رسائلهم أيضاً باسمه قبل أسمائهم، وذلك بعد أن تبيّن لهم نبوته

---

(١) انظر كتاب الإعلام الإسلامي للدكتور إبرهيم إمام ص(٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧) الأنجلو مصرية: نقلناها ببعض تصرف.

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم. الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية صفحة: ١٤١. مكتبة الخانجي بمصر.

الحقة، وصدق دعوته، ولو أنهم لم يعترفوا بذلك في ظاهرهم لمصالح دنيوية خاصة.

فقد كتب المقوقس رسالةً جوابية إلى رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، فبدأها باسم رسول الله قبل اسمه هو، وفي ذلك اعتراف ضمني بنبوّة محمد عليه الصلاة والسلام لأن الشيء المتعارف عليه هو أن الرسائل تكون عادةً مبدوءة بأسماء الأعاظم من الرجال وهذا نص البداية لرسالة المقوقس الجوابية لرسول الله ﷺ (لمحمد بن عبدالله من المقوقس)[1].

وكان ردُ هرقل في رسالته الجوابية لرسول الله ﷺ أيضاً هو كالآتي:

(إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم)[2].

كذلك كان ردُ النجاشي في رسالته الجوابية نفس الأسلوب:

(إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبحر)[3].

٥ ـ الأسلوب البلاغي المؤثر:

وهو خير الكلام ما قلّ ودلّ، فقد كانت رسائل النبي الكريمة ﷺ، تتميز بأنها قليلة الكلام كثيرة المعنى، لا يوجد فيها تكلف، واضحة، يفهم منها الحاجة. فمثلاً قوله عليه الصلاة والسلام (أسلم تسلم) فهذا تعبير جامع يجمع بين الترغيب والترهيب، أي إن تُسلم تَسلَم من الجزية والقتل، ومن زوال الملك أيضاً، هذا كله في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فيسلم فيها من نار جهنم.

---

(١) انظر (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة صفحة: ١٠٧، دار الإرشاد بيروت للدكتور محمد حميدالله.

(٢) المرجع السابق صفحة: ٨٢.

(٣) المرجع السابق صفحة: ٧٨ وذكره الطبري في تاريخ الرسل والملوك ج ٢ صفحة ٦٥٢ - الطبعة الثالثة.

أما قوله عليه الصلاة والسلام فعليك إثم المجوس أو (فعليك إثم الأريسيين) وذلك إذا لم يُسلم فإنه يكون السبب بعدم إسلام قومه وإبقائهم على الكفر، وأنه بهذا يتحمل إثمهم جميعاً يوم القيامة.

٦ ـ ختم النبوّة:

كذلك فقد تميزت الرسائل النبويّة الكريمة بأنها مختومة بختم النبوّة، وهذه دلالة إعلامية إسلامية بارزة لها أهميتها واعتبارها لدى الملوك والزعماء، إذ أنه لا يُعقل أن يكتب مثل هذه الرسائل بمثل هذا الأسلوب رجل عادي، وظروفه الجغرافية والاقتصادية والعسكرية لا تمكنه من مواجهة أي من هؤلاء لوحده، فكيف به يكتب إليهم جميعاً (أسلم تسلم). يقول مولانا محمد علي تعليقاً على حركة البعثات والرسائل النبويّة إلى الملوك والزعماء (إن الظروف التي أحاطت بتوجيه هذه الرسائل النبـويّة للملوك والأمراء لتستحق شيئاً من التأمل والاعتبار، فلو أن الرسول ﷺ وجّه هذه الرسائل بعد إخضاع بلاد العرب برمتها لنفوذه، إذن لكان في إمكان الباحث أن يعتبرها عملاً أوحى به الطموح إلى التوسّع في الملك والنفوذ، فقد كان المسلمون إلى ذلك الحين أضعف من أن يشقوا طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج. وكان المشركون لا يزالون هم أصحاب السلطة الحقيقة، حتى أنهم قد فرضوا شروط صلح الحديبية على النبي ﷺ)[1].

من هنا يستطيعُ المرءُ أن يدركَ أن الرسول ﷺ لم يكن يهدفُ من وراء هذه الحركة الإعلامية الكبيرة إلى التوسع أو النفوذ أو إلى جاه أو سلطان أو نحو ذلك، وإنما كان الرسول ﷺ يهدِفُ من خلال هذه الحركة الإعلامية المحلية والعالمية الواسعة أن يبيّن للعربِ وغيرهم من الناس، بأن الإسلام إنما جاء إلى الناس كافةً وليس للعرب وحدهم. ولهذا السبب كان النبي عليه الصلاة والسلام مهتماً كلَ الاهتمام بتبليغه إلى الناس بكل الوسائل الإعلامية المتاحة آنذاك، وقد جاءت هذه الرسائل الإعلامية إحدى

---

(١) مولانا محمد علي: حياة محمد ورسالته ص ١٩٧ ـ ١٩٨ الترجمة العربية لمنير البعلبكي.

هذه الوسائل الإعلامية التي استخدمها الرسول ﷺ لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس على المستوى الدولي في أعقاب هدنة الحديبية.

وقد تبيّنَ لنا من خلال دراستنا للأسلوب الإعلامي المميز لهذه الرسائل النبويّة أن هذه الرسائل كانت ذات طابع خاص، وذات سمات متميزة تختلف بها عن غيرها من الرسائل الأخرى، الأمر الذي يدل على القدرات العالية والذكاء العالي المستوى، الذي كان يتمتع بهما الرسول ﷺ، يقول الدكتور أحمد بدر: (إن أسلوب الرسالة الإعلامية وكلماتها قد يدلنا على أشياء كثيرة تتصل بذكاء المصدر وقدراته، وتتصل بشخصيته ودوافعه وتتصل بالقيم التي يؤمنُ بها والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها وتتصل كذلك باجتهاداته وموقعه الاجتماعي وتتصل أيضاً بالجماعات التي ينتمي إليها)[1].

وبدون أدنى شك فإن هذا العهد الجديد الذي نهجه الإعلام الإسلامي الدولي، وذلك باتخاذه من وسيلة الكتابة منهجاً وأسلوباً جديداً لنشاطاته الإعلامية، ليعتبر بحق أحد الفنون الحضارية المتقدمة التي مارسها الإسلام لنشر دعوته، ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور حمزة عن هذا الموضوع.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (إن الكتابة فن حضاري خالص لا مراء في ذلك، وقد مارست الكتابة تأثيرها القوي في الجماهير وبأشكال مختلفة، أولها الرسائل ونخص بالذكر منها (الرسائل الديوانية)، وهي الرسائل التي تصدر عن الحاكم أو الخليفة أو الملك أو الأمير أو الوزير أو كل ذي سلطة قوية في الدولة)[2].

إعداد الرسل:

قبل أن يبدأ رسول الله ﷺ بإرسال رسله إلى الملوك والزعماء، كان

---

(١) الدكتور أحمد بدر الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص ٣٠ ط . دار العلم.

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام به تاريخه ومذاهبه صفحة: ١٩ ط دار الفكر.

قد أعدّ هؤلاء الرسل من أصحابه الكرام إعداداً روحياً خاصاً، وأرسى لهم قواعد العلاقات والتعامل الدولي بما يؤهلهم تأهيلاً إعلامياً عالي المستوى لحمل دعوة التوحيد، وتمكين كلمة (لا إله إلّا الله محمد رسول الله) تمكيناً ترفرف رايتها عالية خفاقة في آفاق المعمورة، في حمل كتبه عليه الصلاة والسلام وإنفاذها إلى أصحابها أنفسهم دون غيرهم، ومواجهة المواقف التي من شأنها إعداد النفوس، وتهيئتها لاستقبال هذا الدين الذي جاء رحمة إلى الناس كافة.

وقد وضع عليه الصلاة والسلام قواعد التعامل الإعلامي الدولي حينما قرر جمعَ عددٍ من أصحابه الكرام، ليحملوا رسائله الكريمة إلى ملوك وزعماء الدنيا في ذلك الزمن. وقد أعدهم أعداداً يؤهلهم للقيام بهذه المهمة الإعلامية الدولية عندما أخبرهم بأن الله قد بعثه بهذا الدين إلى الناس كافةً، وأنهم رسل هذا الدين إلى الناس، وقد حَمَّلَهم أمانة تبليغ هذا الدين بالوجهة التي يرضاها الله ورسوله وأوصاهُم بأن لا يختلفوا كما اختُلف من قبل على عيسى بن مريم عليه السلام. فقال عليه الصلاة والسلام كما جاء في سيرة ابن هشام من رواية الهذلي قال: (بلغني أن رسول الله خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صُد عنها يوم الحديبية فقال: «أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيس بن مريم، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك إلى الله فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بُعث إليها)[1].

ومن هنا ندركُ بأن هؤلاء الرسل الكرام لم يكونوا مجرد حاملين للرسائل أو ناقلين للكتب فقط وإنما كانوا هداة مهتدين. أعدهم رسول الله ﷺ من خلال صحبتهم الطويلة له ليواجهوا قادة العالم وملوك

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٧٨ / ٢٧٩. ط دار الفكر.

الدنيا بما يحملون من إيمان وهدى، وأخلاق إسلامية عالية، مكنتهم من معرفة كيف يمد الإسلام يده الرحيمة بالسلام والتفاهم الإنساني، والجدال بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان الحجة بالمنطق والبرهان، وهذه التربية الكريمة اكتسبها الصحابة الكرام من نبيّهم الكريم ﷺ الذي لبث فيهم قرابة العشرين عاماً وهو يتلقى وحي السماء، ويثِّبتُ في قلوب من حوله من أصحابه الكرام التعاليم الربانية التي تسمو بهم إلى الاعتزاز بالله وحده، والإيمان بهذا الدين إيماناً يسري في كيانهم سريان العصارة الحية في الشجرة الخضراء المورقة مما جعل لديهم القدرة والتمكين على حمل رسائل النبي ﷺ عبر قارات العالم المعمور آنذاك، وأن يتحدثوا بالإسلام إلى أعظم ملوك الدنيا أتباعاً وسلطاناً، بعزيمة المؤمن الثابت على الحق المبين، وأن يعرُضوا لهم دعوة التوحيد في أجمل صورها وأبهى حللها، مما جعل دعوة التوحيد هذه هي المحور الذي يدور حوله حديثُ العالم في كافة أنحاء المعمورة آنذاك.

فعندما كانت هذه الدعوة تشقُّ طريقها إلى قلوب الناس وضمائرهم في جميع أنحاء الجزيرة العربية؛ كانت في الوقت نفسه تتردد أصداؤها في الحوار الدائر بين رجال الإعلام الإسلامي، ومن أُرسلوا إليهم من ملوك وزعماء العالم في كافة أنحاء المعمورة وفي وقت واحد.

ومن المعلوم أنه لم يكن وصول هؤلاء الرسل بما معهم من الكتب أمراً يألفه الملوك والرؤساء، وإن كانت بشائر النبوة المحمدية معروفة لديهم من الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم، ولكن ليس الخبر كالعيان فقد ظهر البشيرُ النذيرُ من بين العرب وها هي دعوته أمامهم بيضاء ناصعةً تواجههم بالحق وجهاً لوجه وها هم رجالُه الذين حملوا أمانة تبليغ هذه المهمة العظيمة ينتشرون في كافة أرجاء المعمورة

هؤلاء الرجال الذين أعدّهم الرسول ﷺ لهذه المهمة الإعلامية الدولية كانت تتوفر فيهم القدرةُ الفائقة في اتقان أساليب العرض وفن الحوار والمجادلة بالحسنى، بالإضافة إلى معرفتهم التامة بالأديان ولغات الأقوام

الذين أرسلوا إليهم، ومن هنا تتضح مهمة رجل الإعلام الإسلامي الدولي.

يتحدث الدكتور عبد القادر حاتم عن هدف الإعلام وعن المهمة الإعلامية التي يسعى رجلُ الإعلام إلى تحقيقها حتى تكون مهمته الإعلامية قد وصلت إلى النجاح المطلوب فيقول: (إن الهدف من الإعلام هو أن تكون هناك فكرةٌ معينة يريد توصيلها إلى المرسَل إليه إما فرداً أو جماعةً أو شعباً، فإذا نتج عن هذه الفكرة أن اتَّبع المرسَلُ إليه السلوكَ الذي تريده الفكرة، فإن رجل الإعلام يكون قد نجح في تحقيق غرضه)[1].

هذا وتتحدث الدكتورة جيهان رشتي موضحة مهمة القائم بالاتصال فتقول: (إن القائم بالاتصال يأخذ باعتباره وهو يضع رسالته، الشخص الذي سيستقبِلُ تلك الرسالة، فيتوقع الاستجابات المحتملة التي سيقوم بها مُتلقِي الرسالة ويحاول أن يتنبأ بتلك الاستجابات في وقت مبكر)[2].

ولا شك أنه قد جرى إعداد الرسل الذين حملوا رسائل النبي ﷺ على أساس المعرفة التامة بكل ما يجب أن يعرفونه عن الأشخاص الذين أرسلوا إليهم. وبخاصة فيما يتعلق بأديانهم ومعتقداتهم وبكل ما ذكرته كتبهُمُ عن النبي محمد ﷺ.

حامل الرسالة الإعلامية:

يعتبر حامل الرسالة الإعلامية هو نفسه رجل الإعلام الإسلامي وعلى هذا الأساس فإننا في هذا البحث سنستعرضُ أسلوب الحوار الذي أتبعه حاطب بن أبي بلتعة حامل رسالة رسول الله ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، كمثال لرجل الإعلام الإسلامي في هذا المجال.

خرج حاملوا رسائل رسول الله ﷺ إلى ملوك وزعماء العالم، من

---

(١) الدكتور عبد القادر حاتم. الإعلام والدعاية. نظريات وتجارب، ص ١٠٠.

(٢) الدكتورة جيهان رشتي. الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ص ٣٩٨. ط. دار الفكر العربي.

المدينة المنورة كل واحدٍ منهم متوجه إلى الجهة التي أرسله رسول الله ﷺ. فتوجه حاطب بن أبي بلتعة قاصداً مصر عبر الصحاري والقفار، فلما وصلها ذهبَ منها إلى الإسكندرية حيث كان المقوقس في مجلس شرف له في مصيفه على البحر

فركب حاطِب سفينةً إليه وحاذى مجلسه، وشار بالكتاب إليه، فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه. فلما جيء به إليه وقف بين يديه ونظر في الكتاب فضه وقرأه ودار بينهما الحوار التلي:

(المقوقس لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده إلى غيرها أن يُسلط عليه)؟

حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه، ألاَّ يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حيث رفعه إليه.

المقوقس: أحسنت أنت حكيم من عند حكيم.

حاطب: إنه كان قبلك من يزعم أنه الرب الأعلى (يقصد فرعون) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم منه. فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك. إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى. ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام إلاَّ كبشارة عيسى بمحمد ﷺ.

وما دعاؤُنا إياك إلى القرآن، إلا كدعائك أهلَ التوراة إلى الإنجيل. وكلُ نبي أدرك قوماً فهم أمته. فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح بل نأمرك به، ويقصد حاطب بدين المسيح وليس المسيحية.

المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوّة بإخراج الخباء (المستور)، والإخبار بالنجوى،

وسأنظر. ثم وضع كتاب النبي ﷺ في علبة من العاج وختمه ودفعه إلى وصيفته)[1].

لبث حاطب في ضيافة المقوقس خمسة أيام أُكرم فيها مثواه، ولقيه في أثنائها مرة بعد مرة واستمر بينهما الحوار.

ودار حوار آخر كان بينهما في اجتماع مغلق كما يعبرون الآن:

(المقوقس: أسألُك عن ثلاث.

حاطب: لا تسألني عن شيء إلاَّ صَدَقتُك.

المقوقس: ما الذي يدعو إليه محمد؟

حاطب: يدعو إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهي عن أكل الميتة والدم.

المقوقس: صفه لي.

حاطب: (وصفت فأوجزت).

المقوقس: بقيت أشياء لم تذكرْها. في عينه حُمرة قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزيء بالتمرات والكسرة ولا يبالى من لاقى من عم أو ابن عم. هذه صفته وكنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه بالشام وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج من أرض العرب في جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في أتباعه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا، حتى يظهروا على ما

---

(١) انظر كتاب: كُتَّابِ الوحي للدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى، ص ١١٣ - ١١٦ دار اللواء السعودية. وكتاب الإعلام الإسلامي للدكتور إبراهيم إمام، ص ٥٣ و٥٤، الأنجلو مصرية. وكتاب الإعلام في صدر الإسلام للدكتور عبد اللطيف حمزة، ص ١٥٢ و١٥٣، دار الفكر العربي، والسيرة الحلبية ج ٣ ص: ٢٨١.

ها هنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً ولا أُحب أحداً أن يعلم بمحادثتي هذه إياك)[1].

ولقد كان من نتيجة أسلوب الحوار البناء الذي أتبعه حاطب بن أبي بلتعة مع ملك القبط وطريقة العرض التي اعتمد بها على الذكاء والحكمة والجدال بالحسنى، أن رق قلب المقوقس وكاد يخفقُ بالإسلام ولكنه لم يُسلم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وقد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسالة جوابية مع بعض الهدايا من بينها جاريتان هما مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ وأختها سيرين[2].

وهذا نص الرسالة التي بعث بها المقوقس إلى رسول الله ﷺ وقد بدأها باسم رسول الله ﷺ وجعل اسمه بعد اسم رسول الله، مما يدل على أنه قد تأثر تأثراً بالغاً بأسلوب ولباقة رجل الإعلام الإسلامي حاطب بن أبي بلتعة الذي أحسن واتقن مهمته الإعلامية على خير وجه.

جواب المقوقس:

(لمحمد بن عبدالله من المقوقس:

سلام، أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمتُ رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكانة في القبط عظيمة وبكسوة، وأهديتُ إليك بغلة لتركبها والسلام)[3].

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٥٠٣ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٠ واسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨١ وكنز العمال ج ٥ ص ٣٢١.

(٢) انظر كتاب: كُتّاب الوحي للدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى ص١١٦. دار اللواء السعودية.

(٣) الدكتور محمد حميد الله. الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص: ١٠٧. دار الإرشاد والدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى من كتاب ـ كُتّاب الوحي ص: ١١٦، دار اللواء السعودية. وكتاب الإعلام في صدر الإسلام: لعبد اللطيف حمزة ص: ١٥٣.

ولا شك أن الطريقة المثلى التي أتبعها رجل الإعلام الإسلامي في حواره مع ملك القبط تمثل القاعدة الأساسية لأسلوب الاتصال الشخصي المباشر وذلك من خلال التوصيات والتعليمات التي ربى رسول الله ﷺ أصحابه الكرام عليها وأعدهم لها من خلال صحبتهم الطويلة له.

وهنا تكمن أسرارُ الدعوة الإسلامية في إعداد الرجال وتأهيلهم تأهيلاً يمكنهم من القدرة على التأثير المباشر والإقناع الذي يؤدي إلى تغيير الطبائع الشخصية والسلوكية لدى الآخرين.

ولا شك أن هؤلاء الدعاة قد اتخذوا من رسول الله ﷺ المثل الأعلى لهم في الحياة الدنيا، فكانوا بذلك يمثلون القدوة الحسنة أيضاً لرجل الإعلام المسلم، وذلك من خلال إجادتهم واتقانهم للأساليب الإعلامية المختلفة التي مارسوها أثناء اتصالاتهم الميدانية بالناس، وبتنوع هذه الأساليب تتنوع درجات الإقناع والتأثير، فرب شخص تقنعه الحجة العقلية عن طريق الذهن والوعي، وآخر تخاطبه عن طريق الحس والوجدان، وثالث تصل إليه عن طريق القصص والخيال، من أجل ذلك كانت أساليب القرآن الكريم متعددة ولكنها جميعاً تصل إلى أعماق الضمير الإنساني، وبهذا نستطيع أن ندرك أن الرسول ﷺ، كان جديراً باختيار من يمثلونه لإعلام الرجال مثل: المقوقس، وهرقل وغيرهم من ملوك وزعماء العالم، فقد كان عليه الصلاة والسلام أكثر الخلق فراسة في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب.

هذا ولنستمع إلى الدكتور محي الدين عبد الحليم وهو يتحدث بإعجاب كبير عن أسلوب العرض والإقناع الذي أتبعه حاطب في هذا الحوار. يقول الدكتور محي الدين: (وقد ضرب حاطب بن أبي بلتعة أروع الأمثلة في سعة الأفق وسرعة البديهة وقوة الإقناع في حديثه مع المقوقس، وهذا يتطلب شرطين أساسيين للتحدث هما:

١ ـ الإيمان القوي الراسخ بما يقول.

٢ ـ الثقافة الواسعة والمتعمقة بما يقول(١).

ولا بأس أن نستعرض تحليلاً إعلامياً مختصراً لأسلوب الحوار الذي أتبعه حاطب مع المقوقس. فعندما قال المقوقس لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعوا على أعدائه فيسلط عليهم؟

أجابه حاطب بجواب مفحم، قال له: ما منع عيسى بن مريم (وهو النبي الذي تؤمنون به) من أن يدعو على أعدائه وينشر دعوته أيضاً. فقد أحدث هذا الرد أثره العميق في نفس المقوقس وقد تابع حاطب كلامه، فضرب له الأمثال الحية بمن كان قبله وكيف أنه أصبح عبرة لغيره، وحذّره من أن يكون هو أيضاً عُبرةً لمن يعتبر، وألزمه الحجة، بأتباع هذا النبي الذي جاء على زمانه، وضرب له مثلاً حياً، عندما قال له: ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام، إلّا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وأن الإسلام لم يأت للقضاء على النصرانية بل جاء لتصحيح مسارها، وهو يكفي عن سواه من الأديان. وهكذا نستطيع أن ندرك كيف مارسَ رجل الإعلام الإسلامي الاتصالَ الشخصيَّ المباشر بنجاحٍ تام. يقول د. محي الدين عبد الحليم (وتؤكد هذه الرسالة أن محمداً ﷺ قد أرسى دعائم الاتصال الشخصي المباشر، وهو أسلوب من أنجح أساليب الإعلام وأكثرها تأثيراً)(٢).

ولا شك أن هذه النتائجُ الإيجابيةُ التي حققتها الرسائل النبوية الكريمة في مجال الإعلام التحريري الدولي، وأسلوب الحوار الشخصي المباشر لَيؤكدُ بما لا يدعُ مجالاً للشك بأن رسول الله ﷺ قد قام بوضع القواعد الأساسية الصحيحة لفن الاتصال الشخصي المباشر. يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة (وهكذا أثبت التاريخُ أن محمداً أول من زاول «الاتصال الشخصي المباشر» من وسائل الإعلام القديمة وذلك عن طريق

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم المرجع السابق ص ١٨٥ مكتبة الخانجي بمصر.
(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم المرجع السابق ص ١٨٦

الوفادة وطريق الرسالة، وأن مما لا شك فيه أن العرب في الإسلام كانوا أقدر على ممارسة هذه الوسيلة من وسائل الإعلام منهم في الجاهلية، لا لشيء إلاّ لاختلاف القيم التي كانت تحكمهم في الجاهلية، وقد رأينا أن القيم التي كانت تحكم المجتمع العربي في الجاهلية كانت قيماً مبنية في أكثرها على العنف والشر، بينما كانت القيم التي حكمت العرب في الإسلام كانت تبنى على التقوى والإيمان، وفي ظل هذه القيم الأخيرة نجح الفن الذي مارسه الرسول ﷺ وهو فن الدبلوماسية)[1].

وكما أن الإسلام قد اهتم بحامل الرسالة الإعلامية فإنه أي الإسلام قد ضرب مثلاً رائعاً على اهتمامه بمتلقي الرسالة الإعلامية أيضاً، ويتضح ذلك من خلال أسلوب الحوار البناء الذي دار بين حاطب بن أبي بلتعة والمقوقس، وكيف حاول رجل الإعلام الإسلامي أن يدخل إلى قلب المقوقس عندما قال له أن الإسلام لم يأت للقضاء على النصرانية وإنما جاء لتصحيح مسارها، وبأن الإسلام لا ينكر نبوَّة عيسى بن مريم، بل يعترف بها وبجميع الرسالات السماوية السابقة، هذا ويتبين اهتمام الإسلام كذلك بمتلقي الرسالة من خلال أسلوب الرسالة ذاتها. ذلك الأسلوب الذي يتضمن الدعوة إلى الخير والنصح والهداية وعدم الإشارة إلى التهديد أو السيطرة أو سلب الملك وبهذا يكون الإعلام الإسلامي قد أعطى متلقي الرسالة الإعلامية اهتماماً كبيراً. تقول الدكتورة جيهان رشتي (فالمتلقي هو أهم حلقة في عملية الاتصال، وإذا لم يصل المصدر إلى المتلقي بالرسالة، يصبح وكأنه يتحدث إلى نفسه. ومن أهم الأمور التي تؤكدها نظرية الاتصال ضرورة الاهتمام بالشخص الموجود في نهاية السلسلة أي المتلقي، هذا الاهتمام بالمتلقي هو المبدأ الذي يوجه أي مصدر يقوم بالاتصال)[2].

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص: ١٥٥ ـ ١٥٦ دار الفكر العربي.

(٢) الدكتورة جيهان رشتي. الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص: ١٤٨ ط. دار الفكر.

نتائج الرسائل النبوية:

لقد كان نداءُ التوحيد الذي أبلغه رسول الله ﷺ لقريش منذ أن بدأ بتبليغ رسالة الإسلام إليهم هو نفس النداء الذي دعا به رسول الله ﷺ ملوكَ الدنيا إلى عبادة الله وحده لا شريك له في فترة ما بعد الحديبية.

ونجدُ صدى النداءَين الأول في جبال مكة، والآخر في قصور ملوك العرب والعجم. وكلاهُما نداءٌ واحد يقرع الآذان ويملأ القلوب إجلالاً، وتحس منه الأفئدة رأفة ورهبة.

فهو في الحقيقة لا يعدو، أن يكون نداء لوالد الرؤوف الذي يدعو الناس بعطف وحنان إلى ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم، ولا شك أن هذا النداءُ الكريم قد يواجه هيجاناً وانقلاباً روحياً، فكان للنداء، الموجه إلى ملوك العرب والعجم في بداية السنة السابعة، قد أيقظ الشعور الحي فيهم، فلم يتمالكوا أن استجاب معظم هؤلاء الملوك والزعماء لنداء الحق والنبوّة، واتخذ آخرون جانب الصلح والمهادنة وأرسلوا الكتب المملؤة بالإكرام والإعظام والاعتذار والهدايا الثمينة وهذه نتائج لبعض الرسائل.

ذكر جمع من المؤرخين والمحدثين أن هرقل حينما قدم عليه كتاب رسول الله ﷺ مع دحية بن خليفة الكلبي. قال لدحية: (ويحك والله إني لأعلم أنَّ صاحبك نبيٌّ مرسل وإنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا، ولكني أخافُ الروم على نفسي، ولولا ذلك لأتبعته فاذهب إلى ضغافر الأسقف واذكر له أمر صاحبكم، فهو والله أعظمُ في الروم مني، وأجوز قولاً عندهم مني، فانظر ما يقول لك. فجاءه دحية، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل، وبما يدعوه إليه، فقال ضغافر صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتبنا باسمه، ثم دخل فألقى ثياباً كانت عليه سود، ولبس ثياباً بيضاء ثم أخذ عصاه فخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم، أنه قد جاءنا كتابٌ من أحمد يدعونا فيه إلى الله عزّ وجلّ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمداً عبده ورسوله. قال: فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، فضربوه حتى قتلوه، فلما رجع دحية إلى هرقل،

فأخبره الخبر، قال: قد قلتُ لك إنا نخافهم على أنفسنا، فضغائر والله كان أعظمُ عندهم وأجوز قولاً مني، وفي رواية أنه قال لأخيه حين رمى الكتاب قال: أترمي بكتاب رجلٍ يأتيه الناموس الأكبر؟ وقال لأبي سفيان إن كان ما تقوله حقاً فإنه نبي، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي هاتين، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه)[1].

هذا ما كان من نتيجة الكتاب الذي حمله دحية الكلبي إلى هرقل. وقد رأينا كيف أن هرقل قد تأثر بهذا الكتاب وأراد الاستسلام لله ولرسوله ﷺ لولا خوفه على نفسه وعلى ملكه من أصحابه المتعصبين. كذلك فلقد رأينا نتيجة الكتاب الذي بعثه النبي ﷺ إلى المقوقس مع حاطب، حينما قال له المقوقس: (إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب. وأرسَل إلى النبي ﷺ برسالة ودية بدأها باسم رسول الله ﷺ قبل اسمه، وحمَّل مبعوث رسول الله ﷺ الهدايا الفاخرة والثمينة، وأرسلَ معه جيشاً يرافقه حتى بداية حدود بلده، فوجد حاطِب قافلةً متوجهةً إلى المدينة المنورة فرافقها إلى هناك)[2].

وكان عندما وصل عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ودفع إليه كتاب رسول الله ﷺ، مزّق كسرى الكتابَ حينما رأى اسم رسول الله ﷺ قد كُتب قبل اسمه، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك، قال: «اللهم مزِّق ملكه». ولكن الكتاب بلغ أهدافه، إذ حرك في كسرى رغبة ملحة في معرفة أخبار رسول الله ﷺ (فكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن أبعث من عندك برجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتياني بخبره. فبعث باذان قهرمانه ورجلاً آخر إلى رسول الله ﷺ، فبعثَ معهما كتاباً،

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٦ باب بدء الوحي دار الفكر، وصحيح مسلم ج ٣ كتاب الجهاد والسيرة ص ١٣٩٤. والطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٦٥٠ طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة. والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٤ طبعة دار الفكر بيروت.

(٢) انظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٦٥٦ طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة.

فقدِما المدينة ودفعا بكتاب باذان إلى رسول الله ﷺ، الذي يطلب به إحضار النبي ﷺ مع هذين الرجلين، فتبسم النبي ﷺ ثم دعاهما إلى الإسلام، وفرائصهما ترتعد، وقال: ارجعا عني يومكما حتى تأتياني الغداة فأخبركما بما أريد، فجاءاه من الغد فقال لهما: أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربُه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها، وأن الله تبارك وتعالى قد سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله، فرجِعا إلى باذان بذلك فأسلم هو والأبناء الذين باليمن)[1].

أما النجاشي (فأخذ بكتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنتُ أستطيعُ أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه لله رب العالمين على يدِ حامل رسالة رسول الله)[2] وذكَر ابنُ الأثير (أن المنذر بن ساوي والي البحرين لما جاءه العلاء بن الحضرمي بكتاب رسول الله ﷺ أسلم هو وأسلم جميعُ عرب البحرين، وكان هذا الكتاب قد أعقب الكتب الستة مباشرة)[3].

وأما كتابُه ﷺ الذي ذهب به شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بنِ أبي شمر الغساني، فإن الحارث لم يُسلمْ، ولكن شجاع قال: (إن رجلاً من حاشية الحارث اسمه مري كان يسألني عن رسول الله ﷺ، فكنت أحدثه عن صفته وما يدعو إليه، فيرِقُّ حتى يغلبه البكاء ويقول: إني قد قرأت الإنجيل فأجد فيه صفة هذا النبي بعينه، فأنا أؤمن به وأصدقه وأخافُ من الحارث أن يقتلني. فلما رجع شجاع قال: أمر لي بمائة مثقال ذهب ووصلني وأمر لي بنفقة وكسوة، وقال اقرىء رسول الله ﷺ مني السلام،

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٦٠ ط دار صادر بيروت. والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٥ ـ ١٤٦. دار الفكر بيروت.

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٥ ط. دار الفكر بيروت.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٢ ص ١٤٦ دار الفكر بيروت.

فأخبرته، فقال ﷺ صدق، وقال عن الحارث باد ملكه)[1].

أما فروة بن عمرو الجذامي الذي كان عاملاً لقيصر على عمان من أرض البلقاء، فأسلم دون أن يكتب إليه رسول الله ﷺ[2].

وأما هوذة بن علي الحنفي الذي بعث إليه رسول الله ﷺ سليط بن عمرو العامري، وهو أحدُ الستة، فقد قرأ كتاب النبي ﷺ وأُعجِبَ به، وكتب إلى النبي ﷺ يقول: (ما أحسن ما تدعو إليه وأجلّه وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر، ولكن الرسول ﷺ أخبره بأنه لم يُسلِم)[3].

ومن خلال هذا التحقيق لنتائج كتب رسول الله ﷺ في مجال الإعلام التحريري، فإنه يمكننا القول بأن هذه الرسائل قد أدت دورها بنجاح كبير، وأنها حققت أعظم النتائج الإيجابية في هذا الميدان، وكذلك في ميدان الاتصال الشخصي المباشر. وبهذا فإن الإسلام لم يقتصر في نشر دعوته على وسيلة إعلامية واحدة ولكنه كان رائداً وسباقاً في كافة الميادين الإعلامية الفعالة. تقول الدكتورة جيهان رشتي: (إن ريشة الكتابة ساعدت في تطوير الهندسة وبناء المدن، والكتابة هي الوسيلة الأساسية التي جعلت دورة الحضارة تبدأ، فكانت خطوة إلى الإمام من الظلام إلى النور، فاليد التي قامت بملء صفحات جلد الماعز بالكتابة، قامت ببناء المدن، وتعلم الإنسان رسم ما يقوله (الحدث) ولغة العيون، كما تعلم كيف يلون الفكر ويجعل له بناءً أو كياناً بالحروف الهجائية)[4].

ولا شك أن الرسول ﷺ عندما قام بهذا الأسلوب الإعلامي الناجح فإنه يكون قد أسس فن العلاقات السياسية بين الدول.

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦١. دار صادر بيروت.
(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ص ٢٦٢.
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٢.
(٤) الدكتورة جيهان رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٣٧٥ - ٣٧٦ دار الفكر العربي.

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة في رده على ادعاءات المؤرخين: (إن الدبلوماسية «فن العلاقات بين الناس» بدأ في الفاتيكان على يد أحد البابوات منذ أخذ هذا البابا يبعث بالوفود إلى الملوك والأمراء لأغراض دينية وأخرى سياسية. ولكن الرسول ﷺ قام بحركته الإعلامية الدولية في ممارسة هذا الفن من الاتصال قبل ذلك بسبعة قرون)[1]. بمعنى أن النبي ﷺ هو أول من مارس فن العلاقات السياسية بين الناس.

وبهذه النتائج الإيجابية التي تحققت للدعوة الإسلامية من خلال فترة الهدنة التي أعقبت صلح الحديبية، فإننا نستطيعُ القولَ بأن الإعلام الإسلامي ينشط في جو السلم لأن الدين الإسلامي يعتمدُ على الإقناع والمنطق والبرهان والدليل الواضح والحجة البالغة، وهذا هو الجو الذي تنتعش فيه الدعوة الإسلامية، وتبلغ أهدافها بنجاح.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (أثبتَ صلحُ الحديبية أنه عامل فعال من عوامل نشر الدين الإسلامي، وأن هذا الدين ينمو في جو السلم أكثر مما ينمو في جو الحرب)[2].

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ٥٥، دار الفكر العربي.

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق ص ١٧٠.



الفصل الثالث

الأثر الإعلامي للغزوات والسّرايا الحربيّة في نشر الدّعوة وحمايتها

الحالة العامة في الجزيرة العربية بعد الصلح:

لقد أصبحت المنطقة الكائنة جنوب المدينة المنورة منطقة أمينة بالنسبة للمسلمين بعد توقيع معاهدة الحديبية مع قريش بعد أن كانت هذه المنطقة أخطرُ ما يهدد الدعوة الإسلامية وذلك لأن فيها قبائل قوية ذات حضارة وعقيدة بينما كانت قبائل الشمال، وحتى حدود العراق والشام، قبائل بدوية ممعنة في البداوة، وبما أن هدنة الحديبية قد حققت للمسلمين الاستقرار في المنطقة الجنوبية للمدينة المنورة، فإنه لم يبق أيةُ عوائق أمام انتشار الدعوة الإسلامية في كافة أنحاء المناطق الشمالية سوى خصمين فقط هما:

١ ـ يهود في منطقة خيبر وما حولها.

٢ ـ الأعراب في شمال المدينة المنورة.

وعلى هذا الأساس فإن متطلبات حماية الدعوة الإسلامية تقتضي إزالة العوائق والعقبات من طريقها حتى تصل إلى الناس جميعاً بحرية تامة ودون إكراه على قبولها.

ومن هنا كان لا بدّ من الدخول في حرب وقائية لتحقيق هذه الغاية.

والجدير بالذكر أن منطقة خيبر كانت تمثل نقطة التجمع ومركز الثقل بالنسبة لليهود جميعاً في كافة أنحاء الجزيرة العربية وخاصةً بعد أن انضم إليهم يهود بني النضير؛ الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة المنورة، بعد أن خانوا العهد والميثاق مع المسلمين ـ كعادتهم في ذلك منذ فجر التاريخ ـ وهموا باغتيال الرسول ﷺ وهو في ديارهم(1).

عَمد هذا التجمع اليهودي الخبيث في خيبر وما جاورها على التآمر المستمر ضد المسلمين، وتحريض القبائل العربية، وجمع الأحلاف العسكرية ضدهم، منذ وصول المسلمين إلى المدينة المنورة، في السنة الأولى للهجرة، وما غزوة الأحزاب الرهيبة إلّا من نتاج أعمالهم المشينة.

ولم ينفك هؤلاء اليهود في خيبر وفدك وما جاورهما على التآمر والتحريض ضد المسلمين، وإيواء أعدائهم وقذفهم بالتهم والتشبيب بأعراضهم والغدر بهم كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

ومما يذكر أن اتفاقية الحديبية قد حرمت هؤلاء اليهود من معاونة قريش لهم في مؤامراتهم وحروبهم ضد المسلمين، فاستمالوا قبائل غطفان لمعاونتهم على تنفيذ مخططاتهم الإجرامية الخبيثة والمستمرة.

إنهم كما هو معروف عنهم تاريخياً لا ينظرون إلاَّ إلى مصلحتهم الخاصة ولا يُبالون كي يحصلوا عليها أن يستخدموا أي وسيلة لذلك.

وعلى ضوء هذه الحقائق والأسباب جميعها، قرر الرسول ﷺ الدخول في حرب وقائية ضدهم في خيبر وما جاورها، للقضاء على فتنهم العمياء وشرهم المستطير، وللتخلص من أقوى أعداء الإسلام في المنطقة الشمالية، حتى تكون تلك المنطقة أمينة أمام الدعوة الإسلامية والدعاة

---

(1) انظر تفاصيل هذه الحادثة في السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٩١ ـ ١٩٢ طبعة رياسة البحوث العلمية ـ الرياض.

المسلمين، وحتى لا تتكرر فتنة الأحزاب مرة أخرى. وهذا هو السبب الرئيسي لهذه الحرب الوقائية. ويوضح هذه الحقيقة الدكتور عبد اللطيف حمزة بقوله: (إن الرسول ﷺ لم يكن يبغي من وراء هذه الغزوات إلى توسيع في الملك أو السلطان ونحو ذلك، إنما كان يهدف إلى شيء واحد فقط هو تبليغ الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام، فليس بينه وبين أعداء هذا الدين إلاَّ أن يقولوا: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله)[1].

والإسلام ـ كما هو معلوم للجميع ـ لم يكن ليجبر أحداً على اعتناق مبادئه، ولكن يجب أن يكون السلطانُ والحاكمية في الأرض لله وحده، كما ويجب الاعتراف بهذا السلطان، والالتزام بتأمين الدعوة والدعاة حتى يأخذ دين الله طريقه إلى قلوب الناس بحرية تامة. قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُشْدُ مِنَ الغـيِّ... الآية..﴾[2].

١ ـ طبيعة الحرب في الإسلام:

إن القصد من دراسة الغزوات الحربية هو أن نسلط الضـوء على الجوانب الإعلامية التي تم بواسطتها نشر الدين الإسلامي بين الناس عن طريق الغزوات والسرايا التي وقعت بعد صلح الحديبية والتي فتح اللهُ بها على الدعوة الإسلامية بالانتصارات الإعلامية الرائعة، تلك الانتصاراتُ التي ساعدت على توطيد دعائم الدين الإسلامي الحنيف في كافة أنحاء الجزيرة العربية.

وقبـل الدخـول في تفاصيـل تلك الحملات العسكـريـة والسـرايـا الاستطلاعية الحربية التي أرسل بها الرسول ﷺ إلى بعض المناطق التي سيرد ذكرها، لا بدّ لنا في البداية من توضيح طبيعة وأهداف الحرب في الإسلام.

إن مما لا شك فيه أن الإسلام في هذه الحياة قضية كبرى، يخوض

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة الإعلام في صدر الإسلام ص ١٦٤ دار الفكر العربي.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

على أساسها معارك متعددة الجوانب، ليس القتال الدامي إلَّا أحد صورها المتعددة، ألا وهي قضية التكليف الذي وضعه الله سبحانه في هذه الأمة بالدعوة إلى سبيله سبحانه وتعالى في تبليغ الرسالة الخاتمة.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالِمِينَ نَذِيراً ﴾[1].

وقال جلّ شأنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا كَافَةً لِلْنَاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[2].

ومن خلال هذه الآيات تتضح عالمية الدعوة الإسلامية وشمولها كما ويتضح أيضاً التكليف الذي وضعه الله سبحانه لأمة الإسلام لحمل أمانة تبليغ الرسالة الخاتمة.

ولما كانت رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات السماوية، فإنه من الطبيعي أن يكون الدين الإسلامي الحنيف شاملاً لجميع صفات الكمال التي تؤهله بأن يكون ديناً شافياً لجميع أمور الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم في كل زمان ومكان.

فهو دين يفي بحاجة الإنسانية جمعاء ويصون وحدتها، وأن تشريعاته تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد لا تنزع معه إلى عصبية دم، أو اختلاف لون، أو فرقة جنس.

وكذلك اتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود الإنساني، إذ لا يتعارضُ مع الحقائق الكونية، ولا يختلفُ مع منطق الفكر، فهو دين الله القويم خالق هذا الكون.

وبهذه الخصائص يتضح كمال هذا الدين وشموله وأهليته وعالميته ومن هذه الصفات والميزات العظيمة تأتي مهمة التكليف بالدعوة إلى الله سبحانه التي هي في الحقيقة مهمة الإعلام الإسلامي بحمل هذه الدعوة

---

(١) سورة الفرقان الآية (١).

(٢) سورة سبأ الآية (٢٨).

إلى الناس بكافة الطرق والوسائل المشروعة. وهذا التكليفُ واجبٌ على كل مؤمن ومؤمنة بغض النظر عن القبول أو الرفض من الناس، إذ لا يُعفى المسلمون من مهمة تبليغ الدعوة إلى الناس بنصوص القرآن والسنّة. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[1].

وإن مما لا شك فيه أن حمل الدعوة إلى الناس يتطلب إزالة الحواجز والموانع والمعوقات التي تحول دون وصول هذه الدعوة إليهم.

ومن هنا تبدأ مهمة الإسلام في خوض معركة التصحيح الشامل التي حجبت ولا زالت تحجب الحق والنور المبين عن أعين الناس وقلوبهم، وذلك بفعل طواغيت الأرض في كل زمان ومكان.

وبما أن الإسلام جاء لإصلاح كافة شؤون الحياة فإن معركة التصحيح الشامل تقضي بأن يكونَ في معركة مستمرة ودائمة وذاتِ جوانب متعددة: فهو في معركة مع الانحراف عن التوحيد، ترمي إلى تحرير العقول من الشك والشرك والخرافة والوهم والجمود على موروثات الباطل، وتقليد الآباء في الضلال، وهو في معركة مع النفوس والضمائر ترمي إلى إقامتها على منهج الفطرة السويّ... في صفائه وطهره ونقائه ونوره، حتى لا تستبدُّ بها الأهواء، ولا تستغرقُها الشهوات فتشدها إلى ترابِ الأرض وتكبلها بإغلال الحياة، وهو في معركة مع الأوضاع الفاسدة... في علاقات البشر وشؤون الحكم والتربية ونظم الاجتماع والاقتصاد وسائر ضروب النشاط الإنساني.

وهكذا فإن الإسلامَ في معركة عامة وشاملة ودائمة ليس القتال إلاَّ بعض صورها ووسائلها المتعددة، فإذا كانت ظروف إيصال الدعوة إلى الناس تلجأ إليه أحياناً، وإذا كانت النفوس تندفع في بعض المواطن طلباً لخوض ميادينه، فليس مرد الأمر في ذلك إلى حب القتال من أجل القتال

(١) سورة البقرة الآية (١٤٣).

أو سفك الدماء، وإنما الغرض من ذلك هو التصحيح الشامل، وتقويم الانحرافِ، وإصلاح المجتمع، ودرء الفتن، وقطع دابر الفساد، وإنقاذ البشر من الفوضى والاضطراب، وحماية الحق من العابثين، واستئصال جذور الشر من حياة البشر، وصيانة قيم الخير في الأرض، وإتاحة الفرصة للبشرية أن تنعم، بظلال المبادىء السمحة الخيرة في كل ميدان من ميادين الحياة.

لهذا فالإعلام الإسلامي في معركة تصحيح جذري شامل لما كانت عليه حياة الناس في قبضة الجاهلية وأوضاعها الفاسدة، وتقاليدها المدمرة، وأحكامها الملتوية من ضلال في العقيدة، وانحلال في الخلق، وضياع لمقومات الوجود الإنساني، وعدوان على الضعفاء وهدر للحقوق، وإزهاق للنفوس.

والمسلمون مكلفون بالإعداد لمقاومة البغي، ومقارعة الظلم والفساد، ومنازلة قوى الشر، حتى لا تستذل الرقاب، ولا يشتد ساعد الباطل، ولا ينال من المسلمين عدو مهما كان، من دينهم أو كرامتهم أو ديارهم. قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(1).

وبهذه المعاني العظيمة والمبادىء السامية يبدو واضحاً للجميع أن المسلمين إنما يخوضون معركتهم في سبيل الله لا يطلبون أن يتملكوا رقاعاً من الأرض، أو يستولوا على مرافق غنية بالثروات، أو يستعمروا شعوباً لتسخيرها لمآرب مادية أو مطامع دنيوية، فذلك كله في مقياس الإسلام ظلمٌ وعدوان، يتنافى مع شريعة الله التي تأبى التسلط والاستغلال، وتعمل على سيادةِ مبادىء العدالة والحرية وكرامة الإنسان. قال تعالى: ﴿ الذين

---

(1) سورة الأنفال الآية (٦٠).

آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾[1].

أغراض الجهاد في الإسلام

١ ـ حمايةُ الدعوة الإسلامية وتأمينُ حرية الدين للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم في دينهم وفي ذلك يقول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ، فَإِنِ انْتَهَوا، فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَىٰ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

إزالةُ العقبات من أمام دعوة الحق حتى تصلَ إلى الناس جميعاً ويتحدد موقفهم منها تحديداً واضحاً.

وعلى ضوء هذا التحديد تكون معاملة الإسلام وأهله للناس، فالمؤمنون إخوانهم والمعاهدون لهم عهدهم، وأهلُ الذمة يُوفّى إليهم بذمتهم، والأعداء المحاربون ومن تُخشى خيانتهم يُنبذ إليهم على سواء. فإن عدلوا عن خصومتهم للمسلمين فبها، وإلاّ حوربوا جزاء عدوانهم، حتى لا يكونوا عقبة في طريق دعوة الحق أو مصدر تهديد وخيانة للإسلام وأهله.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولَ الله، وأن يُقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دِماءهم

(١) سورة النساء الآية (٧٦).
(٢) سورة البقرة الآية (١٩٣).
(٣) سورة الأنفال الآية (٥٨).

وأموالهم إلَّا بحق الإسلام وحسابُهم على الله»[1].

وهكذا أتاح الجهاد جواً ملائماً لحرية الإعلام الإسلامي، إذ لم يكن للإكراه على اعتناق الإسلام، بل على العكس كان قتالاً لمنع الإكراه على البقاء في الكفر، ومنع الظلم والعدوان، وإتاحة الفرصة لتبليغ الراسلة مهما كلف ذلك من جهد. يقول الدكتور إبراهيم إمام: (الأصل في الجهاد أن يمهد الطريق لحرية الإعلام الإسلامي ويُتيح الفرصة أمام رجاله كي يُبَلِّغوا الرسالة ويُؤدوا الأمانة لأنه ﷺ بُعث رحمة للعالمين)[2].

فالمسلمون إذن يجاهدون لرفع كلمة الله، ويقاتلونَ لإزاحة العقبات عن طريق الدعوة إلى الله، وهم يؤمنون بأن حرية الإعلام هي القاعدة الأساسية التي يختار على هديها الإنسان دين الحق. فليس القتال لإزهاق الأرواح، وإنما رغبة في إشاعة جو الدعوة إلى التوحيد، وإعلام الناس بحقائق الدين القائم على الحق والحرية والعدل والإيمان بالله وحده. قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهْوَ كُرْهٌ لَكُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهْوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهْوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

وعلى هذا الأساس فالجهاد يفتح الطريق أمام دعوة مشروعة من الله سبحانه لأن الحق ليس سلبياً صامتاً، بل هو ناطق مبين، ولا بدّ لبيانه أن يصل إلى كافة الناس بحيث تتاح لهم الفرصة لمعرفته وإدراكه وفهمه، وتوطئة للاقتناع والإيمان به عن بيّنة. ومن العبث القول بأن الحق يظهر وحده دون جهد إعلامي أو دعوة شارحة مفسرة، فالإعلام الإسلامي ضرورة حتمية لكمال الرسالة حتى يكون الكافر بعد ذلك قد كفر عن بيّنة، وبذلك

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الإيمان ج ١ ص ١١ - ١٢ دار الفكر. وفي جامع الأصول ج ١ ص ٢٤٥ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. مطبعة الملاح.
(2) الدكتور إبراهيم إمام الإعلام الإسلامي ص ١٠ - ١١ مكتبة الأنجلو مصرية.
(3) سورة البقرة الآية (٢١٦).

يتحقق قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1].

ولا يتحققُ مغزى بعث الرُسُل إلَّا إذا تمّ التبليغ، وحمله الإعلاميون والمرشدون والدعاة والمفسرون، كما حمله الرسول ﷺ، وأوصى من بعده بأن يخلفوه في حمله وهذه هي رسالة الإعلام الإسلامي في تبليغ الدعوة الإسلامية.

يقول الدكتور محي الدين في حديثه عن أثر الجهاد وأهميته في تبليغ الدعوة الإسلامية والإعلام بالدين فيقول: (لا يستصيع أيُ منصف أن ينكر الدور البارز الذي لعبه الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية. وتعتبر غزوات الرسول ﷺ أقوى عوامل انتشار الإسلام، وهل نستطيع أن ننكر الفتوحات الإسلامية قد ساهمت بشكل فعال في نشر دعوة الإسلام على هذه الرقعة الفسيحة من الأرض؟ ثم يتساءل فيقول: ولكن هل كانت هذه الفتوحات هدفها التوسع والسيطرة والسلطان على هذه الامم ظلماً وعدواناً؟ إن الضابط الحقيقي لحركات المسلمين وسلوكهم هو كتاب الله سبحانه، فالحق سبحانه يقول: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[2])[3].

والجدير بالذكر أن المسلمين لم يكونوا في جميع غزواتهم وحروبهم هم البادئين في القتال، وإنما كانت حروبهم تتلخص برد العدوان وحماية الدعوة الإسلامية، وتقوية هيبتها وحماية الدعاة المسلمين من غدر الغادرين أو إعداد المشركين لمهاجمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. يقول الدكتور علي حسن الخربوطلي: (لم يؤذن للرسول ﷺ أبداً أن يبدأ بقتال أحد ولكن الحروبَ التي خاضها كلها كانت حروباً دفاعية بالدرجة الأولى،

---

(١) سورة الأسراء الآية (١٥).

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٠).

(٣) الدكتور محي الدين عبد الحليم الإعلام الإسلامي وتطبقاته العملية ص ١٦٤ مكتبة الخانجي بمصر.

ولم يدخل المسلمون في حروب مع الدولتين الفارسية والرومانية فيما بعد، إلَّا بعد أن بدأوهم بالعدوان وقتل بعض من أسلم من القبائل المجاورة، وعملوا على القضاء على هذا الدين الجديد الذي يهدد طموحهم وأطماعهم الاستعمارية في الجزيرة العربية)[١].

ثم يتحدث الدكتور شكري فيصل عن أهداف الجهاد والفتوحات الإسلامية وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية فيقول: (فالجهاد والفتوحاتُ الإسلامية لم يكن هدفها العدوان والاستيلاء على أراضي الغير، ولكنه التطلع النفسي الذي يثيرهُ حق الدعوة في نفوس أصحابها، فقد خرجت الجماعة الإسلامية داعيةً إلى الله يملؤها هذا الإحساس الذي يموج صدور الدعاة ويتدفق في أعماقهم)[٢].

٢ ـ الغزوات والسرايا:

١ ـ غزوة خيبر:[٣]

تاريخُها: ذكر ابن هشام عن رواية ابن إسحاق أنها كانت في المحرم سنة سبع. قال ابن هشام: (أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر)[٤].

قائدُها: كانت هذه الغزوة بقيادة رسول الله ﷺ.

عددُها: ذكر ابن الأثير أن عدد المسلمين الذين كانوا في هذه الغزوة يقدر بألف وأربعمائة رجل ومعهم مائتا فارس[٥]، وهم أهل الحديبية.

هـذا ولقد كانت راية النبي ﷺ بيضاءَ في هذه الغزوة ومكتوب عليها

(١) علي حسني الخربوطلي: تاريخ العالم الإسلامي ص ٣٦، ٣٧.
(٢) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ص ١٠٩.
(٣) خيبر: هي بلدة على ثمانية برد من المدينة المنورة لمن يريد الشام. ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٣ ص ٤٩٥. دار بيروت للطباعة والنشر.
(٤) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٨.
(٥) انظر الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٧ لابن الأثير. دار الفكر.

لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله. وكان رسول الله ﷺ قد دفعها إلى القائد المظفر علي بن أبي طالب وقال له: «انزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم»[1].

الخطةُ العسكرية: لقد كانت خطة الرسول ﷺ تقوم على عزل خيبر عن حلفائها من قبائل غطفان وعلى عدم تجمع القوات المعادية للمسلمين في مكان واحد، لذا فقد أرسل عليه الصلاة والسلام مفرزةً عسكرية صغيرة للقيام بهجوم خاطف على ديار غطفان، مما اضطرّهم إلى ترك يهود خيبر والرجوع إلى ديارهم بسرعة ظناً منهم أن الهجوم موجة ضدهم، وهكذا فقد نجح الرسول ﷺ في استخدام الحرب النفسية بإيقاع الرعب في نفوس محاربي قبيلة غطفان ومن ثم تشتيت تجمع هذه القوات.

ومما يذكر أن قوات اليهود في خيبر كانت تقدر بعشرة آلاف مقاتل[2]. وبعد معارك طاحنة استطاع المسلمون بفضل الله سبحانه، ثم بقيادة النبي ﷺ الحكيمة، من تحقيق الانتصار على يهود مما اضطرهم إلى الاستسلام للمسلمين، فصالحهم النبي ﷺ على أن يكون لهم الحق في البقاء في بلادهم، وحقن دمائهم، وإعفاء نسائهم وذراريهم من السبي، مقابل دفع الجزية للمسلمين، والاعتراف بسلطان الإسلام والخضوع لأحكامه.

وكان هذا التسامح من النبي ﷺ مع هؤلاء الغادرين بعد إخضاعهم عسكرياً، أمراً ما كانوا ليظفروا به لولا روح العطف والرحمة التي عاملهم بها النبي ﷺ.

وهكذا وبهذه الشروط فقد تمّ استسلام بقية يهود بدون قتال في

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٧٧ كتاب المغازي باب غزوة خيبر. دار الفكر.

(٢) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٣٧. عالم الكتب بيروت.

مناطق فدك ووادي القرى وتيماء[1]، وهي مناطق تقع شمال المدينة المتورة حول خيبر.

٢ ـ سرية بقيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة[2] في شعبان سنة سبع[3] وعدد أفرادِها ثلاثون رجلاً[4].

٣ ـ سرية بقيادة أبي بكر رضي الله عنه إلى نجد في شعبان سنة سبع[5] وهي دورية قتال صغيرة لتأديب بعض الأعراب من هوازن.

٤ ـ سرية بقيادة بشير بن سعد إلى فَدَك لتأديب بني مرة في شعبان سنة سبع[6] وعدد أفراد هذه السرية ثلاثون رجلاً[7].

٥ ـ سرية بقيادة غالب بن عبدالله إلى الميفعة[8] في رمضان سنة سبع[9] وعدد أفرادها مائة وثلاثون رجلاً[10].

٦ ـ سرية بقيادة بشير بن سعد إلى الجناب[11] سنة سبع[12] وعدد أفرادها ثلاثمائة رجل[13] وهي حرب دفاعية ضدّ تجمع غطفان وعيينة الذين أعدوا العدة للهجوم على المدينة.

٧ ـ سرية بقيادة ابن أبي العوجاء السلمي في ذي الحجة سنة سبع[14] وعدد أفرادها خمسون رجلاً[15] وهي موجهة ضدّ بني سليم.

---

(١) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٠٦ ـ ٧٠٧ ـ ٧١٠ ـ ٧١١.

(٢) تربة: هي موضع على طريق صنعاء ونجران وتبعد مسافة أربع ليال من مكة (ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٥). وتسكن هذه المنطقة قبائل هوازن.

(٣، ٤، ٥) الواقدي. المغازي ج ٢ ص ٧٢٢ عالم الكتب بيروت.

(٦، ٧) المرجع السابق ص ٧٢٣.

(٨) قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٦. إنها وراء بطن نخلة إلى النقرة بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية برد.

(٩، ١٠) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٢٦.

(١١) الجناب. جاء في عيون الأثر ج ٢ ص ١٤٨ أنها من أرض غطفان.

(١٢، ١٣) الواقدي المغازي ج ١ ص ٧٢٧.

(١٤، ١٥) الواقدي المغازي ج ٢ ص ٧٤١.

٨ ـ سرية بقيادة غالب بن عبدالله الليثي بالكديد[١] في صفر سنة ثمان [٢] وعدد أفرادها بضع عشرة رجلاً[٣] .

٩ ـ سرية بقيادة كعب بن عمير إلى ذات إطلاح[٤] في شهر ربيع الأول سنة ثمان[٥] وعدد أفرادها خمسة عشر رجلاً[٦] .

١٠ ـ سرية بقيادة شجاع بن وهب إلى جمع هوازن من أرض بني عامر في ربيع الأول سنة ثمان [٧] وعدد أفرادها أربعة وعشرون رجلاً[٨] .

١١ ـ غزوة مؤتة [٩].

في جمادي الأولى من السنة الثامنة للهجرة[١٠] .

قادتها: عين رسول الله ﷺ لهذه الحملة العسكرية ثلاثة من القادة الأفذاذ بالتعاقب وهم على التوالي:

١ ـ زيد بن حارثة. القائد الأول فإن استشهد يكون:

٢ ـ جعفر بن أبي طالب. القائد الثاني فإن استشهد يكون:

٣ ـ عبدالله بن رواحة القائد الثالث.

فإن استشهد يصطلح المسلمون على رجل منهم.

وعدد أفرادها ثلاثة آلاف مقاتل[١١] .

---

(١) الكديد برفع أوله وكسر ثانيه. وهو التراب الدقاق المركل بالقوائم (ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٢.

(٢، ٣) الواقدي المغازي ج ٢ ص ٧٥١ ـ ٧٥٢.

(٤) إطلاح. ذكر الواقدي أن أطلاح هي من أرض الشام وتسكنه قبائل بني قضاعة، المغازي ج ٢ ص ٧٥٢.

(٥، ٦) المرجع السابق ص ٧٥٢.

(٧، ٨) المرجع السابق ص ٧٥٣.

(٩) مؤته: قال ابن سعد في الطبقات ج ٢ ص ٩٢ هي اسم موضع في أدنى البلقاء دون دمشق.

(١٠، ١١) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٢٧. دار الفكر

وكانت هذه الحملة موجهة لتأديب القبائل التي تسكن على أطراف الجزيرة العربية على حدود الشام بعد أن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي، حامل رسالة رسول الله ﷺ إلى عامل هرقل على بُصرى بالشام.

ولأهمية هذه الغزوة، نرى أن نورد بعض التفاصيل المتعلقة بها. بدأ القتال بين قوتين غير متكافئتين عدداً وعُدداً، حيث كانت قوات الروم وقوات القبائل العربية الموالية لهم من لخم وجذام واليقين والبهراء وبلي. فاستشهد القادة الثلاثةُ واحداً بعد الآخر بعد أن قاتلوا قتال الأبطال واستماتوا بالدفاع عن حمى الإسلام. ثم اصطلح الناسُ على القائد خالد بن الوليد الذي قرر الانسحاب من المعركة وتخليص قوات المسلمين من الفناء المحقق نتيجة للتفوق الساحق لجيش الروم.

هذا وقد استفادَ خالد بن الوليد من حلول الظلام، فأعاد تنظيم الجيش الإسلامي، فألف مؤخرة قوية لحماية الانسحاب، قامت هذه المؤخرة بإثارة النقع وبمشاغلة قوات الروم بقتال التعويق، وقد انتشرت مؤخرة التعويق هذه على جبهة واسعة وأحدثت ضجة عالية.

لإيهام العدو بقدوم امدادات جديدة للمسلمين ولعدم معرفة الجهة الحقيقية التي انسحب إليها الجيش الإسلامي، ولا شك أن هذه الخطة تعتبر إحدى أساليب الحرب النفسية التي استخدمها المسلمون في حروبهم، وهي تشبه إلى حدّ كبير الخطة التي وضعها رسول الله ﷺ في أعقاب معركة أحد، وذلك لإرهاب المشركين حتى لا يفكروا بالهجوم على المدينة ثانيةً. هذا وقد نجحت هذه الخطة العسكرية نجاحاً عظيماً فلم يتكبد المسلمون أية خسائر تذكر في هذا الانسحاب على الرغم من أن حركة الانسحاب تُعتبر من أصعب الحركات العسكرية[1].

ذكرت مجلة الفيصل السعودية تحت عنوان الحرب النفسية قالت:

---

(١) انظر كتاب الرسول القائد للواء الركن محمود شيت خطاب ص ٢٠٦ دار مكتبة الحياة والنهضة بغداد.

(الحرب النفسية سلاح قديم استعمل في الأزمنة الغابرة، وقد استعمل المسلمون الأول الحرب النفسية الإيجابية أي قوة الإيمان وقوة الروح المعنوية، فقد استطاعوا بعددهم القليل وعدتهم لمحدودة أن يتغلبوا على قوة تبلغ عشرات أضعافهم، وقد استعمل النبيُ ﷺ الحرب النفسية في مواقف كثيرة، ففي موقعة أحد بعد أن هُزم المسلمون نتيجة لتركهم مواقعهم التي حدّدها لهم النبي ﷺ للإسراع للاستيلاء على الغنائم، فاستدار المسلمون راجعين وما إن شاهد الكفار فلولهم المتراجعة حتى فكروا في انتهاز الفرصة والقضاء عليهم نهائياً، واستعدوا لذلك، فشعر بذلك النبي ﷺ فأدرك خطورة الموقف فجمع من كان معه في المعركة ونظم صفوفهم وأمر الجنود بإثارة النقع (أي الغبار) فلما شاهد الكفار ذلك اعتقدوا أن إمدادات جديدة آتية للمسلمين فولوا الأدبار متراجعين عمّا كانوا يريدون)[١].

ويعتبر هذا النجاح الذي حققه خالد بن الوليد في تخليص جيش المسلمين من أمام قوات متفوقة عليه تفوقاً ساحقاً بدون خسائر تذكر، يعتبر معجزة عسكرية كبرى كان لا بدّ من الإشارة إليها لأهميتها عند ذكر غزوة مؤته.

١٢ ـ سرية بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل[٢] في جمادي الآخرة سنة ثمان[٣] وعدد أفرادها ثلاثمائة رجل ثم انضم إليهم أبو عبيدة بن الجراح بمائتين آخرين فأصبح الجميع خمسمائة رجل.[٤]

وكانت هذه السرية موجهة ضدّ بني قضاعة الذين تجمعوا للإغارة على المدينة المنورة.

---

(١) مجلة الفيصل العدد (٣٨) ص ١٢٤.

(٢) **ذات السلاسل**: هي موضع وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة أيام (ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١). وقال ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ١٥٦ هي اسم ماء بأرض جذام وسميت تلك الغزوة بهذا الاسم.

(٣ ـ ٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣١.

١٣ ـ سرية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى حي من جهينة في الخبط[١] على ساحل البحر الأحمر في رجب سنة ثمان[٢] وعدد أفرادها ثلاثمائة رجل[٣].

١٤ ـ سرية بقيادة أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة[٤] في شعبان سنة ثمان[٥] وعدد أفرادها خمسة عشر رجلاً[٦]. وكانت هذه السرية موجهة إلى قبائل غطفان في نجد.

١٥ ـ سرية بقيادة أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى بطن لخم[٧] في أول شهر رمضان سنة ثمان[٨] . وعدد أفرادها ثمانية رجال[٩] .

٣ ـ عمرة القضاء وأثرها الإعلامي:

خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة[١٠] يرافقه ما يقرب من الألفين من أصحابه الكرام متوجهين إلى مكة المكرمة لأداء عمرة القضاء، في شوق المنطلق، بعد منع وطول انتظار. ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ ممن شهد الحديبية، إلاَّ من أدركته الشهادة خلال المعارك التي دارت بين المسلمين ويهود في خيبر، وقد خرج مع رسول الله ﷺ جمع من المعتمرين الذين لم يشهدوا الحديبية.

قال الواقدي: (لما دخل هلال ذي القعدة سنة سبع، أمر

---

(١) الخبط: هو ورق ينفظ المخابط ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره (القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٥٦).

(٢ ـ ٣) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٢.

(٤) خضرة: هي أرض محارب بنجد ويسكنها قبائل غطفان. (معجم البلدان. ياقوت الحموي ج ٢ ص ٣٧٧. دار الطباعة والنشر بيروت).

(٥ ـ ٦) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٢.

(٧) لخم: بالكسر ثم بالفتح. ذو لخم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة (ياقوت الحموي ج ١ ص ٢١٤ معجم البلدان).

(٨ ـ ٩) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٣ بيروت للطباعة والنشر.

(١٠) الروض الأنف ج ٧ ص ٧ دار الكتب الحديثة.

رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا «قضاء» عمرتهم وألاّ يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف أحد شهدها إلاّ رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا، وخرج مع رسول الله ﷺ قومٌ من المسلمين سوى أهل الحديبية ممن لم يشهدوا صلح الحديبية عماراً، فكان المسلمون في عمرة القضاء ألفين)[1].

والجدير بالذكر أن هذه العمرة قد سميت أيضاً بعمرة القصاص، فقد قال ابن هشام: (ويقال لها عمرة القصاص لأن رسول الله ﷺ اقتص من قريش، فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه في سنة سبع، وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله سبحانه في ذلك ﴿ الشَهْرُ الحَرَامُ بِالشَهْرِ الْحَرَامِ والْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾[2])[3].

قال الواقدي: (حمل رسول الله ﷺ معه السلاح والبيض والدروع والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه، وهي مائة فرس عليها محمد بن مسلمة)[4].

وقد اتجه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه الكرام من المدينة المنورة باتجاه مكة المكرمة في موكب مهيب يشق طريقه عبر القرى والبوادي، وكان كلما مرّ الموكب النبوي بمنازل قوم من الذين كانوا يسكنون على جانبي الطريق الواصل بين المدينة المنورة ومكة المكرمة، كان هؤلاء الأعراب يخرجون ليشاهدوا تلك المسيرة الضخمة التي لم يعتادوا على رؤيتها من قبل، فقد شاهد هؤلاء الناس في تلك المناطق ذلك المظهر الإعلامي المعبر عن الأهداف النبيلة للدين الإسلامي العظيم، حيث شاهدوا المسلمين وهم في زيهم الموحد من الأحرام وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية ويسوقون هَدْيهم في علاماته وقلائده في مظهر إعلامي لم تشهد المنطقة له مثيلاً.

---

(١) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٧٣١ عالم الكتب بيروت.

(٢) سورة البقرة الآية: (١٩٤).

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٢٤ دار الفكر.

(٤) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٧٣٣ عالم الكتب بيروت.

حقاً إنها صورة إعلامية رائعة ومعبرة لها وقع هائل في النفوس وتعكس مفهوماً إعلامياً خاصاً عن هذا الدين الجديد، وعن مبادىء هذا الدين الذي يدعو إلى الفضيلة والعدل والوفاء بالعهد واحترام المقدسات والالتزام الكامل بمبدأ التوحيد للخالق عزّ وجلّ، الأمر الذي أوجد عند الناس قدراً كبيراً من الأحاسيس والمشاعر التي تقربهم ذاتياً وعاطفياً من الإسلام والمسلمين، ذلك مما أكسبَ الإعلام الإسلامي نجاحاً رائعاً بين عرب الجزيرة العربية.

والجديرُ بالذكر أن أخبار هذه الأحداث وصدى هذا التعاطف مع الإسلام والمسلمين لم يقتصر وقعُه على تلك المنطقة من الجزيرة العربية فحسب، ولكن أخباره انتشرت لتشمل معظم المناطق الأخرى من أنحاء هذه الجزيرة التي أصبح الإسلام والمسلمون حديث الساعة فيها، وقد نتج عن ذلك التعاطف أن الناس أخذوا يشكون بادعاءات قريش وافتراءاتها التي كانت تبثها في المنطقة ضدّ المسلمين. وبهذه النتيجة فإننا نستطيع القول بأن التأثير الذي أحدثته هذه الرحلة كان له وقع كبير في نفوس عرب الجزيرة العربية بشكل عام. يقول الدكتور محي الدين عبد الحليم: (إن لكل وسيلة تأثيرها الخاص في نوعيات معينة من الجماهير قد لا تؤثرُ في نوعيات أخرى من الجماهير، إلَّا أنه إذا اجتمعت الصورة والصوت في وسيلة واحدة كان لذلك وقع في النفوس يفوق استخدام إحداهما فقط بدرجة كبيرة)[1].

ولا شك أن نجاح العمليات الإعلامية يكْمنُ في المقدرة على إبراز الحقائق الإعلامية وإظهارها للناس بشكل يستهوي نفوسهم ويعبِّرُ عن اتجاههم ويُحرك عواطفهم ومشاعرهم، ويشد انتباههم إلى ذلك الحدث مما يساعد على استمالتهم إليهِ بصورة واقعية ومؤثرة ومن ثم كسب تأييدهم

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ٤٠ مكتبة الخانجي بمصر.

وقبولهم له، وإن ذلك من شأنه أن يوجه أنظارَ الناس تجاه ذلك الحدث وأن يكون لديهم رأياً مناسباً فيه.

ولا شك أن هذا الكسب الإعلامي لا يأتي إلاَّ بعد أن يقتنع الناس بصدق الحقائق التي يتبينها للناس عن طريق العرض الفني للوسائل الإعلامية الهادفة.

يقول الدكتور إبراهيم إمام: (الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبّر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم)[1].

لقد علمت قريش بأخبار هذه الرحلة، وبأن رسول الله ﷺ قادم الآن إلى مكة المكرمة، يرافقه أصحابه الكرام وهم يحملون كامل أسلحتهم مما يتعارض وبنود معاهدة الحديبية التي تنص على أن لا يحمل المسلمون معهم أي سلاح أثناء قدومهم إلى مكة ما عدا السيوف بالقرب، فقد ذكر الواقدي في مغازية قال: (فسار رسول الله ﷺ يُلبي والمسلمون يُلبون، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مر الظهران، فوجد بها نفراً من قريش، فسألوا محمد بن سلمة فقال: هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله. فرأوا سلاحاً كثيراً، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح، ففزعت قريش وقالوا: ففيما يغزونا محمد في أصحابه؟ وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الأخيف في نفر من قريش، فقالوا يا محمد والله ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر! تدخل بالسلاح الحرم على قومك، وقد شرطت ألاَّ تدخل إلاَّ بسلاح المسافر، السيوف في القرب، فقال رسول الله ﷺ : لا ندخلها إلاَّ كذلك. ثم رجع مكرز مسرعاً بأصحابه إلى مكة فقال: إن محمداً لا يدخل بسلاح. وهو على الشرط الذي شرط لكم)[2].

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام: الإعلام الإسلامي ص ٢٧ مكتبة الأنجلو مصرية.

(٢) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٧٣٤ عالم الكتب بيروت.

والجدير بالذكر أن رسول الله ﷺ كان قد حمل السلاح للحيطة والحذر من غدر قريش وقد وضعه في مكان قريب من مكة تحت الحراسة بحيث يستطيع الوصول إليه بسرعة عند الحاجة.

كان مظهراً إعلامياً رائعاً عندما بدأ الموكب النبوي الكريم يقترب من بيوت مكة المكرمة وأبنيتها شاقاً طريقه باتجاه الكعبة المشرفة وهم في مظهرهم المهيب، وأصواتهم تشق عنان السماء بالتلبية. فقد ذكرت معظم كتب السير والمغازي أن قسماً من أهالي مكة خرج إلى رؤوس الجبال لينظرَ إلى المسلمين من الأماكن العالية، والقسم الأكبر وقف عند دار الندوة المجاورة للكعبة المشرفة آنذاك، ليشاهدوا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام أثناء دخولهم مكة المكرمة وبيت الله الحرام.

وذكر ابن الأثير وهو يصف ذلك الحدث الهام قال: (فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن النبي ﷺ وأصحابه في عسر وجهد وحاجة. فاصطفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه ولأصحابه معه، فلما دخلها اضطبع[1] بردائه فأخرج عضده اليمنى ثم قال: رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن وخرج يهرول، ويهرول أصحابه معه وكان بين يديه لما دخل مكة عبدالله بن رواحة آخذاً بخطام ناقته وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسولهِ
يا ربُ إني مؤمنٌ بقيلهِ ... أعرفُ حقَ الله في قبولهِ
نحنُ قتلناكُم على تأويلِه ... كما قتلناكُم على تنزيلِه
ضرباً يزيل الهامَ عن مقيلِه ... ويُذهل الخليلَ عن خليله[2]

هذا وقد قصد الرسول ﷺ بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام، وهي الاضّطباع، والهرولة، ورفع الأصوات بالتلبية، أن

---

(١) الاضطباع: هو أن يدخل بعض رداءه تحت عضده اليمنى ويجعل طرفه على منكبه الأيسر.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٥٤ دار الفكر بيروت. والروض الأنف ج ٧ ص ٨ دار الكتب الحديثة.

يرهب قريشاً، وأن يظهر لها قوة المسلمين وعزمتهم وتمسكهم بدينهم ومناعة جبهتهم. وهذا الأسلوب من أساليب الحرب النفسية، كان رسول الله ﷺ عادةً يستخدمه في مثل تلك الموقف للتأثير على نفسية أعدائه وإرهابهم، وإدخال الرعب في نفوسهم حتى لا يفكروا بالاعتداء أو الغدر بالمسلمين، فقد ذكر العقاد في وصفه لحماس المسلمين آنذاك قوله: (وأوشك عبدالله بن رواحة وقد هزّته النخوة أن يصيح في قريش صيحةَ الحرب، فنهاه عمر رضي الله عنه وأمرهُ النبي ﷺ أن ينادي ولا يزيد: «لا إله إلا الله وحده، نصر عبده وأعزّ جنده وخذل الأحزاب وحده» فرفع ابن رواحة بها صوته الجَهُور، وتلاه المسلمون يرددونها وتهتز بها جنبات الوادي القريب. وكان الفتح الذي بصر به عياناً من لم يره يوم الحديبية بنور البصيرة، وأسلمَ من الضعفاء والأقوياء من كان عصياً على الإسلام: فريقٌ منهم بهرَهُم وفاءُ النبي ﷺ بعهده مع استطاعته نقضه، وفريق منهم راعهم عظمة الإسلام، وتراحم المسلمين فيما بينهم، وجمال ما بينهم وبين نبيّهم من طاعة وتمكين، وفريق منهم علموا أن العاقبة للإسلام فجنحوا إلى طريق السلامة والسلام، وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت في آثارها من أسباب الإقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وهما في رجاحة العقل والخلق مثلان متكافئان يحتذى بهما)[1].

لقد كان بحق منظراً إعلامياً رائعاً يأخذ بالألباب ويؤثر في النفوس عندما دخل النبي ﷺ وأصحابه الكرام وأخذوا يطوفون في البيت ويعظمون الكعبة المشرفة وقريش ترقبهم وتنظر إليهم من كل مكان من مكة المكرمة، مما يُفند كذب وأباطيل سادات قريش وأكابر مجرميها في كذبهم على الإسلام ونبي الإسلام؛ بعد أن تبيّن للناس جميعاً. في ذلك الموقف صدق الرسالة المحمدية، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام هو نبي مرسل من عند الله عزّ وجلّ بالهدى ودين الحق، الأمر الذي جعل القلوب تتحول إلى الحقيقة وإن كانت الألسن لم تجرؤ أن تنطُقُ بها كبراً وعناداً.

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ﷺ ص ٦٩ - ٧ دار الإسلام بالقاهرة.

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: (أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيراً كبيراً. فقد وقف الكثيرُ من قريش عند دار الندوة بمكة، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشاهدوا دخولَ الرسول ﷺ وأصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجدَ اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوة»، ثم استلم الركن وأخذ يهرول أصحابه معه. فلم يكد يترك الرسول ﷺ مكة، حتى وقف خالد بن الوليد يقول في جمع من قريش لقد استبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر وأن كلامه من كلام رب العالمين، فحقَ على كل ذي لب أن يتبعه. وسمع أبو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد، فبعث في طلبه، وسأله عن صحة ما سمع فأكد له خالد صحته فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه، فحجز عنه عكرمة، وكان حاضراً، وقال: مهلاً يا أبا سفيان، فوالله خفتُ للذي خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه، أنتم تقتلون خالداً على رأي رآه. وهذه قريشُ كلها تبايعت عليه. والله لقد خفت ألاَّ يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم. وأسلم من بعد خالد بن الوليد عمرو بن العاص وحارسُ الكعبة نفسها عثمان بن طلحة. بل وظهر الإسلام في كل بيت من قريش سراً وعلانية.

وبهذه النتيجة الطيبة يمكننا القول بأن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوبِ أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها)[1]. انتهى كلام اللواء الركن محمود شيت خطاب.

ما أعظم هذا الموقف الإعلامي الرائع الذي انتصر فيه الحق على الباطل وبان لكل ذي عقل من أهل مكة وغيرهم من الناس أن رسول الله ﷺ لم يكن كما وصفته قريش وأن الدين الإسلامي هو الدين الحق الذي جاء من عند الله عزّ وجلّ.

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب. الرسول القائد ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ط دار مكتبة الحياة ـ بغداد.

ولا شك أن هذا الموقف الإعلامي الرائع قد تجلّى عن إظهار إصالة الإسلام العظيمة باحترامه للمقدسات والمحافظة على صلة الرحم وروح العطف والتسامح وحب الخير، ما ملأ به قلوب الناس محبةً واحتراماً وإجلالاً، لهذا فقد أقبل الناس على هذا الدين ينتمون إليه وقد أحس كل واحد من قريش وغيرها بأن لديه ميلاً فطرياً للانتماء إلى الإسلام، لأن الإسلام هو دين الفطرة، ولما يتحلى به هذا الدين من صفات الخير والمحبة والكمال. وما أشبه هذا الموقف الإعلامي الرائع الذي انتصر فيه الحق على الباطل، بموقف موسى عليه السلام عندما نصره الله سبحانه وتعالى على فرعون أمام جموع الناس الذين احتشدوا يوم الزينة، ليشاهدوا المناظرة بين نبي الله موسى عليه السلام من جهة وبين فرعون وسحرته من جهة أخرى. وكما جاءت أحداث هذه القصة في القرآن الكريم، فقد قال فرعون لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى ﴾[1]. فاختار موسى عليه السلام يوم الزينة ليكون موعداً لهذه المناظرة. ويوم الزينة هو يوم عيدهم الذي يجتمع الناس فيه لا يتخلف منهم أحد لا في زمان ولا في مكان.

قال الشهيد سيد قطب: (واختار موسى عليه السلام الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، يأخذ فيها الناس في مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة. قال: موعدكُم يوم الزينة، وطلب أن يُجمع الناسُ ضحى، ليكون المكان مكشوفاً، والوقت صاحياً في أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعاً للناس في يوم العيد)[2].

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المناظرة في هذه الآيات الكريمات: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ. فَأَوْجَسَ

---

(١) سورة طه الآية: (٥٨).

(٢) الشهيد سيد قطب: في ظلال القرآن. ج ٤ ص ٢٣٤٠ ط. دار الشروق.

فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ. وأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ. فَأُلْقِيَ السَحَرةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَب هَرُونَ ومُوسَىٰ. قَالَ آمَنْتُم لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقطِعَّنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ. قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والَّذِي فَطَرنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِه الحَيَاةُ الدُنْيَا. إِنَّا آمنَّا بِرَبِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وأَبْقَىٰ ﴾[١].

ما أشبه موقف خالد بن الوليد من أبي سفيان بعد أن رأى الحقَ المبينَ واضحاً أمام عينيه بموقف السحرة من فرعون وما أعظم هذا الموقف الإعلامي الرائع على المشاهدين. فهذا خالدُ بن الوليد المخزومي، بطلُ مكة المشهور، وحامل اللواء وقائد الفرسان أثناء المعارك، ينجلي أمامه الموقف ليعلم أن الإسلام هو دين الله الحق الذي أرسل اللهُ به محمداً عليه الصلاة والسلام ليُخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن الله ويهديهم إلى صراط مستقيم، وأن كل ما قالته قريش وافترت به على الإسلام ونبي الإسلام إنما هو محض افتراءات كاذبة. وهذا محمد عليه الصلاة والسلام ومعه المسلمون يدخلون مكة بحب واحترام، ويطوفون بالبيت الحرام بشوق وحنين، معظّمين له بأحسن ما يكون التعظيم، ومحافظين على العهد الذي بينهم وبين قريش بأحسن ما تكون المحافظة. إن هذا الدين والله هو دين الله الذي هو حق على كل ذي لب أن يتبعه. ويمضي خالد بن الوليد ليقول قولته أمام قائد مكة وزعيمها أبي سفيان بن حرب، لا يبالي بما يقوله من الحق ويؤيده بذلك صديقُه عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما ويقف أبو سُفيان مشدوهاً لهذا التحول الكبير، ويهددُ خالداً بالقتل تماماً كما فعل فرعون مع السحرة عندما آمنوا بالله الواحد القهار، بعد أن رأوا الآيات بأم أعينهم واضحة جلية، ولم يأبهوا بتهديدات

(١) سورة طه: الآيات من (٦٥ ـ ٧٣).

فرعون وانجلى الموقف عن إظهار الحق وخزي فرعون وجنوده أمام جموع الناس المحتشدة يوم الزينة، تماماً كما انجلى الموقف بالنسبة لأهل مكة وغيرهم من الناس الذين احتشدوا فوق الجبال، وعلى مداخل مكة المكرمة، ليشاهدوا المسلمين أثناء دخولهم مكة المكرمة وتعظيمهم لبيت الله الحرام، مما جعل الناس بعد ذلك يدخلون في دين الله أفواجاً.

إنهما لموقفان رائعان ومتشابهان، انتصر فيهما الحق على الباطل أمام تلك الحشود الضخمة من الناس، يقول الأستاذ الركابي: (إن سجود السحرة وإيمانهم بالله من نتائج البلاغ المبين، الذي نجح فيه موسى عليه السلام، واختار موسى أن يكون هذا الصراع في حشد من الناس أو في تجمع إعلامي عام: ﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴾.

ولقد كان تأثير هذه العمرة على قريش وعلى عرب الجزيرة تأثيراً بالغاً، لأنها تحمل في مضمونها مهمة إعلامية عظيمة. فقد كان العرب في قريش والجزيرة العربية قبل هذه العمرة لا يعرفون شيئاً له قيمة إعلامية عن هذا الدين، ولا عن الغاية التي من أجلها ظهر هذا الرسول بهذا الدين، فهو لم يظهر ليحدث الشقاق بين الناس كما زعمت قريش، وكما بثت دعاياتها السيئة، ألواناً مختلفة من الافتراءات والأباطيل ضدّ الإسلام والمسلمين، ولكن الله سبحانه بعثه لغايات كريمة وأهداف نبيلة، وهي إصلاح هذه الدنيا بعد أن فسدت واستحال إصلاحها إلاَّ عن طريق هذا الدين وتعاليمه السمحة)[1].

قريش تنقض معاهدة الحديبية

لم يرق لقريش أن ترى الانتصارات الساحقة التي حققها المسلمون عقب صلح الحديبية في المجالين العسكري والسلمي. حيث أتاحت لهم هدنة الحديبية هذه التخلص من أعداء الدعوة الإسلامية عسكرياً، هذا من

(١) الأستاذ زين العابدين الركابي، في النظرية الإسلامية للإعلام ـ مجلة المسلم المعاصر العدد العاشر ص ٤٥.

جهة، كما أتاحت لهم تبليغ دعوتهم إلى جميع القبائل التي تسكن شمال المدينة المنورة حتى حدود العراق والشام من جهة أخرى. وقد انتشر الإسلام بين هذه القبائل العربية والقبائل الأخرى في شتى أنحاء الجزيرة العربية، حتى أن هذه الجزيرة أصبحت بكاملها تقريباً تدين بالولاء للإسلام، وبالزعامة والقيادة لمحمد رسول الله ﷺ.

لهذه الأسباب جميعها أخذ شيطان قريش يتحرك، خاصةً بعد أن شاهد أبو سفيان ـ زعيم مكة وقائدها ـ بشائر الدين الإسلامي تصل إلى ملوك الروم وزعماء العالم، عندما دعاه هِرَقْل إمبراطور الروم ليسأله عن الإسلام ونبي الإسلام، على أثر الرسالة التي تلقاها هرقل من رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام[1] وكان ذلك الحدث ضمن فترة هدنة الحديبية.

وفي غمرة هذه الانتصارات الرائعة التي حققتها الدعوة الإسلامية في مختلف المجالات الإعلامية والعسكرية والسلمية، عمدت قريش بالتواطؤ مع حليفتها قبيلة بني بكر بالاعتداء والأغارة على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين التي تسكنُ على مقربة من مكة المكرمة، وأخذها على حين غرة، وذلك تحقيقاً لثارات قديمة بين هاتين القبيلتين، حيث كانت شروط هدنة الحديبية قد وضعت حداً للصراع الطويل والدامي بين المسلمين وقريش من جهة وبين حلفاء كل من الطرفين المتنازعين من جهة أخرى.

فقامت فعلاً قبيلة بني بكر بهجوم مباغت على قبيلة خزاعة، تدعمها قريش بالسلاح وببعض المتطرفين من الرجال بالإضافة إلى التأييد المعنوي.

وقد أسفر هذا الهجوم عن إيقاع خسائر جسيمة في الأرواح والأموال في حلفاء رسول الله ﷺ، ولم يمنع قبيلة بكر من مواصلة الهجوم وإيقاع

---

(١) انظر إلى هذه القصة في صحيح البخاري ج ١ ص ٥ باب بدء الوحي طبعة دار الفكر وفي معظم كتب السيرة النبوية.

القتل في قبيلة خزاعة حتى بعد أن التجأت الأخيرة للاحتماء بالبيت الحرام والتعلق بأستار الكعبة، أمام مرأى ومسمع زعماء قريش، غير مكترثين بما بينهم وبين رسول الله ﷺ من عهد وميثاق جرى توقيعه في الحديبية.

وبهذا الاعتداء الغادر فقد أنهت قريش وحليفتها قبيلة بكر، من جانبهما هدنة الحديبية المعقودة بينهما وبين المسلمين، الأمر الذي جعل صلح الحديبية في حكم المنتهي فعلاً، ذلك الصلح الذي لم يدم سوى اثنتان وعشرين شهراً فقط، وبانتهاء صلح الحديبية هذا لم يعد للمسلمين أية اتفاقية تربطهم بقريش.

وعلى أثر هذا الاعتداد الغادر فقد بدأ الرسول ﷺ استعداداته واستحضاراته العسكرية لفتح مكة المكرمة.

الدّروس الإعلاميّة المستفادة من صلح الحُديبيَة

لم يوهَبْ نبيٌّ ما وُهِب رسول الله ﷺ من قيادة ملهمة في تصريف الأمور تصريفاً سياسياً وعسكرياً وإعلامياً سليماً.

ففي عهد الحديبية تجلّى تدبيرُ النبي ﷺ في سياسة خصومه، وسياسة أتباعه والاعتماد على السلم والعهد، حيث يحسنان ويصلحان، والاعتماد على الحرب والقوة حيث لا تحسن المواثيق ولا تصلح العهود.

كان صلح الحديبية في حقيقته فتحاً إعلامياً وعسكرياً عظيماً، فتح الله به على رسوله وعلى المسلمين بالنصر والعزة، دون أن تظهر للعيان حقيقتُه وأبعاده في حينه. ولكن لم يمض وقت طويل حتى تبيّن هذا الفتح المبين للجميع، رأوه وامتلأت عيونهم بالنظر إليه وتبيّن للناظر السياسة الإعلامية الحكيمة التي أتبعها رسول الله ﷺ في تحقيق غرضه الأساسي الذي جاء من أجله بدون قتال ولا سفك دماء.

ويوم أن نزلت الآية الكريمة على أثر اتفاق الحديبية: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً، وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾[1]. لم يفقه الكثيرون معناها في حينها ولم يتبين موضع الفتح من ذلك الاتفاق، ولكنهم فهموا أي فتح هو، بعد أقل من سنتين، وعلموا أن من الفتوح ما يكون بغير السيف.

يقول العقاد: (وقد تولى النبيُ ﷺ أعمالاً كثيرة مما يطلق عليه لفظُ سياسة في عموم مدلوله. ولكننا لا نعرف بينها عملاً واحداً هو أدخل في أبواب السياسة وأجمع لضروبها، وأبعد عن المشاركة في صفة القيادة العسكرية، أو صفة الوعظ العلني، أو سائر الصفات التي اتَّصَفَ بها عليه الصلاة والسلام من عهد الحديبية في مراحله جميعاً، منذ ابتدأ بالدعوة إلى العمرة، إلى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدي قريش)[2].

فمن الدروس المستفادة من هذا الصلح في النواحي الإعلامية، وغيرها، دروس في: الحكمة والحلم والصبر وضبط النفس والسياسة الإعلامية الصائبة، وبعد النظر، والوفاء بالعهد، والحذر والحيطة والتسامح والشورى واحترام الرأي.

إنها دروس جديرة بأن يتدبرها ويعيها ويسير عليها الرادة والقادة من أمة الإسلام، في معالجة المشاكل السياسية والإعلامية وفي حل الأزمات. ويجدر بنا أن نبحث هذه الدروسُ بشيء من التفصيل لأنها تتعلق بالدعوة والدعاة إلى الله.

الدرس الإعلامي الأول: في الحكمة وبعد النظر

عندما بدأ الرسول ﷺ بالدعوة إلى العمرة، فإن هذه الدعوة لم تقتصر على المسلمين المصدقين لرسالته فقط، بل شملت هذه الدعوة كل القبائل العربية المجاورة، والواقعة على طريق مكة المدينة، والتي تشارك

---

(١) سورة الفتح الآيات (١ ـ ٣).

(٢) الأستاذ العقاد: عبقرية محمد ﷺ ص ٦٣. دار الإسلام بالقاهرة.

المسلمين في تعظيم البيت والسعي إليه، فجعل له بذلك وللعرب من هذه القبائل، قضية واحدة في وجه قريش وفَصَلَ بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى. وبهذا فقد أحبط على قريش ما تعمَّدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوأة الرسول ﷺ، والرسالة الإسلامية. وهذا الدرس يعتبر درساً إعلامياً في حقيقته ومعناه. فكان بذلك أن أفشَلَ على قريش خططَها العسكريةَ والإعلامية الكاذبة، التي حاولت بها أن تشوه صورة المسلمين عند العرب وأن تؤلّب العرب عليهم، بما ادعوه من قطعهم للأرزاق وتهديدهم للأسواق التي يعمرها الحجاج ويستفيد منها الغادون إلى مكة والقادمون منها. فها هو النبي ﷺ يأخذ معه المسلمين إلى مكة، كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين إلى البيت الحرام، والأماكن المقدسة جميعها. وهذا العمل الإعلامي الناجح قد أظهر للعرب جميعاً المزايا العظيمة التي يتحلّى بها الدين الإسلامي الحنيف.

الدرس الثاني: السياسة الإعلامية:

كانت السياسة الإعلامية التي اتَّبعها رسول الله ﷺ، ترمي إلى الفصل بين قريش وبين حلفائها الرئيسيين من الأحابيش وبني ثقيف، ولقد رأينا كيف أن رسول الله ﷺ، كان يضع الخطط الإعلامية المناسبة لكل وفد من تلك الوفود، ولكل ظرف من تلك الظروف التي مرّ بها أثناء أزمة الحديبية، فقد رأينا نجاح كل خطة من هذه الخطط الإعلامية وآثارها الرائعة.

فالحُلَيس، تركَه يستخلص النتائج بنفسه، ويعود إلى قريش وهو يحمل في قرارة نفسه بأن قريشاً هي المعتدية في هذه القضية، وإنه بذلك أصبحَ في موقف الخصومة من قريش بدلاً من خصومته للمسلمين.

ولم يكن زعيمُ ثقيف أقلَ تحمساً في محاسبته لقريش، من زعيم الأحابيش، بل إنه انفصل بقواته عنها، وعاد راجعاً من حيث أتى؛ بعد أن تبين له من حق المسلمين في هذا النزاع ما تبيّن، ومن كذب وافتراء واعتداءات من جانب قريش الشيء الكثير، الأمر الذي جعل حلفاء قريش الأقوياء ينأون عنها. وبذلك فقد تحقق للنبي ﷺ، نجاح خطته الإعلامية في

فصل حلفاء قريش عنها وكسبهم إلى جانبه.

الدرس الثالث : التكرار الإعلامي:

ويقوم هذا المبدأ الإعلامي على الإعلان عن الدوافع والرغبات والأغراض المطلوبة، ومن ثم الإصرار عليها، وذلك بتكرار المطالبة بها حتى تصبح هذه المطالب، وكأنها أخذت صفة الموافقة والقبول والشرعية. وهذا ما حصل فعلاً في أزمة الحديبية، فقد كان الرسول ﷺ يعلن بوضوح وبصورة دائمة منذ خروجه من المدينة المنورة، تارةً بالصراحة الكلامية، وتارةً بالرموز الإعلامية، من أنه وأصحابه الكرام إنما جاءوا من أجل أداء العمرة وتعظيم البيت الحرام، وإبلاغ الهدي محله والانصراف، حتى أن هذه المتطلبات باتت معروفة تماماً لدى جميع القرشيين وحلفائهم على حد سواء، وحتى لدى كافة عرب المنطقة المجاورة وعرب الجزيرة العربية بأكملها تقريباً.

ويعتبرُ التكرار الإعلامي من الأمور التي تساعد على نجاح الرسالة الإعلامية، وتزيد من فعاليتها وتأثيرها الدعائي.

وتوضح لنا هذا المفهوم الدكتورة رشتي بقولها: (يؤمن عدد كبير من علماء الاتصال بأن تكرار الرسالة الإعلامية من العوامل التي تساعد على الإقناع، وينعكس هذا الإيمان في الحملات الإعلامية التي تعتمد على تكرار الرسالة الإعلامية، ولكن اكتشفَ الباحث روز، وهو يستعرض الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع أن التكرار، خاصةً التكرار على فترات، يزيد من فاعلية الدعاية التي تحضّ على التسامح، ويتفق هذا الرأي بشكل عام، مع رأي بعض علماء النفس، أمثال نورديك، وبعض العاملين في مجال الدعاية ومنهم جوزيف جوبلز وغيره)[1].

الدرس الرابع : استخدام الحرب النفسية :

وعن أهمية استخدام الحرب النفسية في هذا النزاع، فقد استخدم

---

(١) د. جيهان رشتي: المرجع السابق ص ٥٠١.

الرسول ﷺ، أرقى أساليب الحرب النفسية في التأثير على الروح المعنوية لعدوه، وبالتالي، إضعاف الروح القتالية له. ومن ناحية أخرى فإنه كان عليه الصلاة والسلام كفؤاً بارعاً في تحصين أصحابه ووقايتهم ضدّ هذه الحرب التي تؤثر في القلوب والعقول فكان عليه الصلاة والسلام يعمل بشتى الطرق والوسائل على رفع معنويات أصحابه، وفي الوقت نفسه كان يعمل بشتى الطرق والوسائل أيضاً على تحطيم معنويات أعدائه. ويتضح ذلك في المفاوضات التي أجرها عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية وفي الرسالة الإعلامية التي حملها عروة إلى قريش. كذلك، وما من شك في أن أزمة الحديبية بأكملها تعتبر أزمة معنويات وحرباً نفسية تؤثر في النفوس والقلوب، وليست معركة خسائر تؤثر في الأرواح و لممتلكات.

الدرس الخامس: الحنكة العسكرية:

ومن هذا الدرس نستفيد ويستفيد الباحثون من حنكة الرسول ﷺ في بعد نظره، وذلك باستخدامه أنجح الطرق الإعلامية للحصول على أخبار عدوه، فقد عمد عليه الصلاة والسلام منذ بداية خروجه لهذه العمرة إلى إرسال دوريات استطلاع إعلامية، وأعمال استكشاف لجمع الأخبار الكافية عن أعدائه أولاً بأول، وفعلاً، فإنه عليه الصلاة والسلام، لم يكد يصل بأصحابه إلى منتصف الطريق بين مكة والمدينة حتى عرف عن طريق استخباراته، كل ما يجب أن يعرفه عن أهل مكة الذين هم في حالة حرب مستمرة معه، وبذلك، فإنه استطاع أن يرصد حركات أعدائه ومواقعهم ونواياهم وأن يؤمن لجيشه الحماية الكافية، التي تستند إلى واقع علمي مدروس، وبالتالي إحراز النصر الإعلامي والعسكري.

الدرس السادس: في توخي الهدف:

لقد كان وجود الرسول ﷺ بأصحابه الكرام، طوال مدة بقائه في منطقة الحديبية، وهي مدة ذكرها الواقدي بأنها تقدر بحوالي عشرين يوماً[1]، وتعتبر هذه الفترة من أحرج الفترات التي مرّت بها الدعوة

---

(١) مغازي الواقدي: ج ٢ ص ٦١٦.

الإسلامية، حيث كان الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، يعيشون في منطقة جدباء قليلة العشب والماء، ويحيط بهم أعداؤهم من كل جهة، ولا مجال لتلقي الامدادات العسكرية والتموينية، لبعدهم عن مقرهم الرئيسي في المدينة المنورة، ولوجودهم بين أعدائهم. ومع ذلك فقد أعطى رسول الله ﷺ درساً رائعاً في الصبر والثبات والتحمل، في مواجهة ضروب الحرب النفسية، وفي الإصرار على توخي الهدف. ولقد صبر رسول الله ﷺ، في البأساء والضراء وثبت في جميع المواقف وفي أشدها حرجاً، وكان مسيطراً على أعصابه سيطرة كاملة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، رغم الاستفزازات المتكررة من المشركين والمتهورين منهم، ومحاولاتهم المتوالية لإشعال فتيل الحرب، ومع كل هذا ظل عليه الصلاة والسلام مصراً على هدفه السلمي، فيرسل الوفود الإعلامية، ويستقبل الوفود الإعلامية، حتى تحقق له ما أراد فكان بهذه السياسة الإعلامية يعمل على تحقيق كل معاني العبودية والطاعة الكاملة لله تعالى في توخي الهدف السلمي، وذلك بناء على الإشارة الإلّهية التي تلقاها عليه الصلاة والسلام في حادثة برك الناقة.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: (إن توخي الهدف يعتبر مبدأ من مبادىء الحرب المهمة، وهو أن نعرف هدفنا تماماً، ونفكر بأحسن طريقة للوصول إليه، ومن ثم نقرر خطة مناسبة للحصول عليه. وننفذ تلك الخطة، جاعلين هدفنا الرئيسي وحده نصبَ أعيننا دون أن تعيقنا أو تغير من خطتنا الأهداف الثانوية الأخرى). ويضيف خطاب قائلاً: (وقد برز توخي الهدف عند الرسول ﷺ في غزوة الحديبية بأجلى مظاهره، حتى يمكن أن تكون دروس هذه الغزوة من أروع الأمثلة المفيدة للذين يريدون أن يفهموا معنى توخي الهدف)[1].

---

(١) اللواء محمود شيت خطاب: كتاب الرسول القائد مكتبة الحياة (النهضة ببغداد) ص ١٨٥ - ١٨٦.

الدرس السابع: الصبر والثبات على الدين:

لقد أثبت الإسلام عملياً للعالم أجمع من خلال حادثة أبي جندل، أنه يستطيع الاطمئنان كل الاطمئنان على أبنائه، في أن يعيشوا في أي مجتمع من مجتمعات الدنيا وتحت أي ظرف من ظروفها، دون أن يتأثروا بما حولهم من أفكار، أو آراء، ودون أن ينال منهم الخوف أو التهديد، أو العذاب النفسي والجسمي أي منال. وإن هذه الحقيقة لتعتبر من الميزات التي ينفرد بها الإسلام وحده دون غيره من الديانات الأخرى. وقد تمثل هذا المفهوم في حادثة أبي جندل، فقد كان حقاً اختباراً قاسياً وامتحاناً شديداً وصعباً لشاب مسلم يفر بدينه إلى المسلمين، ثم يُنتزع منهم انتزاعاً ليرمى به مرةً أخرى في جحيم الشرك، ثم يعود أبو جندل مرةً ثانية إلى قيوده ليعاود العيش من جديد في مجتمع الشرك والوثنية، تنفيذاً لأمر نبيّه الكريم، بالصبر والاحتساب وباليقين الذي لا يتزعزع، من أن الله سبحانه وتعالى سيجعل له ولمن معه من المستضعفين في مكة فرجاً ومخرجاً. وبهذا فإن المسلم الحق يكون دائماً مستعداً لأن يدفع ضريبة الإيمان بكل صدر رحب، ونفس طيبة، متمسكاً بدينه وعقيدته، غير مبال بما يتعرض له من أساليب القسوة والإرهاب والتجويع، ووحشية التعذيب لأن المؤمن يتطلع إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أُعدت للمتقين، فهو يعيش في هذه الدنيا لله ويموت من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وهذا هو معنى الإيمان الحقيقي.

الدرس الثامن: الوفاء بالعهد:

ولعل من أبلغ الدروس في صلح الحديبية درس الوفاء بالعهد والتقيد بما يفرضه شرف الكلمة، من الوفاء بالالتزامات التي يقطعها المسلم على نفسه. وقد تجلى حرص الرسول ﷺ والمسلمين على الوفاء بعهودهم بأجلى صوره، وذلك في مثل تلك الوقائع التي كان فيها الوفاء بالعهد شاقاً على النفوس البشرية، صعباً عليها وذلك لتصادمه مع عواطف المسلمين القلبية ومشاعرهم الوجدانية، ولكن المسألة في هذا الأمر لا يستجاب فيها

لنداء العاطفة، بل يلبي فيها نداء المبدأ الذي اتسمت به شرعة الإسلام، وهو الوفاء بالعهد، وإن تصادم مع ما ترغب فيه النفوس، وتميل إليه المشاعر. ومن هنا فقد كان درس حادثة أبي جندل امتحاناً قاسياً ورهيباً لهذا الوفاء بالعهد، أثبت فيه الرسول ﷺ والمسلمون نجاحاً عظيماً في كبت عواطفهم وحبس مشاعرهم، وقد صبروا لمنظر أخيهم أبي جندل الذي استطاع أن يفر بدينه وأن يلتجيء إلى أسرة الإسلام بالحديبية، ولقد تأثر المسلمون لمنظر أخيهم المسلم المؤمن عندما كان أبوه يجتذبه من تلابيبه، والدماء تنزف منه مما زاد في إيلامهم حتى أن الكثيرين منهم أخذوا يبكون بمرارة إشفاقاً منهم على أخيهم في العقيدة، وهم ينظرون إلى أبيه المشرك وهو يسحبه بفظاظة الوثني الجلف ليعود به مرةً أخرى إلى سجنه الرهيب في مكة. وتأتي من ناحية أخرى حادثة أبي بصير التي جاءت في أعقاب صلح الحديبية مباشرةً، عندما استطاع أبو بصير أن يفر بدينه من سجون الشرك في مكة المكرمة، وأن يلتحق بالرسول ﷺ في المدينة.

فلما قَدِمَ الرجلان اللذان بعثت بهما قريش إلى المدينة لاستلامه، قال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك. فقال أبو بصير: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ قال: يا أبا بصير، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»(1). ، فانطلق معهما، وقد شق ذلك على نفوس المسلمين وهم ينظرون بحزن إلى أخيهم في العقيدة، وهو يعود إلى سجنه بمكة، بعد أن استطاع أن يفلت من ظلم قريش.

إن لهاتين الحادثتين حادثة أبي جندل وأبي بصير، اللتين وقعتا في أزمة الحديبية دلالة واضحة على أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن مجرد

---

(1) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣. دار الفكر.

نظرية مكتوبة على الورق، ولكنه كان سلوكاً عملياً في حياة المسلمين، وفي علاقاتهم الدولية.

يقول الدكتور مصطفى السباعي: (وكما وضع الإسلام للحرب أسس القواعد العادلة والموازين الإنسانية الفريدة، فقد وضع في حالة السلم نظاماً للعلاقات التي تضمن رعاية السلم العام، وتتيح للناس جميعاً أن يحيوا في حرية وأمن واطمئنان، ومن أبرز قواعد لنظام الإسلامي في هذا، الوفاء بالعهود والمواثيق، إذ يحرص الإسلام في هذا على الالتزام الكامل والإخلاص فيها، وحسن النية في رعايتها، ويُحذِّر من نقض العهد بأي صورة من الصور، ذلك أن الميثاق الذي يعقده المسلم لا يرتبط به أمام الناس فحسب، بل إنه ينعقد في الوقت نفسه بينه وبين الله تعالى، إذ يجعل المسلم ربه شهيداً وكفيلاً على عقوده والتزاماته، فهو أمر متغلغل في النفوس، متصل بعقد الإيمان، بحيث لا تبقى قوة في الأرض أن تحلله منه سواء في ذلك دوافع المنفعة أو طلب النفوذ، أو زيادة الرخاء، أو التوسع الاقتصادي، أو التوازن السياسي، أو غير ذلك)[١].

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهود، وحذر من نقض الأيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، قال تعالى: ﴿ وأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢].

وقال جلّ وعلا: ﴿ وأَوْفُوا بِالعَهْدِ، إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾[٣]، وقال سبحانه وتعلى: ﴿ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾[٤]، وبهذا يكون الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها.

---

(١) الدكتور مصطفى السباعي: أخلاقنا الاجتماعية. ص ١٤٧ المكتب الإسلامي.
(٢) سورة النحل الآية (٩١).
(٣) سورة الأسراء الآية (٣٤).
(٤) سورة البقرة الآية (١٧٧).

ويحدثنا الشيخ محمد أبو زهرة عن الوفاء بالعهد من حيث اعتباره قوة تؤمن السلام والطمأنينة والاستقرار للشعوب، فلنستمع إلى ما يقوله عن هذا الموضوع: (لا شك أن المسلمين يعتقدون بأن الوفاء بالعهد في ذاته قوة، فوق أنه عدالة وفضيلة وهو دعامة أساسية من دعائم السلام، إذ أن العهد في ذاته قوة، والتزامه قوة، لأنه يؤمن فيه جانب الاعتداء، ويثبت دعائم السلام، والسلام تطمئن فيه الشعوب وتستقر ولذلك شبه القرآن الكريم من ينقض عهده بأنه كالحمقاء التي تغزل غزلها، فتحكمه وتقويه، ثم بعد ذلك تنقضه أنكاثاً أي أجزاء صغيرة متفرقة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تكونوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ إِيمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[1])[2].

وبهذا فإننا ننتهي إلى القول بأن الوفاء بالعهد يعتبر عند المسلمين قاعدة هامة من قواعد الدين الإسلامي الحنيف التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها وأن يحافظ عليها.

الدرس التاسع: دروس مستفادة من الغزوات والسرايا الحربية:

لقد رأينا خلال دراستنا لهذه الغزوات الصغيرة والسرايا الاستطلاعية بأنها كانت عاملاً رئيسياً لحماية الدعوة الإسلامية ولتنشيط حركة الإعلام الإسلامي في تلك الفترة ومما تجدر الإشارة إليه أن الهدف من هذه الغزوات والسرايا لم يكن يرمي إلى تحقيق مغنم حربي أو هدف عدواني، كما هو الحال بالنسبة لجيوش الغزاة المحتلين، ولو كان كذلك لكان الأولى بأن يكون عدد أفراد هذه السرايا أكثر مما كان عليه بكثير.

والجدير بالذكر أن الرسول ﷺ كان يملك القوة العسكرية التي تمكنه من تجهيز الجيوش الكبيرة لغرض السيطرة العسكرية على كافة المناطق

---

(١) سورة النحل الآية (٩٢).

(٢) انظر «الوحدة الإسلامية» تأليف محمد أبو زهرة ص ٣٣٢ دار الفكر العربي.

الشمالية لشبه الجزيرة العربية، ولكنه حقيقةً لم يكن يهدف إلى إتباع هذا الأسلوب في نشر دعوته، ولقد رأينا أن متوسط القوة لمعظم هذه الغزوات والسرايا كان ما بين ثلاثين إلى خمسين رجلاً، وهذا العدد بطبيعة الحال لا يكفي، من وجهة النظر العسكرية بأي حال من لأحوال، لغرض السيطرة والاحتلال، ومن هنا تتضح لنا حقيقة هذه الغزوات وأهدافها الرئيسية بما يلي:

١ ـ إنها كانت مجرد إجراء وقائي لتأمين حرية الكلمة وتأمين حرية الدعوة الإسلامية.

٢ ـ لإظهار هيبة المسلمين حتى لا تستضعفهم القبائل، ولقد رأينا كيف أن بعض هذه الغزوات انطلقت من المدينة المنورة لإحباط هجوم بعض القبائل الذين تجمعوا للانقضاض على قاعدة المسلمين في المدينة المنورة.

٣ ـ حماية الدعاة المسلمين من غدر القبائل وخاصةً بعد مقتل مبعوث رسول الله ﷺ إلى عامل هرقل على بصرى الشام.

وهذه مجمل الأهداف والمقاصد التي كانت هذه الغزوات والسرايا الصغيرة ترمي إلى تحقيقها.

ويوضح لنا الدكتور عبد اللطيف حمزة هذه الحقيقة بقوله: (إن بعوث النبي ﷺ وسراياه إلى حدود الروم وغايتها الإعلامية كانت تأميناً للحدود الإسلامية وتخويفاً للأعداء من هيبة الإسلام وإعلاماً لهم بذلك حتى لا يفكروا في الإغارة على حدوده. وهكذا كان يشعر النبي ﷺ دائماً بأن عليه واجبين كبيرين هما:

١ ـ تأمين حماية الدين الإسلامي في الداخل.

٢ ـ حمايته من الخارج.

ومن أجل ذلك كان لا يشتبك مع العرب إلَّا دفاعاً عن النفس وعن الدين، وفي الوقت نفسه كانت هذه البعوث الحربية التي تصل إلى حدود

شبه الجزيرة العربية من ناحية الدولة الرومانية تعتبر بعوثاً استطلاعية وكانت تستعينُ في هذا الاستطلاع بالقبائل العربية الموالية للنبي ﷺ)(١).

هذا ولقد ساعدت هذه الغزوات والسرايا الصغيرة من جهة أخرى في تنشيط حركة الإعلام الإسلامي وتوجيه انتباه الناس واهتماماتهم نحو هذا الدين الجديد حتى أصبح الحديثُ عن هذا الدين هو موضوعٍ الساعة في جميع أنحاء المنطقة الشمالية خاصة، وشبه الجزيرة العربية عامةً، مما أدى إلى تحقيق نتائج إعلامية رائعة.

ولا شك أن المعاملة الحسنة والحكمة والتفاضلِ بالتقوى التي كان المجتمع الإسلامي قائماً على أساسها قد ساعدت كثيراً في ترحيب الناس بهذا الدين الجديد وتفضيله على غيره من الديانات الجاهلية أو المحرَّفة الأخرى. فقد وجد الناس في هذا الدين ضالتهم المنشودة، فاطمئنت به نفوسهم وقُرَّت به عيونهم، وارتاحت به عواطفهم وجوارحهم، وأخذت أنباء هذا الدين تموجُ في البوادي والحضر، وتتبع الناس أخبار الوقائع التي غيرت وجه الجزيرة العربية، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

يقول الدكتور توماس أرنولد معترفاً بعظمة الإسلام وسموه: (لقد كانت انتصارات الجيوش الإسلامية تجذُبُ كل يوم أفراداً شتى من القبائل، ولا سيما من كان يقيمُ منها في جوار المدينة ليزداد بها أتباع النبي ﷺ، وأن المعاملة الحسنة التي تعودتها وفود هذه العشائر المختلفة من النبي ﷺ واهتماماته بالنظر في مشاكلهم ومشاكياتهم والحكمة التي كان يصلح بها ذات بينهم. كل ذلك جعل اسم النبي ﷺ مألوفاً لديهم، كما جعل صيته يُذاع في كافة أنحاء الجزيرة العربية، سيداً عظيماً ورجلاً كريماً)(٢).

وفي ضوء هذه الحقائق الثابتة، فإنه يمكننا الآن أن نتصور المردود العظيم، والنجاح الإعلامي الضخم، الذي حققته هدنة الحديبية في مجال

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام ص ١٧٣ دار الفكر العربي.

(٢) الدكتور توماس آرنولد. الدعوة إلى الإسلام ص ٣٩. مكتبة النهضة المصرية.

الدعوة الإسلامية في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. ولنستمع إلى هذا التقرير التاريخي الذي كتبته مجموعة من الاساتذة والمؤرخين ورجال الفكر حول هذا الموضوع: جاء في هذا التقرير ما يلي: (لم يقاتل رسول الله ﷺ في أي من غزواته من أجل الحرب أو طمعاً في مال الدنيا أو جاهها، بل كان الهدف منها جميعاً حماية للعقيدة، ولإعلاء كلمة الله ورد العدوان وتوطيد السلام، فعندما أظهر يهود المدينة بعد الهجرة ميلاً إلى السلم، شجع الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك وعقد معهم معاهدة أمنت للجميع حرية العقيدة والأمن، ثم حالف عليه لصلاةو السلام كل قبيلة أبانت عن رغبتها في السلام، بل إنه كان يبذل كل جهده لتحقيق أغراضه السلميه حتى لو أدى ذلك إلى تذمر بعض أصحابه كما حدث في غزوة الحديبية، حيث انتشر الإسلام انتشاراً عظيماً بين الناس بعد إبرام معاهدة الصلح بين المسلمين والمشركين)[1].

وبهذه النتائج الرائعة التي حققتها الدعوة الإسلامية من معاهدة الحديبية، فإنه يمكننا القول بأن هذه المعاهدة قد جاءت لِتُطلِقَ العنانَ للدعوة الإسلامية بأن تمارس نشاطاتها الإعلامية لواسعة والمتنوعة في ظل السلم والأمان الذي حققه لها صلحُ الحديبية، وقد تمثل هذا النشاط بدخول الأعداد الضخمة في دين الإسلام في فترة قصيرة جداً من عمر هذه الدعوة ألا وهي الفترة الواقعةُ بين صلح الحديبية وفتح مكة المكرمة، مما يُثبت بأن هذا الدين كان ينموا وينتعش في أجواء لسلم والأمان أكثر منه في وقت الحرب.

(١) الدكتور أسعد سليمان عبده، والدكتور طه عثمان الفرا، وأحمد موسى البكري والدكتور محمد سعيد الثقفي والدكتور حامد شاكر حلمي: (كتاب التاريخ الصف الأول الثانوي ص ٧٣ طبعة أولى). وهذا الكتاب يُدرّس في مدارس المملكة العربية السعودية.



الخاتمة

لا شك أن وظيفة الإعلام الإسلامي تدخل ضمن استراتيجية الإسلام الشاملة، تلك الوظيفة التي تقضي بالدور المبذول لهذا الإعلام في سبيل إقامة البناء الفكري للإسلام، والعمل على التوعية وتحريك الجزئيات والتفاصيل داخل المجتمع الإسلامي على نحو لا يهدم أي لبنة من لبنات هذا البناء، وإنما يدعمها ويقربها ويدفع المجتمع بواسطتها إلى الأمام بحيث ترتبط السياسات الإسلامية في أجهزة الإعلام المختلفة بهذا البناء الفكري في الإسلام وتبني استراتيجية محدودة في إطاره بحيث يتوفر فيها كلُ إمكانيات الثبات والبقاء والدوام، من أجل أن ينطلقَ العمل الإعلامي الإسلامي من أرض صلبة تدفعه لتحقيق الأهداف التي كلفه الله بها في تبليغ الرسالة الخاتمة إلى الناس كافةً.

وتبرز هذه الحقيقة انطلاقاً من النظرة الشمولية للدين الإسلامي، الذي جاء شاملاً جامعاً منظماً لحياة المسلمين في شتى مجالات الحياة، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياتهم إلاَّ وتطرَّق إليها ابتداءً من وضع أصول الحياة الأسرية إلى كل مرفق من مرافق الحياة العامة والخاصة لهذا المجتمع. قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدَىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

ولقد كان رسول الله ﷺ مثلاً يُحتَذى به في الكمال البشري في جميع مجالات الحياة فهو الداعي الأول للإسلام وهو القدوة الحسنة للمسلمين جميعاً. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[2].

---

(١) سورة النحل الآية: (٨٩).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١).

ولسنا هنا في مجال تعدادِ صفات الرسول ﷺ، تلك الصفاتُ التي كانت سبباً مباشراً في دخول الكثيرين في دين الإسلام، ولكننا، ضمن هذا الموضوع نشيرُ إلى المنجزات الإعلامية الضخمة التي حققها عليه الصلاة والسلام في حقل الدعوة الإسلامية، تحقيقاً للمهمة التي كلفه الله بها، وهي مهمة الدعوة إلى الله سبحانه وتبليغ الرسالة الخاتمة.

ويتحدث الدكتور محي الدين موضحاً هذه الحقيقة بقوله: (لن نكونَ مبالغين في القول إذا اعتبرنا أن الرسول ﷺ كان إلى جانب القوى الروحية التي اختصه الله بها عبقرياً إعلامياً يتضاءل بجانبه جهابذةُ الإعلام في العالم منذ بدءِ الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... اكتشف أهمية الإعلام لنشر دعوته ومارس العمل الإعلامي بفنونه المختلفة وأعد له الخطط العلمية الدقيقة بصورة أذهلت الخبراء والضاربين في حقل الاتصال بالجماهير، فنهج في دعوته منهجاً إعلامياً خاصاً ووضع لهذه الدعوة أصولاً تحوي من الأفكار ما هو بمثابة كنوز لم يكشف النقاب عنها حتى الآن بشكل كافٍ. ذلك أن الحياة الإعلامية لصاحب الرسالة صلوات الله عليه تعوزها جهود الباحثين)[1]. ولقد كانت جهود الرسول ﷺ في تحقيق منجزاته الإعلامية العملاقة مذهلة جداً للباحثين في هذا الحقل، وذلك للفترة الزمنية القصيرة جداً التي مارس خلالها رسول الله ﷺ نشاطه الإعلامي ألا وهي فترة الرسالة، مما جعل أعداء الإسلام لا يستطيعون إلاَّ أن يعترفوا بهذه المنجزات الإعلامية الضخمة غير مخفين إعجابهم بها، ولن نذهب بعيداً وأمامنا دائرة المعارف البريطانية التي تتحدث عن هذا الموضوع فتقول: (لقد أنجز الرسول ﷺ في عشرين عاماً من حياته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارى، رغم السلطة الزمنية التي كانت تساعدهم في جهودهم تلك، وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول ﷺ تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى)[2]. وما من شك أن المتتبع لأحداث السيرة

---

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص١٤٢ مكتبة الخانجي بمصر.

(٢) نقلاً عن المرجع السابق ص١٤٢ ـ ١٤٣.

النبويّة الشريفة والمُطَّلع على تفاصيلها ودقائقها بإمعان، يجد بحق أن صلح الحديبية هو من أهم الإنجازات التي حققتها الدعوة الإسلامية على كافة المستويات، السياسية، والعسكرية، والإعلامية، بل هو حصيلة كسب لأعظم معركة دارت بين الإسلام والوثنية في العهد النبوي، من حيث النتائج الإيجابية التي رسخت دعائم الإسلام، من جهة، وصدعت بفعلها قواعد الشرك والوثنية من جهة أخرى. وقد شهد القرآن الكريم بعظيم هذه المكاسب وخلّد ذكراها في آيات تتلى إلى يوم القيامة مسمياً هذا الصلح بالفتح المبين.

ومن بين الإنجازات العظيمة التي حققتها الدعوة الإسلامية من هذا الفتح المبين ما يلي:

١ ـ إظهار الشخصية الإسلامية في الجزيرة العربية كطرف مساوٍ لقريش. وهذا أول اعتراف بالمسلمين من أشد أعدائهم وأقوامهم، أمام العالم أجمع منذ بدء الدعوة الإسلامية.

٢ ـ أصبح المجال مفتوحاً أمام القبائل الأخرى للتحالف مع المسلمين والتعرف على الدين الجديد، إذ لم تكن تجرؤ هذه القبائل، قبل معاهدة الحديبية، للتقرب من المسلمين خوفاً من قريش.

٣ ـ لقد وضعت هذه الهدنة حداً لأعداء الإسلام والمسلمين من أن يتجمعوا بزعامة قريش كما حصل ذلك في غزوة الأحزاب.

٤ ـ أكدت عمرة القضاء للعرب جميعاً كذب الدعاية القرشية عندما أظهر المسلمون تعظيمهم لحرمات الله والمشاعر المقدسة، والحفاظ على مكة المكرمة من أن تصبح مسرحاً للحرب وسفك الدماء، وبهذا فقد تداعت حجة قريش أمام العرب جميعاً وظهرت الصورة الحقيقية للإسلام.

٥ ـ لقد عملت قريش ومن حيث لا تدري، على تقديم خدمة عظيمة جداً للمسلمين وذلك نتيجة للحملات الإعلامية المكثفة التي أثارتها ضدَهم، بين مختلف القبائل العربية في شتى أنحاء الجزيرة العربية، مما أكسب المسلمين سمعة قوية من الناحيتين العسكرية والإعلامية.

فقريش تلك القبيلة المعروفة بقوتها وعددها وعُدتها، تذهب لتطلب النجدة

والمعونة العسكرية من القبائل الأخرى لكي تواجه قوة المسلمين الذين صورتهم دعاياتهم المضادة أمام الرأي العام بأنهم قوة كبيرة، مما أكسب المسلمين هيبة عسكرية بين القبائل العربية.

أما من الناحية الإعلامية فقد انشر اسم الإسلام في كل مكان من أنحاء الجزيرة العربية وترددت أصداءه على كل لسان، وأخذ الناس ـ بغريزة حب الاستطلاع ـ يبحثون عن هذا الدين الجديد مما سهل انتشاره بين الناس.

٦ ـ أتاحت هدنة الحديبية الفرصة للمسلمين لتوسيع آفاق دعوتهم على العالم خارج الجزيرة العربية.

هذا ولقد بذلت جهدي ـ وهو جهد المقل ـ لدراسة هذا الحدث العظيم من أحداث السيرة النبوية العطرة، دراسة إعلامية وأن أُظهر مكنوناته وكنوزه العظيمة. وكم تحتوي سيرة صاحب الرسالة الخاتمة عليه الصلاة والسلام على أحداث وأحداث عظام لم يكشَفُ النقابُ عنها، ولم تظهر خباياها وكنوزها العظيمة بعد، وهي لا زالت تنتظر جهود الباحثين في هذا المجال وفي كل مجال.

فإن كان هذا العمل الذي قمت به قد وافق الصواب فهو بفضل الله وتوفيقه. وأختم هذا البحث بهذا الدعاء الذي علّمنا إياه ربنا في كتابه العزيز:

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَنَا فَاْغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتوفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ، رَبَنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[1]. ﴿ رَبَنَا لَا تُؤاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَنَا وَلَا تُحَمِّلنا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[2].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩٤).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

المَــرَاجع

أولاً: ـ القرآن الكريم.

ثانياً: ـ التفاسير:

١ ـ **ابن جرير الطبري**، تفسير الطبري، دار الفكر بيروت.
٢ ـ **إسماعيل بن كثير القرشي**، تفسير القرآن العظيم دار الفكر القاهرة.
٣ ـ **الإمام الرازي**، تفسير الرازي، دار الفكر.
٤ ـ **الزمخشري**، الكشاف، دار المعرفة لبنان.
٥ ـ **سيد قطب**، في ظلال القرآن، دار الشروق.
٦ ـ **عبد الرحمن ناصر السعدي**، تفسير كلام المنان، المؤسسة السعيدية بالرياض.
٧ ـ **محمد علي الصابوني**، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم.
٨ ـ **الإمام القرطبي**، الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، المكتبة العربية ـ القاهرة ١٩٦٧.

ثالثاً: ـ كتب الأحاديث النبوية الشريفة:

٨ ـ **البخاري**، صحيح البخاري، دار الفكر.
٩ ـ **الإمام مسلم**، صحيح مسلم، توزيع رئاسة البحوث العلمية بالرياض.
١٠ ـ **الترمذي**، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي.
١١ ـ **أبو داود**، سنن أبي داود، دار الفكر.
١٢ ـ **ابن ماجة**، سنن ابن ماجة، دار إحياء التراث العربي.

١٣ ـ **الإمام أحمد بن حنبل**، المسند دار المعارف مصر.
١٤ ـ **الدرامي**، سنن الدرامي، دار إحياء السنة النبوية.
١٥ ـ **ابن الأثير الجرزي**، جامع الأصول (تحقيق عبد القادر الأرناؤوط)، مطبعةالملاح.
١٦ ـ **الحافظ المناوي**، كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق، دار الكتب العلمية.
١٧ ـ **السخاوي**، المقاصد الحسنة، دار الكتب العلمية.
١٨ ـ **الإمام النووي**، رياض الصالحين، دار التراث.
١٩ ـ **السيوطي**، الجامع الصغير، دار الكتب العلمية.
٢٠ ـ **ابن حجر القسطلاني**، فتح الباري، دار البحوث العلمية بيروت.
٢١ ـ **الإمام النووي**، شرح صحيح مسلم، دار البحوث العلمية بيروت.
٢٢ ـ **علاء الدين علي المتقي الهندي**، كنز العمال، مكتبة التراث الإسلامي.

رابعاً: كتب السيرة النبوية الشريفة:

٢٣ ـ **ابن هشام**، السيرة النبوية، دار الفكر ـ دار الجيل.
٢٤ ـ **ابن كثير**، السيرة النبوية، دار الفكر.
٢٥ ـ **الواقدي**، المغازي، عالم الكتب بيروت.
٢٦ ـ **الطبري**، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف بمصر.
٢٧ ـ **ابن سعد**، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت.
٢٨ ـ **علي بن برهان الدين الحلبي**، السيرة الحلبية، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة.
٢٩ ـ **أحمد زيني دحلان**، السيرة النبوية والآثار المحمدية، المكتبة العلمية.
٣٠ ـ **أبي بكر العامري**، بهجة المحافل، المكتبة العلمية.
٣١ ـ **ابن الأثير**، الكامل، دار الفكر بيروت.
٣٢ ـ **الحافظ الذهبي**، العبر (تحقيق صلاح الدين المنجد)، دائرة المطبوعات والنشر الكويت سنة ١٩٦٠ م.
٣٣ ـ **السهيلي**، الروض الأنف، دار الكتب الحديثة.
٣٤ ـ **ابن حزم**، جوامع السيرة، دار إحياء السنة.
٣٥ ـ **المقريزي**، إمتاع الإسماع، طبعة قطر.

٣٦ ـ **أحمد أمين**، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية.
٣٧ ـ **السيوطي**، الخصائص الكبرى.
٣٨ ـ **مولانا محمد علي**، حياة محمد ورسالته، الترجمة العربية منير البعلبكي.
٣٩ ـ **القسطلاني**، المواهب اللدنية، دار المعرفة.
٤٠ ـ **عباس محمود العقاد**، عبقرية محمد، دار الإسلام بالقاهرة.
٤١ ـ **محمود شيت خطاب**، الرسول القائد، مكتبة النهضة والحياة بغداد.
٤٢ ـ **محمود شيت خطاب**، الإسلام والنصر، مكتبة النهضة والحياة بغداد.
٤٣ ـ **ابن عساكر**، تاريخ ابن عساكر، مطبعة روضة الشام.

خامساً: المراجع الإعلامية:

٤٤ ـ د. **إبراهيم إمام**، الإعلام الإسلامي، الأنجلو مصرية.
٤٥ ـ د. **إبراهيم إمام**، الإعلام والاتصال بالجماهير، الأنجلو مصرية.
٤٦ ـ د. **إبراهيم إمام**، دراسات في الفن الصحفي، الأنجلو مصرية.
٤٧ ـ د. **أحمد بدر**، الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية، دار القلم.
٤٨ ـ د. **إحسان عسكر**، الخبر ومصادره، عالم الكتب القاهرة.
٤٩ ـ د. **جيهان رشتي**، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر.
٥٠ ـ د. **جلال الدين الحمامصي**، المندوب الصحفي، دار المعارف المصرية.
٥١ ـ د. **حسن أبو ركبة**، الإعلان، دار النهضة المصرية.
٥٢ ـ د. **خليل الصابات**، الإعلان تاريخه وقواعده، الأنجلو مصرية ١٩٦٩ م.
٥٣ ـ د. **زيدان عبد الباقي**، وسائل وأساليب الاتصال، ط ١٩٧٩ م.
٥٤ ـ **الأستاذ زين العابدين الركابي**، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
٥٥ ـ **ستيفن أولمان**، دور الكلمة في اللغة، ترجمة الدكتور بشر.
٥٦ ـ **صلاح نصر**، الحرب النفسية الطبعة الثالثة.
٥٧ ـ د. **محي الدين عبد الحليم**، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي بمصر.
٥٨ ـ د. **محمد كمال الدين إمام**، النظرة الإسلامية للإعلام، دار البحوث العلمية.
٥٩ ـ د. **محمود أدهم**، فن الخبر، مطبعة الشعب دار أخبار اليوم.

٦٠ ـ د. **محمد الهواري**، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
٦١ ـ د. **محمود عساف**، أصول الإعلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦٢ ـ د. **مختار التهامي**، الرأي العام والحرب، النفسية ج ١ ط أولى دار المعارف بمصر ١٩٦٧.
٦٣ ـ د. **عبد اللطيف حمزة**، المدخل في فن التحرير الصحفي، دار القكر العربي.
٦٤ ـ د. **عبد اللطيف حمزة**، الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي.
٦٥ ـ د. **عبد اللطيف حمزة**، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي.
٦٦ ـ د. **عبد القادر حاتم**، الإعلام والدعاية.
٦٧ ـ د. **عبد العزيز شرف**، فن التحرير الإعلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦٨ ـ د. **عمارة نجيب**، الإعلام في ضوء الإسلام، مكتبة المعارف الرياض.

سادساً: مراجع عامة:

٦٩ ـ **ابن القيم الجوزية**، زاد المعاد، دار البحوث العلمية.
٧٠ ـ **أحمد محمد عيسى**، كتاب الوحي، دار اللواء الرياض.
٧١ ـ **ابن القيم الجوزية**، صفات المنافقين، المكتب الإسلامي.
٧٢ ـ **ابن كثير**، البداية والنهاية، مكتبة الرياض الحديثة.
٧٣ ـ **علي حسن الخربوطلي**، تاريخ العالم الإسلامي.
٧٤ ـ **شكري فيصل**، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دار العلم للملايين.
٧٥ ـ **الشيخ محمد أبو زهرة**، الوحدة الإسلامية، دار الفكر العربي.
٧٦ ـ د. **مصطفى السباعي**، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي.
٧٧ ـ **الشريف الرضي**، نهج البلاغة، هذا الكتاب منسوب للإمام علي.
٧٨ ـ **أحمد شوقي**، الشوقيات، دار الكتاب العربي.
٧٩ ـ د. **محمد حميد الله**، الوثائق السياسية، دار الإرشاد بيروت.
٨٠ ـ **علي حسين علي الأحمدي**، مكاتيب الرسول، دار المهاجر بيروت.
٨١ ـ د. **أسعد سليمان عودة**، كتاب التاريخ للصف الثانوي، وهذا الكتاب يدرس في مدارس المملكة العربية السعودية ط ١.
د. **محمد سعيد الثقفي**، كتاب التاريخ للصف الثانوي، وهذا الكتاب

يدرس في مدارس المملكة العربية السعودية ط ١.
د. **طه عثمان الفرا**، كتاب التاريخ للصف الثانوي، وهذا الكتاب يدرس في مدارس المملكة العربية السعودية ط ١
د. **أحمد موسى البكري**، كتاب التاريخ للصف الثانوي، وهذا الكتاب يدرس في مدارس المملكة العربية السعودية ط ١.
د. **حامد شاكر حلمي**، كتاب التاريخ للصف الثانوي، وهذا الكتاب يدرس في مدارس المملكة العربية السعودية ط ١.

٨٢ ـ **توماس آرنولد**، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية.

٨٣ ـ **أبو الحسن الكاتب بن وهب**، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ـ طبعة بغداد وكذلك تحقيق جفني محمد شرف مطبعة الرسالة القاهرة.

٨٤ ـ **محمد غنيمي هلال**، المدخل إلى النقد الأدبي الحديث.

٨٥ ـ **أحمد الشايب**، أصول النقد الأدبي، الطبعة الثانية.

٨٦ ـ **كامل الكيلاني**، صور جديدة من الأدب العربي، ط ١٩٣٩ م.

٨٧ ـ **ابن الأثير**، أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية.

٨٨ ـ **ابن حجر العسقلاني**، الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى لبنان.

٨٩ ـ **ابن عبد البر**، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مكتبة المثنى لبنان.

٩٠ ـ **ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر بيروت.

٩١ ـ **مجد الدين الفيروز آبادي**، القاموس المحيط، دار الجيل.

٩٢ ـ **بطرس البستاني**، محيط المحيط، مكتبة بيروت لبنان.

٩٣ ـ **مجمع اللغة العربية**، المعجم الوسيط، مطبعة مصر.

٩٤ ـ **أحمد بن عبد ربه الأندلسي**، العقد الفريد، دار الفكر.

٩٥ ـ **ياقوت الحموي**، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر.

٩٦ ـ **صفي الدين عبد المؤمن**.

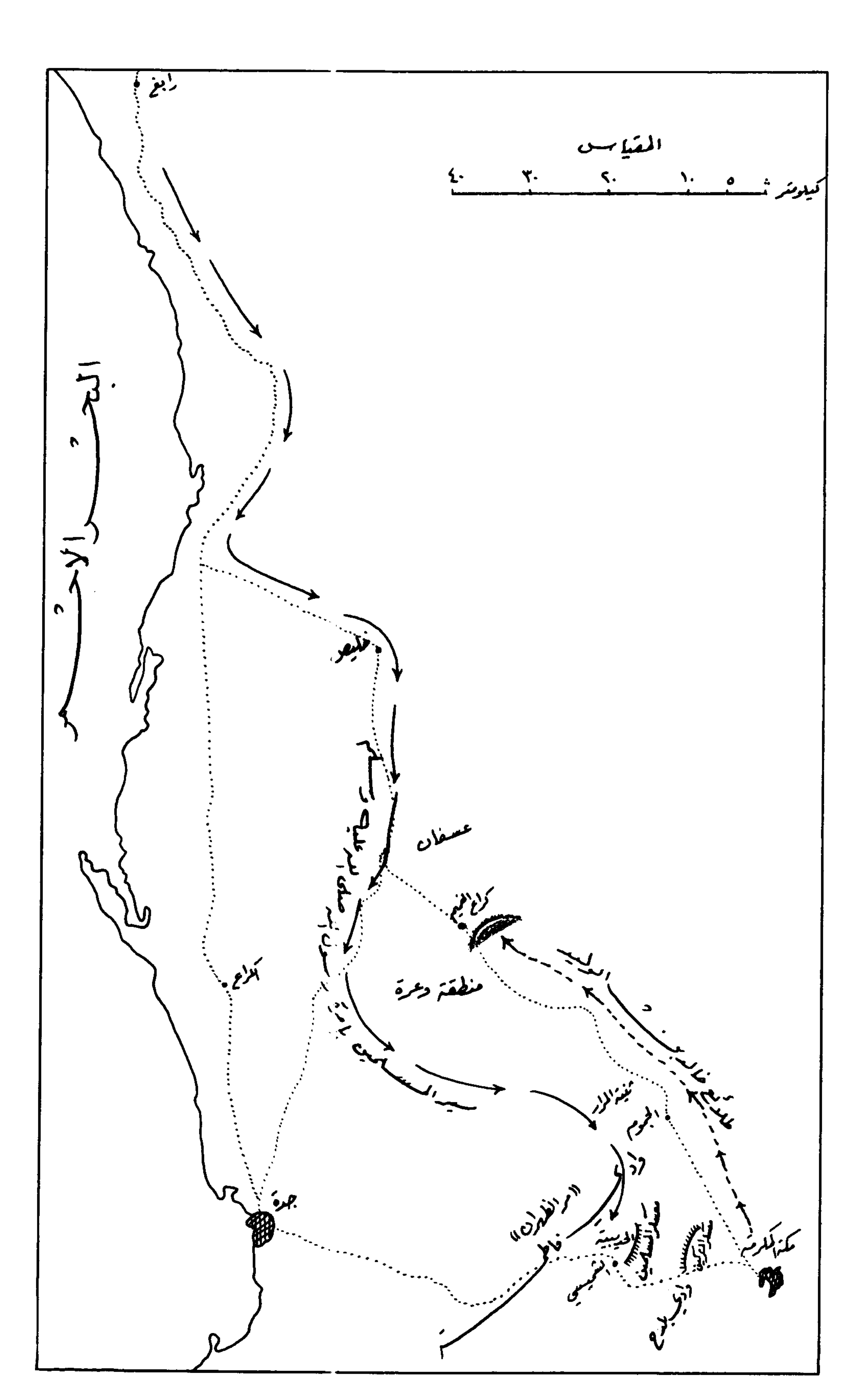
٩٧ ـ **البغدادي**، مراصد الاطلاع، دار إحياء الكتب العربية.

سابعاً: الدوريات:

٩٨ ـ مجلة الفيصل، العدد ٣٨، الرياض.

٩٩ ـ مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٠







الفهـرس

الباب الأول:
الإعداد للعمرة

الباب الثاني:
المفاوضات والحرب النفسية

الباب الثالث:
النتائج والآثار الإعلامية لصلح الحديبية

(مـن منشـوراتنا)

١ ـ ذكريات علي الطنطاوي (١)	
٢ ـ ذكريات علي الطنطاوي (٢)	
٣ ـ الإمام البخاري وصحيحه	د. عبدالغني عبدالخالق
٤ ـ الأمراض الجنسية (أسبابها وعلاجها)	د. محمد علي البار
٥ ـ التورية وخُلُوِّ القرآن الكريم منها	د. محمد جابر فياض
٦ ـ محاضرات في تحقيق النصوص	د. أحمد محمد الخرّاط
٧ ـ الصورة بين البلاغة والنقد	د. أحمد بسام ساعي
٨ ـ التكفير: جذوره، أسبابه، مبرراته	د. نعمان السامرائي

سلسلة (دراسات في الأدب الإسلامي ونقده)

٩ ـ مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي (١)	د عبد الباسط بدر
١٠ ـ من قضايا الأدب الإسلامي (٢)	د صالح آدم بيلو
١١ ـ الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد (٣)	د أحمد بسام ساعي
١٢ ـ مقدمة لدراسة الأدب الإسلامي (٤)	د مصطفى عليّان
١٣ ـ نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية (٥)	د عمر الساريسي
١٤ ـ الجهاد في سبيل الله (حقيقته وغايته) مجلدان	د. عبدالله القادري
١٥ ـ إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم	أ.حمد البراء الأميري

١٦ ـ وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة — محمد موفق الغلاييني
١٧ ـ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (للإمام مكي بن أبي طالب) — تحقيق د. أحمد حسن فرحات
١٨ ـ فتاوى علي الطنطاوي (١)
١٩ ـ منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية — سليم عبدالله حجازي

تحت الطبع :

٢٠ ـ ذكريات علي الطنطاوي (٣)
٢١ ـ ذكريات علي الطنطاوي (٤)
٢٢ ـ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية — د. محيي الدين الألوائي